القسم الثانى

البواعث والمخططات

obeikandl.com

obeikandl.com

الباب الأول

الحفظ

- تحقيق التلقي الشفوي والسماعي
- المحافظة على القراءات المتواترة والمشهورة
- المنع من القراءة بالروايات الشواذ

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

تحقيق التلقي الشفوي والسماعيّ

١

المعتمد عند المسلمين أن يكون تلقّي العلم النقليّ بعامة والقرآن بخاصّة من الأفواه .

وهذا قديم :

فابن مسعود أحد كبار الصّحابة وأعلام رواة القرآن وتجويده وتحقيقه وترتيله يقول : حفظت من فى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بضعاً وسبعين سورة [١] .

وعن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأُبَيّ [٢] : « إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن » . قال : آلله سمّانى لك ؟ قال : « نعم » . . . إلى آخر الرواية [٣]

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول عن أبيّ هذا : أقرأ أمتى أبيّ [٤] .

وليس بعيداً أن يكون سبب هذه الأفضلية أنّ النبي نفسه هو الذى علّمه القراءة .

° ° °

وأصبحت قاعدة متبعة – بالنسبة لطالب القرآن – أن يتلقّاه من أفواه المشايخ الضابطين المتقنين ، وأن لا يعتدّ أبداً بالأخذ من المصاحف المكتوبة بدون معلّم ، لما قد يقع فى ذلك من تصحيف يتغير به وجه الكلام . وهم يقولون : لا تأخذوا القرآن من مصحفيٍّ ، ولا العلم من صَحَفِيٍّ [٥] .

---

(١) انظر : ابن الجزرى : غاية النهاية حـ١ ص ٤٥٨ و٤٥٩

(٢) يعنى : الصحابىّ « أبىّ بن كعب » ، وهو من أشهر من حفظوا القرآن على عهد النبىّ (ص) ، وكان رأساً فى العلم والعمل (الذهبى : سير أعلام النبلاء حـ ١ ص ٢٨٠ – ٢٨٨) .

(٣) مسلم : الجامع الصحيح حـ٨ ص ١٥٠ .

وانظر : الذهبى : المرجع السّابق ص ٢٨١ .

(٤) الذهبى : المرجع السابق

(٥) انظر : العسكرى : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١٠

ومن أشهر ما يُروى فى هذا :

أن حمزة الزيات أحد أئمة القراءة السبعة كان يتعلم القرآن من المصحف ، فتلا ، وأبوه يسمع : « آلم ذلك الكتاب لا زيت فيه » بدلا من « لاَ رَيْبَ فِيه »[١] ، فقال له أبوه : دع المصحف ، وتلقّنْ من أفواه الرجال[٢] .

وحُكى عن آخر[٣] أنه قرأ – من مصحفٍ – الصّادَ ضاداً فى قوله تعالى : « صٓ ، وَالقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ[٤] » .

ورُوى أنّ حماد بن الزبرقان كان حفظ القرآن من مصحف ، ولم يقرأه على أحد ، فصحّف ألفاظاً فى القرآن ، منها :

(بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ »[٥] ، قرأها : (فى غرة) .
ومنها : « لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ »[٦] ، قرأها : (يعينه) .

ورُوى أن عثمان بن أبى شيبة[٧] قرأ :
« فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ » (فظلّ) بدلا من : « فَطَلّ »[٨] .
وأنه قرأ : « مِنَ (الخوارج) مُكَلِّبِينَ » مصحّفةً من : « الجَوَارِحِ »[٩]
وقرأ : « وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ (خبازين) » يريد قوله : « جَبَّارِين »[١٠]
وأنه أملى : خذوا سورة المدبّر ، قالها بالباء .

---

(١) سورة البقرة / ٢ .
(٢) العسكرى : المرجع السابق ص ١٢ و١٣ . (٣) نفس المرجع ص ١٣ .
(٤) سورة ص / ١ ، والصاد فى المصحف العثمانى مهملة .
(٥) سورة ص / ٢ . (٦) سورة عبس / ٣٧ .
(٧) هو أحد شيوخ البخارى ، وتوفى سنة ٢٣٩ هـ . وحكى أنه كان مزّاحاً فيما يتصحف من القرآن (انظر الذهبى : تذكرة الحفاظ حـ٢ ص ٣٠) .
ولكن ابن كثير (٧٠١ – ٧٧٤ هـ) يقول :
« وما ينقله كثير من الناس عن عثمان بن أبى شيبة ، أنه كان يصحّف قراءة القرآن : فغريب جدًّا ، لأنّ له كتاباً فى التفسير ، وقد نُقِل عنه أشياء لا تصدر عن صبيان المكاتب ! » (انظر : أحمد محمد شاكر : الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص ١٩٢ – ط . صبيح)
(٨) سورة البقرة / ٢٦٥ . (٩) سورة المائدة / ٤ . (١٠) سورة الشعراء / ١٣٠ .

وقرأ : « فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِى (رِجْل) أَخِيهِ » ، فقيل له : « السِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ »[١] . فقال : أنا وأخى أبو بكر لا نقرأ لعاصم !

وأنه قرأ : « فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ (سنّور) لَهُ بَابٌ » ، فقيل له : إنما هو « بِسُورٍ لَهُ بَابٌ »[٢] ، فقال : أنا لا أقرأ قراءة حمزة ، قراءة حمزة عندنا بدعة[٣] .

ورَوَى الدار قطنى – فى التصحيف – عن عثمان بن أبى شيبة أيضاً ، أنه قرأ على أصحابه فى التفسير : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَـٰبِ ٱلْفِيلِ »[٤] ، يعنى قالها كأوّل البقرة[٥] .

ورَوَى محمد بن جرير الطبرى أن محمد بن جميل الرازى قرأ : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ (يجرحوك) بدلا من « يُخْرِجُوكَ »[٦] .

ورَوَى الدار قطنى أن أبا بكر الباغندى أمْلى فى حديث ذكره : « وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ (هُوِيًّا) » بضمّ الهاء وياء بدلا من « هَوْناً »[٧] .

ورُوِى أنّ شيخا ظل يقرأ فى مصحفه أربعين سنة : « وِللهِ (ميزاب) السَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ » حتى لُقّنها شفاها « مِيرَاثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْض »[٨] ، فاستغفر الله ، وصحّح قراءته[٩] .

وروى أن رجلا اسمه مُشكدانه كان فى حوالى سنة ٢٣٦ هـ ، وكان يقرأ : « ويعُوق (وبشرا) » ، فقيل له : « وَنَسْراً »[١٠] . فقال : هى منقوطة بثلاثة من فوق[١١] .

وقد قال فيه أحد معاصريه مُتهكما : ذاك الذى يصحّف على جبريل ![١٢]

وقيل إن رجلا قرأ : « والغاديات صبحا » بالعين المعجمة والصّاد المهملة بدلا من

---

(١) سورة يوسف / ٧٠ .
(٢) سورة الحديد / ١٣ .
(٣) انظر : ابن الجوزى : أخبار الحمقى والمغفلين – الباب العاشر : فى ذكر المغفلين من القراء والمصحّفين ص ٥١ – ٥٧ والعسكرى : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١١ – ١٣ .
(٤) سورة الفيل / ١ .
(٥) السيوطى : المزهر حـ ٢ ص ٢٣٠ .
(٦) سورة الأنفال / ٣٠ ، وانظر ابن الجوزى : المرجع السابق .
(٧) سورة الفرقان / ٦٣ ، وانظر ابن الجوزى : المرجع السّابق .
(٨) سورة آل عمران / ١٨٠ ، وسورة الحديد ١٠ .
(٩) ابن الجوزى : المرجع السّابق .
(١٠) سورة نوح / ٢٣ .
(١١) ابن الجوزى : المرجع السابق .
(١٢) انظر : العسكرى : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١١

« وَالعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحا »(١) ، فامتحنوه بالقراءة فى المصحف ، فصحّف حيث قرأ :

« وَمِمَّا (يغرسون) » بدلا من « يَعْرِشُونَ »(٢) .

و « وَعَدَهَا (أباه) » بدلاً من « إِيَّاهُ »(٣) .

و « أصبْتُ به من أساء » بدلاً من « أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَسَاء »(٤) .

و « (فبادوا) وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ » بدلا من « فَنَادَوْا »(٥) .

و « فَأَنَا أَوَّلُ (العائدين) » بدلا من « الْعَـٰبِدِينَ »(٦) .

و « كُلٌّ (خباز) بدلا من « جَبَّارٍ »(٧) .

وقالوا إنّ رجلاً قرأ : « إِنَّ لَكَ فِى النَّهَارِ (شيخا) طَوِيلاً » بدلا من « سَبْحاً »(٨) .

وعن الكسائى ، قال : كان الذى دعانى أن قرأت بالرِّىّ ، أنى مررت بمعلم صبيان يقرأ : « ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ (وأثل بالتاء) »(٩) بدلاً من « أَثْلٍ » ، فتجاوزتُه ، فإذا معلم آخر قد ذكرت له ذلك ، فقال : أخطأ ! الصواب : « وإبل » ! فدعانى أنى أقرأت الصبيان(١٠) .

وسمع أعرابى إماما يقرأ : « وَلاَ تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يؤْمِنُوا »(١١) بنصب التاء ، فقال : سبحان الله ! هذا قبل الإسلام قبيح ، فكيف بعده ؟ فقيل له : إنه لَحَن ، وإنما القراءة : « وَلاَ تُنْكِحُوا . . . » فقال : قبّحه الله : لا تجعلوه بعدها إماماً ، فإنه يُحلّ ما حرّم الله(١٢) .

* * *

وهذه الأخبار التى تناف جلال القرآن ، والتى نشك علميًّا فى صحة أغلبها ، ونعتقد أنها مجرّد نوادر موضوعة تقصد إلى الفكاهة وَسْم من رُويت عنهم بالحُمق والغفلة . . . هذه الأخبار التى سقناها كارهين ، جديرة أن تنبّه طالبى القرآن إلى وجوب التزام التلقى الصوتىّ من قرّاء ضابطين محقّقين ، وجديرة أن تكون من أسباب تحوّفنا من التصحيف فى كتابنا الأكبر .

---

(١) سورة العاديات / ١ . (٢) سورة النحل / ٦٨ . (٣) سورة التوبة / ١١٤ .
(٤) سورة الأعراف / ١٥٦ . (٥) سورة ص / ٣ (٦) سورة الزخرف / ٨١ .
(٧) سورة هود / ٥٩ ، وسورة إبراهيم / ١٥ ، وانظر : ابن الجوزى : المرجع السّابق .
(٨) سورة المزمّل / ٧ ، وانظر : ابن الجوزى : المرجع السّابق .
(٩) صحة اللفظ « أثْلٍ » بالثاء ، سورة سبأ / ١٦ .
(١٠) ابن الجوزى : المرجع السابق ، الباب الثانى والعشرون ص ١٠٧ .
(١١) سورة البقرة / ٢٢١ ، والتاء مضمومة .
(١٢) البلوى : ألف با حـ ١ ص ٤٣ .

وفى بعض الأخبار . أن التصحيف قد يقع ، حتى من بعض الكبار ، فيبادرون – فور التَثبّت – من التصحيح :

فى ترجمة أبى بكر الأنبارى النحوى اللغوى صاحب الاسم الجهير ، حكى الدار قطنى أنه حضره فى إملاء ، فصحَّف اسماً فى إسناد .

قال الدار قطنى : « فأعظمت أن يُحمل عن مثله – فى فضله وجلالته – وهْم ، وهبتُه أنْ أوقفَه عليه . فلمّا فرَغ ، تقدّمتُ إليه ، وذكرتُ له ذلك ، وانصرفتُ . ثم حضرتُ المجلس الآتى ، فقال للمستملى : عرِّف الجماعة أنّا صحّفْنا الاسم الفلانى لمّا أملينا كذا فى المجلس الماضى ، ونبّهَنا ذلك الشابّ على الصّواب ، وهو كذا . . ، وعرِّفْ ذلك الشابَّ أنّا رجعنا إلى الأصل ، فوجدناه كما قال »[١] .

* * *

ولخوف المسلمين من التّصحيف ، أفردوا له علْماً خاصًّا صنّف فيه بعض علمائهم . قال عبد الرحمن البسطامى : « أوّل من تكلم فى التصحيف الإمام على – كرم الله وجهه – ومن كلامه فى ذلك : خراب البصرة بالريح (بالراء والحاء المهملتين بينهما آخر الحروف) . قال الحافظ الذهبى : ما عُلِمَ تَصحيف هذه الكلمة إلا بعد المائتين من الهجرة ، يعنى : خراب البصرة بالزنج (بالزاى والنون والجيم) »[٢] .

ومن المؤلفات الإسلامية التى تحارب التصحيف : كتاب أبى أحمد الحسن بن عبد الله ابن سعيد العسكرىّ المتوفّى سنة ٣٨٢هـ ، وهو كتاب فى مائة باب أو ما يقاربها[٣] وفى مقدمته يقول مؤلفه : « هذا كتاب شرحتُ فيه الأسماء والألفاظ المُشْكلة التى تشّابه فى صورة الخطِّ ، فيقع فيها التصحيف . . إلخ . . »

ومن أقوالهم : « من أعظم البليّة تشييخ الصحيفة » ، أى أن يتعلم الناس من الصُّحُف[٤] . وكان الشافعىّ يقول : من تفقَّه من بطون الكتب ضيّع الأحكام[٥] .

(١) السيوطى : بغية الوعاة جـ ١ ص ٢١٢

(٢) انظر : طاش كبرى زاده : مفتاح السّعادة ومصباح السّيادة فى موضوعات العلوم جـ ١ ص ٢٧٧ وصديق خالد : أبجد العلوم – ٣٨٣ .

(٣) انظر المخطوطة رقم ٢ ش – مصطلح الحديث ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة . وقد طبع هذا الكتاب أخيرا ، بعنوان : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف بتحقيق عبد العزيز أحمد . وقد نقلنا آنفا عن النسخة المطبوعة بعض ما روى عن والمصحّفين

(٤) انظر : ابن جماعة : تذكرة السّامع ص ٨٧ (٥) انظر : نفس المرجع .

وقريب من هذا أنهم كانوا يذمُّون الاكتفاء فى تقييد العلم بالكتابة من دون الحفظ :

عن سفيان الثا رى ، قال : بئس المستودِع العلم القراطيسَ . قال الخطيب البغدادى : « وكان سفيان يكتب . أفلا ترى انّ سفيان ذمّ الاتّكال على الكتاب وأمَر بالحفظ ، وكان مع ذلك يكتب احتياطاً واستيثاقاً » ؟ (١) .

وسمع يونس بن حبيب رجلا ينشد :

استودِع العلم قــرطاساً فضيّعه وبئس مستودَعُ العلم القراطيس (٢)

وهم يعرِّفون « التصحيف » بأنه الخطأ فى الصحيفة (٣) .

ويسمّون من يأخذ العلم عن الصُّحف فحسْب : مصحِّفاً ، أى يروى الخطأ عن قراءة الصحف بأشباه الحروف مولّدة (٤) .

ويقولون : هو لحّانة مُصَحِّف (٥) ، ويقولون : تَصَحَّفَتْ عليه (٦) . ويسمّون من يخطئ فى قراءة الصحيفة : الصحفىّ (٧) .

ويقول المعرى : أصل التصحيف أن يأخذ الرجل اللفظَ من قراءته فى صحيفة ، ولم يكن سمعه من الرجال ، فيغيّره عن الصواب (٨)

* * *

وللمسلمين فى التلقّى الشفوىّ مناهج دقيقة ، وكأنما كانوا يعدّون أفواه الرجال أهم مستودعات العلم الحقيقية ، ويرون أن النقل من الأفواه هو النقل السليم الذى يظهر كلَّ زيف يعتريه ، فقد كان يحيى بن معاذ يقول : أفواه الرجال حوانيتها ، وألسنتها صنائعها ، فإذا فتح الرجل باب حانوته تبيّن العطّار من البيطار والتّمار من الزّمار (٩) . . .

ومن أفضل المناقب التى عدّدها أحد الشعراء ، وهو الحسن بن هانئ ، لأحد علماء اللغة ، وهو خلف الأحمر ، أنه :

---

(١) انظر : الخطيب البغدادى : كتاب تقييد العلم ص ٥٨ .

(٢) انظر : ابن عبد البر : جامع بيان العلم حـ ١ ص ٦٩

(٣) الفيروز ابادى : القاموس المحيط . (٤) العسكرى : المرجع السّابق ص ١٢٣ .

(٥) انظر : الشرتونى : أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد .

(٦) الفيروز ابادى : القاموس المحيط . (٧) أحمد رضا : معجم متن اللغة .

(٨) نقلا عن السيوطى : المزهر فى علوم اللغة وأنواعها حـ ٢ ص ٢٢٢

(٩) الزركشى : البرهان حـ ٢ ص ١٥٣

لا يَهِمُ الحاء فى القـــراءة بالخا ء ولا يأخذ إسناده عن الصحف[١]

* * *

لذلك لم يكن غريباً أن يكون الاكتفاء بالأخذ من المصحف بدون موقّف أمراً لا يجيزه المسلمون ، ولو كان المصحف مضبوطاً ، بل إنهم يعدّون هذا الاكتفاء منافياً للدين ، لأنه ترك للواجب ، وارتكاب للمحرّم[٢] . وهم يذهبون إلى هذا بناء على :

١ – أنَّ مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، كما هو مقرر فى الأصول .

٢ – أن صحة السند عن النبى ، عن روح القدس ، عن الله – عزّ وجلّ – بالصفة المتواترة أمر ضرورى للقرآن[٣] .

ويقول ابن حجر العسقلانى : « اعلم أن كل ما أجمع القراء على اعتباره من مخرج ، ومدّ ، وإدغام ، وإخفاء ، وإظهار ، وغيرها ، وَجَب تعلّمه وحَرُم مخالفته » .

ويقول السيوطى : « ولا شكّ أن الأمة – كما هم متعبَّدُون بفهم معانى القرآن وإقامة حدوده – هم مُتَعَبَّدُون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصِّفة المتلقَّاة من أئمة القراء المتّصلة بالحضرة النبوية » . ولعلّ قوله : « على الصفة المتلقّاة . . إلخ » أن يكون صريحاً – فيما يرى علماء القرآن – من أنه لا يكفى الأخذ من المصحف بدون تلقٍّ من أفواه المشايخ المتقنين[٦] .

وابن الجزرى – فى تعريفه للمقرئ – يقول إنه « العالم بالقراءات رواها مشافهة ، فلو حفظ (التيسير) مثلا ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه (من شُوفه به) مسلسلا ، لأن فى القراءات أشياء لا تُحكم إلا بالسّماع والمشافهة »[٧].

وقريب جداً من ذلك تعريف الدمياطى البنا للمقرئ[٨].

والثابت فى السّنّة الصحيحة أن النبى نفسه – صلى الله عليه وسلم – مع كمال فصاحته ومع كونه المصطَفى للرسالة – تعلّم القرآن عن جبريل ، وخاصّة فى السّنة التى انتقل فيها إلى الرفيق

---

(١) العسكرى : المرجع السابق ص ١٨

(٢) انظر : على الضبّاع : بحث فى « التجويد » ، بمجلة كنوز الفرقان ، ع . مايو ويونية ١٩٥٠ ص ١٣

(٣) نفس البحث

(٤) نقلا عن نفس البحث

(٥) الإتقان حـ ١ ص ١٠٠

(٦) على الضّبّاع : البحث السّابق

(٧) منجد المقرئين ص ٣

(٨) انظر : الدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٥

الأعلى : كان جبريل يعارضه – أى يدارسه – بالقرآن ، فى كل سنة مرة ، ثم عارضه عام وفاته مرتين . والعرض على جبريل – فيما يقرر الأئمة – معناه : العرض بتجويد اللفظ ، وتصحيح إخراج الحروف من مخارجها ، ليكون سُنّة فى الأمة[١] .

والقرآن مطلوب القراءة جهراً ، والصلوات الخمس لا يُخَافَتُ فيها بالقراءة إلا فى الظُّهر والعصر[٢] .

* * *

ومنذ عهد النبى (ص) ، وتلقينُ القرآن شفاهاً هو السائد ، وقد أسلفنا أنه كان يبعث إلى من كان بعيد الدار من الصحابة من يعلّمهم ويقرئهم :

بعث – مثلا – مصعبَ بن عمير وابنَ أم مكتوم إلى أهل المدينة ، قبل هجرته ، يعلّمانهم الإسلام ويقرئانهم القرآن[٣]

ولما فتح النبى مكّة خلّف على أهلها معاذ بن جبل يُقرئهم القرآنَ ويفقّههم[٤] .

وكان عُبادة بن الصّامت يعلّم أهل الصُّفَّة القرآن . ولما فُتح الشامُ أرسله عمر بن الخطاب ومعاذا ، وأبا الدرداء ، ليعلّموا الناسَ القرآن هناك[٥] .

ولما أرسل عثمان مصاحفه الأئمة الخمسة إلى الأمصار لم يكتفِ بها ، وإنما أرسل ، مع كلّ مصحف ، عالماً لإقراء الناس بما يحتمله رسمُه . فأمَرَ زيدَ بن ثابت أن يقرئ بالمدينة ، وبعث عبد الله بن السّائب إلى مكة ، والمغيرة بن شهاب إلى الشام ، وعامر بن عبد قيس إلى البصرة ، وأبا عبد الرحمن السلمى إلى الكوفة[٦] .

وكأنّى بعثمان إذ يبعث – مع المصاحف المكتوبة – علماء يَقرءون ويُقْرئون ، ولا يعتبر هذه المصاحف قُصارى ما يتوسّل به إلى نشر القرآن ، كأنّى به كان يتلمّس فكرة كفكرة « المصحف المرتل» التى لم يكن العلم أيامها يسمح بها أو بالتفكير فيها .

---

(١) على الضباع : البحث السّابق

(٢) انظر مثلا : الشافعى : الرسالة ص ١٧٧

(٣) انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى حـ ١٤ ص ٢٠٦ (ط . بيروت)

(٤) انظر : الذهبى : سير أعلام النبلاء حـ ١ ص ٣٢١

(٥) انظر : النووى : تهذيب الأسماء واللغات – القسم الأول ص ٢٥٧

(٦) نقله الجعبرى عن أبى على ، وانظر : حفنى ناصف : تاريخ رسم المصحف – مقدّمة كتاب فى قواعد رسم المصحف – نشرت بالمقتطف ع. أول يوليو ١٩٣٣ – (٨ ربيع الأول ١٣٥٢) ، الجزء الثانى من المجلد ٨٣ ص ٢٠٣ –

على أنّ إيفاد هؤلاء المبعوثين لم يمنع الإدّعاء بأنّ المصاحف المكتوبة الأئمة – لخلّوها من النقط والشكل – كانت تدعو القارئ – فيما بعد – أن يتولى بنفسه نقْط النصّ القرآنى وضبْطه بالشكل ، على مقتضى ما يفهمه هو من معانى الآيات ، وضربوا لذلك مثلا كلمة « يعلمه » فقد كان الواحد – بزعمهم – يقرؤها : « يعلّمه » ، والآخر : « نُعلِّمه » ، والثالث : « تَعْلَمُهُ » ، والرابع : « يَعْلَمه » . . إلخ [١] .

ومعنى هذا – فى رأى اصحاب هذا الادعاء – أن القراءات هى من عند الناس ، وبحسب تأويلاتهم ، وبحسب ما يختارون من علامات الشكل فضلا عما يختارون من حروف [٢] ، وهى دعوى باهظة سنردّ عليها فى فصل تالٍ إن شاء الله ، ولكنها – وليس فى قولنا غلوّ ولا إغراق – ما إن تتكرر هى أو مثلها بعد تسجيل المصاحف المرتلة ؛ وبدهىّ أنها ما كانت لتظهر لو أنّ مصاحف الجمع الصوتىّ سبقتها ظهوراً .

٢

وواضح أنّ من أحكام القراءة مالا يمكن إحكامه أبداً إلاّ بالتلقّى الشفهى ، فالتفخيم ، والترقيق ، والمدّ ، والقصر ، والإدغام ، والإظهار ، والإخفاء ، والرّوم ، والإشمام ، والإبدال ، والنَّقْل ، والإقلاب ، والحذْف ، والإثبات ، والإلحاق ، والإمالة ، والفتح وما بينهما ، وتخفيف الهمزة وما إلى ذلك . كلّ هذا لا يكفى المصحفُ المكتوبُ لتعليمه .

وكذلك إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ، وردّ كلٍّ منها إلى مخرجه وأصله ، والنطق به على كمال هيئته ، من غير إسراف ، ولا تعسّف ، ولا إفراط ، ولا تكلف . . . تلك كلّها لا يحققها المصحف المكتوب إلا أنْ يوجد الملقّن الضّابط ، وتلك كلُّها لا يسهل شرحها المكتوب على طالب القرآن ، بل ربما أدّى به عدم السّماع إلى التفريط أو الإفراط ، فيولّد الحروف من الحركات ، أو يكرر الراءات ، أو يحرّك السواكن ، أو يطنّن النونات بالمبالغة فى الغنّات إلى آخر هذه العيوب .

وقد وُضِعَت كتب غير قليلة لتيسير تعليم التجويد [٣] ، ولكنها لم تغن أبداً عن التعليم

---

(١) آرثر جفرى : مقدمة كتاب المصاحف ص ٧

(٢) آرثر جفرى : نفس الكتاب والصحيفة

(٣) بعض هذه الكتب نفيس ، والكثير منها مخطوط ويستحق النشر .

ومن المخطوطات التى اطلعنا عليها فى دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة والتى تعلّم التجويد : =

الشفهى الذى يذلل صعبها ويوضح غموضها . ومن أمثلة ما ورد فى هذه الكتب من التعريف بمخارج الحروف السبعة عشر، وهى أمثلة يدل القليل منها على الكثير :

قولهم عن مخرج الضاد المعجمة : «إنه جزء من حافة اللسان بُعَيْد الوسط ، وقبل مخرج اللّام ، مع ما يليه من الأضراس العليا : اليسرى على كثرة ، أو اليمنى على قلّة ، أو منهما على عزّة »[١] .

وقولهم عن مخرج اللام إنه « أدنى إحدى حافتى اللسان بُعَيد مخرج الضّاد إلى منتهى طرفه ، مع ما يحاذيها من لثة الأسنان العليا »[٢]

وعن مخرج النون والميم الساكنتين حالة الإخفاء أو ما فى حكمه من الإدغام والغنّة : إنه « الخيشوم » وهو خرق الأنف المنجذب إلى داخل الفم المركب فوق سقف الفم ، ، وليس بالمنخر[٣] »

(ا) تحفة نجباء العصر فى أحكام النون الساكنة والمدّ والقصر ، لزكريا الأنصارى – مخطوطة رقم ٢١٦ و ٢١٧ و ٣٤ مجاميع .

(ب) تحفة الأنام فى الوقف على الهمز لحمزة وهشام – مخطوطة رقم ٩ و٢١٨ و ٣٣٩ مجاميع .

(جـ) شرح عقيلة أتراب القصائد لملّا على (مخطوطة رقم ٢٣ و ٢٤٨) .

(د) الفصول العشرة فى ضوابط القراءة لأبى عمرو البصرى (مخطوطة رقم ٥٧)

(هـ) قرة العين فى الفتح والإمالة بين اللفظين لابن القاصح (مخطوطة رقم ٢٦ و ٤٧ و ٣٠٦ مجاميع) .

(و) اللّطائف المحْسَنَّة فى مباحث الغنّة ، لإبراهيم الدسوقى الحضرى (مخطوطة رقم ٢٨٢)

(ز) مرشدة المشتغلين فى أحكام النون الساكنة والتنوين ، لأبى النصر الناصر الطبلاوى (مخطوطة رقم ٣٤٥)

ومن المخطوطات التى اطلعنا عليها فى نفس الدار ، والتى تعلم أحكام الوقف والابتداء وحدها :

(ا) بيان أوقاف الكفر لأبى منصور الماتريدى (مخطوطة رقم ٧ و ٣٥٤ مجاميع) .

(ب) تقييد وقف القراءات لمحمد بن أبى جمعة الهبطى (مخطوطة رقم ٢٤٣)

(جـ) التنبيهات على معرفة ما يحق من الوقوفات ، لعبد السلام بن أبى الحسن على بن عمر الداودى (ضمن مجموعة خطية رقمها ٢١٠٣ فى علم التفسير) .

(د) مسعف المقرئين ومعين المشتغلين بمعرفة الوقف والابتدا وعدّ الآى ، لمحمد المقرئ الشهير بالقادرى (مخطوطة رقم ١٥٧) .

(هـ) المكتفى فى الوقف والابتداء لأبى عمرو الدانى (مخطوطة رقم ٢١٥) .

وقد ذكر ابنُ النديم أسماء كتب كانت – على عهده – فى الوقف والابتداء فى القرآن ، لكلٍّ من : حمزة ، والفراء ، وخلف ، وابن سعدان ، وضرار بن صُرَد ، وأبى عُمَر الدوريّ ، وهشام بن عبد الله ، وأبى عبد الرحمن اليزيديّ ، وابن الأنبارى ، وابن كيسان ، والجعدى ، وأبى أيّوب سليمان بن يحيى الضبّى . (انظر : الفهرست ص ٣٦ – ط . خياط بيروت) .

وذكر ابن النديم عن نوع واحد من أنواع الوقف ، وهو وقف التّمام أنه كانت فيه تآليف لأحمد بن عيسى اللؤلؤىّ ، والأخفش سعيد ، ونصر ، ويعقوب الحضرميّ ، ونافع بن عبد الرحمن ، وروْح بن عبد المؤمن . (نفس المرجع) .

(١) انظر مثلاً : الحداد : محمد بن على بن خلف الحسينى : فتح المجيد فى علم التجويد ص ٥ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع .

فهذه التعاريف – فيما هو ظاهر – ليست سهلة الفهم على كل فرد .

وقد وُجد من المؤلفين فى قواعد التجويد من يعلّمه بالرسم كوسيلة إيضاح[١] ، ولكن جهدهم – على ما فى بعضه من تقدّميّة علمية مبكّرة – لم يمنع الحاجة إلى التلقين الشفهىّ المتكرر .

* * *

ويستصعب بعض الناس تلك الأحكام المأثورة للقراءة ، فينكرونها ، ويُزْرون بها ، ويحاولون صرف الناس عنها . وقد صوّر أحدُ الكتب المعاصرة حركات المدّ والغنّ والإشمام بأنها « حركات بهلوانية غير مفهومة وغير معلومة ، بل غير لازمة كحركات القرود والمهرّجين »[٢] .

وينتقد هذا الكتابُ السكتَ على بعض الكلمات ، فيقول « إن هذه السكتات لا معنى لها إطلاقا ، ولعل أصلها أن أحد القراء القدماء تنفسّ بين الكلمتين ، أو ابتلع ريقه ، أو عاقه عن متابعة القراءة عائق ، فقلدوه فى ذلك بغير علم ولا فهم » .

ويصف الكتابُ التجويدَ – فى بعض أحكامه – بأنه « باطلٌ مردودٌ ، وسمج مرذول ممجوج »[٤] .

وأظن أن لو كانت تلك الأحكام ميسّرة التّعلم دقيقة النّماذج الصوتية ، كما حدث – فيما بعد – حين سُجّلَت المصاحف المرتلة ، لسهل على الكافة الأخذ بها ، ولما نُسب إليها ما نُسب .

---

(١) انظر على سبيل المثال :

رسالة فى تجويد القراءات لم يعلم مؤلفها ، فيها رسم اللسان ومخارج الحروف – مخطوطة رقم ١٣٣٣ تيمورية بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

وصورة الفم واللسان وباقى الفم من الأسنان ، مع بيان مخارج الحروف – مخطوطة رقم ٦٠٦ تيمورية بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

وعزت عبيد الدعاس : فن التجويد ص ٥٧ .

(٢) كتاب الفرقان ، لمؤلفه محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب ص ١٣٤ – نقلاً عن حكم مجلس الدولة فى القضية رقم ٦٨٥ سنة ٢ القضائية – ١١ مايو سنة ١٩٥٠ المقامة من هذا المؤلف ضد رياسة مجلس الوزراء ووزارة العدل ووزارة الأوقاف والأزهر الشريف – مجموعة أحكام الدولة المجلد ٥ ص ٢٧٥ – ٣٠٥ (ط . لجنة نشر الثقافة القانونية) .

ونذكر أن كتاب « الفرقان » محكوم بمصادرته فى مصر ، ولكننا اطلعنا عليه عَرَضاً فى مكتبة وايدنر بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية .

(٣) نفس الكتاب .

(٤) ص ١٣٥

والوقف والابتداء اللذان لا يتأتّى – غالباً – لأحدٍ معرفةُ معانى القرآن ولا استنباطُ الأدلّة الشرعية منه إلا بمعرفتهما ، واللّذان يخلّان بالفهم ، إذا كانا فى غير مكانهما ، بل إن منهما القبيح (١) الذى يكفر فاعِلُهُ لو تعمّده (٢) . . هذان الموضوعان لا يعلّمهما – فيما هو واضح – مثل التلقين الشفهى من المعلّم المحسن .

٣

والمصاحف المكتوبة لها – لحسن الحظ – أصول أئمة ثابتة ، يسهل على كل من يستطيع القراءة مراجعتها والمطابقة عليها ، ولذلك قلّ ، إن لم يكن انعدم ، التّغيير – بأى شكل – فى كتابة القرآن ، على مدى الزمن ، وأمكن – فى غير صعوبة – درء أى خطأ أو ابتداع كتابى يظهر . أما الابتداع الصوتى ، فقد يصعب على الكثيرين – ولو كانوا على حظّ من المعرفة – أن يستكشفوه . ومصداق ذلك أنه لم يتمكن حتى أعداء القرآن من النجاح فى أىّ ابتداع يمسّ حرفاً واحداً فى نصوص القرآن المكتوبة والمجمع عليها ، بينما وقع – فى القراءة – حتى من بعض المسلمين ، من جراء الجهل أو التساهل ، ابتداع ما ليس فى قوانين الأداء القرآنى . وفوق أن الخطأ فى الأداء الصوتى أكثر ، فإنّ المجادلة فيه أيسر .

٤

وكان من أدعى الأمور إلى تفكيرى فى جمع القرآن صوتيًّا أن من العلماء من لم يقولوا بتواتر طرق القراءات . ومنهم من يخرج من التواتر المدّ والتسهيل وما شابههما ، مما يرون أنه لم يوقف على كيفيته بالسمع :

---

(١) من أمثلة الوقف القبيح : الوقف على ما يتعلق به ما بعده لفظا ومعنى ، ولم يُفِدْ ، أو أفاد معنى غير مقصود ، كالوقف على لفظ (بسم) من (بسم الله) و (الحمد) من (الحمد لله) . وكالوقف على (لاَ تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ) .

(انظر : الحداد : محمد بن على بن خلف الحسينى : فتح المجيد فى علم التجويد ص ١٥) .

(٢) من الأمثلة : الوقف على « لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا » ، ثم الابتداء عمداً بـ « إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ » ، والوقف عمداً أيضاً على نحو : « مَا مِنْ إِلَٰهٍ » .

(انظر : أبو منصور الماتريدى : بيان أوقاف الكفر – الورقتان ٢٤ و ٢٥ – المخطوطة رقم ٧ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القوميّة بالقاهرة) .

(ا) يقول ابن الحاجب[١] فى كتابه « مختصر الأصول » : « القراءات السبع متواترة فيما ليس من قِبَل الأداء ، كالمدّ ، والإمالة وتخفيف الهمزة ، ونحوه ، أى فإنه غير متواتر »[٢].

(ب) وورد فى « لطائف الإشارات » للقُسْطلاّنى :

« إن هذه الهيئات غير متواترة ، عند ابن الحاجب وأبى حنيفة ، كما صرّح به آخرون من غير أئمة التحقيق »[٣]

(حـ) وقيل إن أحمد بن حنبل قال عن قراءة حمزة : « لا تعجبنى لما فيها من طول المدّ وغيره » ، فإن صحّت هذه الرواية فإنها تعنى أن أحمد بن حنبل لم يكن يرى المدّ متواتراً[٤] .

(د) ويرى ابن خلدون ذلك الرأى أيضاً ، حيث يقول فى مقدّمته ، فى فصل (بحث علوم القرآن) : « وهذه القراءات السبع معروفة فى كتبها . . وقد خالف بعضُ الناس فى تواتر طرقها ، لأنّها – عندهم – كيفيات للأداء ، وهو غير منضبط ، وليس ذلك بقادح فى تواتر القرآن ، وأباه الأكثر ، وقالوا بتواترها . وقال آخرون بتواتر غير الأداء منها ، كالمدّ ، والتسهيل ، لعدم الوقوف على كيفيته بالسمع ، وهو الصحيح »[٥] .

(هـ) ويقول الكاتب المعاصر مصطفى صادق الرافعى إن عدم تواتر ما هو من قبيل المدّ والإمالة ونحوها هو « الوجه المُتَقَبَّل »[٦] .

وقد رد العلماء منذ قديم على هذا الرأى :

١ – روى الطبرانى وغيره عن مسعود بن زيد الكندى ، قال : كان عبد الله بن مسعود يقرئ رجلا ، فقرأ الآية : « إِنَّمَا الصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَٰكِينِ وَالْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا »[٧] مرسلة – أى من غير مدّ – فقال ابن مسعود : ما هكذا أقرأنيها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

فقال : كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن ؟

---

(١) من علماء الأصول ، ولد فى إسنا من الصعيد سنة ٥٧٠ هـ ، وتوفى بالإسكندرية سنة ٦٤٦ هـ ، وانظر : السيوطى : بغية الوعاة ص ٣٢٣ .

(٢) انظر : القاسمى : محاسن التأويل حـ ١ ص ٣٠٦ .

(٣) المخطوطة رقم ٦٠٦ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة – الورقتان ١٤ و ١٥ .

(٤) الزركشى : البرهان جـ ١ ص ٣١٩ و ٣٢٠ .

(٥) مقدمة ابن خلدون (بتحقيق على عبد الواحد وافى) حـ ٣ ص ٩٩٤ .

(٦) إعجاز القرآن ص ٥٨ .

(٧) سورة التوبة / ٦٠ .

قال : أقرأنيها : « إِنَّمَا الصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَاءِ » فمدّ « الْفُقَرَاءِ » [١] .

ومما وُصفتْ به قراءة النبي (ص) أنها كانت ترتيلا لا هذًّا ولا عجلةً ، بل قراءة مفسرة حرفاً حرفاً ، وكان يقطّع قراءته آيةً آيةً ، وكان يمدّ عند حروف المدّ ، فيمدّ « الرَّحْمَٰنَ » ويمدّ « الرَّحِيمِ » [٢] .

وهكذا ثبت أن النبي صلّى الم عليه وسلم لقّن الصحابة كيفية المدّ ، وهؤلاء – طبعاً – لقنوها الأمة .

٢ – ويرى الزركشي أنّ رأى ابن الحاجب ضعيف ، ويقول :

والحق أن المدّ والإمالة لا شك فى تواتر المشترك بينهما ، وهو المدّ من حيث هو مدّ ، والإمالة من حيث إنها إمالة ، ولكن اختلف القراء فى تقدير المدّ ، فمنهم من رآه طويلا ، ومنهم من رآه قصيراً ، ومنهم من بالغ فى القصر ، ومنهم من تزايد :

فحمزة وورش : بمقدار ست ألفات ؛ وقيل : خمس ؛ وقيل : أربع .

وعن عاصم : ثلاث

وعن الكسائى : ألفان ونصف .

وقالون : ألفان .

والسّوسى : ألف ونصف[٣] .

٣ – وقد ناقش ابن الجزرى دعوى ابن الحاجب مناقشة تفصيلية انتهى منها – فى شأن تواتر المدّ – إلى ما خلاصته :

(ا) أن المد الطبيعى – كالألف فى (قال) ، والواو من (يقول) ، والياء من (قيل) – لا يقول مسلم بعدم تواتره ، إذ لا يمكن القراءة بدونه .

(ب) وأن المدّ العَرَضى ، وهو الذى يعرض زيادة على الطبيعى لموجب إما سكون أو

---

(١) قال الهيثمى : رواه الطبرانى ، ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد جـ ٧ ص ٥٥)

(٢) رواه البخارى عن أنس :

وانظر : البغوى القراء ؛ مصابيح السنّة جـ ١ ص ١٠٦ .

وابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٤ .

وابن الجزرى : النشر جـ ١ ص ٢٠٨ .

وابن كثير الدمشقى : فضائل القرآن ص ١٦٢ و ١٦٣ .

وابن الأثير الجزرى (أبو السعادات) : جامع الأصول من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم جـ ٣ ص ١٧ و١٨ .

(٣) انظر : الزركشى : البرهان جـ ١ ص ٣١٩ و ٣٢٠ .

همز ، فيلحق بالطبيعي ، ولا يجوز فيه القصر ، وأنه – من حيث هو متواتر – مقطوعٌ به ، وقرأ به النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأنزله الله تعالى عليه .

(ح) وأن القدر المشترك من المدّ متواتر ، وما زاد فهو صحيح مستفيض متلقّى بالقبول ، إن لم يكن متواتراً (١) .

٤ – ويورد ابن الجزرى – فى شأن الإمالة والتفخيم – أقوال علماء القرآن ، ويقرّر معهم : « أن القرآن نزل بهما جميعاً ، وأن من قال إن الله تعالى لم يُنزل القرآن بالإمالة أخطأ ، وأعْظَم الفِرْيةَ على الله تعالى ، وظنّ بالصحابة خلاف ما هم عليه من الورع والتقوى »(٢)

وكذلك يرى « أنّ تخفيف الهمزة ونحوه من النّقل ، والإدغام ، وترقيق الراءات ، وتفخيم اللامات ، متواتر قطعاً ، ومعلوم أنه منزل من الأحرف السبعة ، ومن لغات العرب الذين لا يحسنون غيره »(٣) .

وهو يتساءل : « كيف يكون ما أجمع عليه القراء أُمماً عن أُمَمٍ غير متواتر ؟ وإذا كان المدّ ، وتخفيف الهمزة ، والإدغام غير متواتر على الإطلاق فما الذى يكون متواتراً ؟(٤) » .

٥ – ويقول ابن الجزرى ما خلاصته أيضاً : إنه لا يعلم أحداً تقدّم ابن الحاجب إلى ذلك ، وإن أئمة الأصول ، كالقاضى أبى بكر ، وغيره ، قد نصُّوا على تواتر ذلك كلّه ، وهو الصّواب ، لأنه إذا ثبت تواتر اللفظ ثبت تواتر هيئة أدائه ، بل كان هذا من باب أوْلى ، لأن اللفظ لا يقوم إلاّ به ، أولا يصحّ إلا بوجوده(٥) .

٦ – وهنديّة « الدمامينى » تنفى أن يكون نقل القراء لطرق الأداء أقلّ من نقل ناقلى العربية ، والأشعار ، والأقوال ؛ ثم يقول : « فكيف يطعن فيما نقله القراء الثقات بأنه لم يجئ مثله ؟ ولو نقل ناقلون عن مجهول الحال لقبلوه ، فقبول هذا أوْلى »(٦) .

٧ – ويوسف الدجوىّ يقول – فى هذا الشأن – إنه جاء عن الذين جمعوا القرآن « أنهم كانوا يرسلون إلى الرجل ، وهو على ثلاث من المدينة ، فيقولون له : كيف أقرأك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم آية كذا ؟ (وقد تركوا لها مكاناً) ، فأنت تراهم قد جاءوا به وهو على ثلاث من

---

(١) انظر : ابن الجزرى : منجد المقرئين ص ٥٧ وما بعدها .

(٢) نفس المرجع

(٣) نفس المرجع

(٤) نفس المرجع

(٥) انظر : النشر حـ ١ ص ٣٠ ، والسيوطى : الإتقان حـ ١ ص ٨٠

(٦) انظر : حمزة فتح الله : المواهب الفتحية حـ ١ ص ٥٤

المدينة ، ليسألوه عن الكيفية التى أقرأه بها الرسول » . ثم يقول الدجوى مستنبطاً : « فإذاً ، لا بدّ أن تكون الكيفية مأخوذة عن الرسول كما أنّ الأصل مأخوذ عن الرسول »(١)

* * *

وليس الذى يتصل بموضوعنا من سرد الرّدود التى اعتُرض بها على رأى ابن الحاجب والذاهبين مذهبه مجرّد دُحض هذا الرأى ، ولكن الذى يتصل بموضوعنا من ذلك هو أن الوقوف على كيفية الأداء بالسّمع أمرٌ تطلّع إليه السّابقون ، وبَنَوْا على الشكّ فى استيفائه أحكاماً لها خطورتها .

ونظن أن لو تقدم الزمن بمشروع الجمع الصوتى للقرآن لما تشكّك المتشككون فى تواتر ما هو من قبيل الأداء .

* * *

على أن التواتر المشروط فى تلقّى القرآن يقتضى بالضرورة – عدداً من الرواة يصعب تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه(٢). والقراءات المخالفة لقراءة حفص قلّ عدد العارفين ببعضها فى مصر نفسها فضلا عن البلاد الأخرى . والظنّ أن تسجيل كلّ القراءات المتواترة ونشرها وتمكين المسلمين فى كل بلد من تعلّمها يكفل – ضمن ما يكفل – بقاء التواتر بشكله الشرعى الواجب . وقد كان هذا بالفعل حافزاً خطير الشأن من حوافز دعوتنا إلى الجمع الصوتى للقرآن .

وصحيح أن الله تعالى تكفّل بحفظ القرآن إذ يقول : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »(٣) ، ولكنّ هذا – بداهةً – لا يتعارض مع التفكير فى المحافظة على هذا الكتاب ، ولا يعنى استغناء المسلمين عن هذا التفكير ، وقد خاف عمر بن الخطاب من ضياع بعض القرآن ، وكان خوفه هو سبب تفكيره فى الجمع الكتابى الأول . وقد قيل إنه ربما كان مما خاف عمر « أنْ ينقطع تواتر القرآن فى بعض الأوقات أو فى الأطراف »(٤) .

وكذلك خاف ابن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٢ هـ ، وشيخ القراء فى عصره ، والذى حَمَل المسلمين ، فى كل الدنيا ، على القراءات السّبع التى اختارها لهم . . . خاف على القرآن من قراء :

---

(١) الجواب المنيف ص ٣٢ .

(٢) السيوطى : الإتقان حـ ١ ص ٧٧ .

(٣) سورة الحجر / ٩ .

(٤) شرح العقيلة – الورقة ١٤ المخطوطة ٣٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

« منهم من يؤدّى ما سمعه ممن أخذ عنه ، ليس عنده إلاّ الأداء لما تعلّم ، لا يعرف الإعراب ولا غيره ، فذلك الحافظ ، فلا يلبث مثله أن ينسى إذا طال عهده ، فيضيّع الإعراب لشدّة تشابهه ، وكثرة فتحه وضمّه وكسره فى الآية الواحدة ، لأنه لا يعتمد على علم بالعربيّة ، ولا به بصر بالمعانى يرجع إليه ، وإنما اعتماده على حفظه وسماعه .

وقد ينسى الحافظ ، فيضيع السّماع ، وتشتبه عليه الحروف ، فيقرأ بلحن لا يعرفه ، وتدعوه الشّبهة إلى أن يرويه عن غيره ، ويبرئ نفسه ، وعسى أن يكون – عند الناس – مصدّقا ، فيُحْمَل ذلك عنه ، وقد نسيه ، ووَهِم فيه ، وجسر على لزومه والإصرار عليه .

أو يكون قد قرأ على من نسى وضيّع الإعراب ، ودخلته الشّبهة ، فيتوهم ، فذلك لا يقلّد القراءة ، ولا يحتجّ بنقله .

ومنهم من يُعرب قراءته ، ويبصر المعانى ، ويعرف اللغات ، ولا علم له بالقراءات واختلاف الناس والآثار ، فربمّا دعاه بصره بالإعراب إلى أن يقرأ بحرف جائز فى العربية لم يقرأ به أحد من الماضين ، فيكون ذلك مبتدعاً ، وقد رُوِيت ، فى كراهة ذلك وحظْره – أحاديث . .[1] »

ولعلّ فى خوف عمر ، وخوف ابن مجاهد ملحظا يتنبه له من قد يصدفون عن فكرة الجمع الصوتى ، أو من قد يقلّلون من قدرها وأهميتها .

ولعلَ المصاحفَ المرتلة التى يسّجلها هذا الجمع الأدق الأضبط أن تكون البديل الأمثل للحافظ المتقن الذى تتحرّاه دنيا الإسلام ، والذى أثنى عليه ابن مجاهد ، ووصفه بأنه « المعرب العالم بوجوه الإعراب والقراءات ، العارف باللغات ومعانى الكلام ، البصير بعيب القراءات ، المنتقد للآثار ، فذلك الإمام الذى يفزع إليه حفّاظ القرآن ، فى كل مصر من أمصار المسلمين »[2].

٥

وقد يقال إن فرصة التسجيل الصوتى القرآنى المطابق لقراءة الصحابة المتلقّين عن النبى صلى الله عليه وسلم قد فاتت ، لأنه مضى على عصرهم نحو ثلاثة عشر قرناً ، ومن ثم لم يعد الإسناد عالياً .

---

(١) ابن مجاهد : كتاب السبعة فى القراءات ص ٤٥ و ٤٦ .

(٢) نفس المرجع ص ٤٥ .

والردّ على هذا :

١ – أن القرآن بالإجماع – هو الآن – بألفاظه وكيفية أدائه – القرآن الذى أنزله الله على رسوله ، والذى قرأه الرسولُ ، وصحبهُ ، والتَّابعون ، ولن تُضْعف من هذا الإجماع الدعاوى القليلة التى سنشير إليها فى فصل آخر ، والتى لا تستطيع الثبات أمام التحقيق العلمى ، والتى فُنِّدتْ منذ قديم . وكذلك مُحِّصَتْ تماماً – منذ وفاة الرسول – الخلافات اليسيرة التى قيل إنها وقعت فى المصاحف الخاصة لبعض الصحابة ، على نحو ما سنشير إليه فى مواضع أخرى من هذا البحث ، وقُضِىَ نهائيًّا أمرها جميعاً ، وظلّت نصوص القرآن المتواترة فى كل مكان باقية على القرون ، من غير أية زيادة أو أى نقص ، وصار من خصائص أمّة القرآن أن يفطن – حتى الكثيرون من عامّتها وصغار السّنّ فيها – إلى أىّ خطأ أو سهو يقع فى تلاوته أو كتابته .

وقد عُنِى التابعون وتابعوهم – ماوَسِعَتْهُم العناية – بصون الألسنة عن الخطأ فى النطق ، بأىّ حرف من حروف القرآن ، ومنع أى لبس أو اشتباه فى القرآن ، فأضافوا إلى النصّ المكتوبِ النقطَ والتشكيلَ والضوابطَ والمحسِّنات الخطيةَ .

ومن أوائل هؤلاء : أبو الأسود الدؤلى [١] الذى تقول إحدى الروايات إن زياداً أمير العراق طلب إليه أن يضع للناس علامات تضبط قراءتهم ، فَشَكَّل أواخر الكلمات ، وجَعَلَ الفتحةَ نقطةً فوق الحرف ، والكسرةَ نقطةً تحته ، والضمةَ نقطة إلى جانبه ، وجعل علامة الحرف المنّون نقطتين[٢] .

وتقول رواية أخرى إنّ على بن أبى طالب سمع قارئاً يقرأ : « أَنَّ اللهَ بَرِىءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ »[٣] بكسر اللام فى « رسول » وهو كفر ، فتقدّم إلى أبى الأسود « حتى وضع للناس أصلاً ، ومثالا ، وبابا ، وقياسا ، بعد أن فتق له حاشيته ، ومهد له مهاده ، وضرب له قواعده [٤]

---

(١) انظر ترجمته فى : القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ١٦١ .

وطاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم جـ ١ ص ١٤٨ وما بعدها .

(٢) انظر : أبو عمرو الدانى : النقط – مخطوطة بمكتبة بلدية المنصورة رقم ٢٧ ص ٢ و ٣ ، وابن الأنبارى : نزهة الألبا فى طبقات الأدبا ص ١٠ ، ١١ ، وعز الدين بن عبد السلام : فائدة من أمالى عز الدين بن عبد السلام ص ٦٧ و ٦٨ .

(٣) سورة التوبة / ٣ .

(٤) أبو حيان التوحيدى : البصائر والذخائر مجلد ١ ص ٢١٦ وانظر : ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ١٤ ص ٤٣ (ط . أحمد فريد رفاعى) والبلوى : ألف با جـ ١ ص ٦ والعسكرى : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١٣ .

وقيل فى رواية ثالثة إنما وضع أبو الأسود الدؤلى النحوَ حين سمع رجلا يقرأ : « أَنَّ اللهَ بَرِىءٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ » (١) بالجرّ . فقال : لا يسعنى إلا أن أضع شيئاً أصلح به لحن هذا ، أو كلاماً هذا معناه (٢) .

وكذلك كان من أوائل أولئك : نصر بن عاصم الذى أمره الحجاج بنقط الحروف (٣) . ومن أوائلهم أيضاً : الخليل بن أحمد الذى شكل الكلمات : فجعل الفتحة ألفاً مسطوحة فوق الحرف ، والكسرة ياءً تحته ، والضمة واواً فى أعلاه ، وجعل علامات للمدّ والتشديد (٤) .

وتعدّدت الكتب المؤلفة فى النقط والشّكل للقرآن . وقد ذكر ابنُ النديم من هذه الكتب

= والبلوى : ألف با جـ ١ ص ٤٦ والعسكرى : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١٣ .

(١) سورة التوبة / ٣

(٢) البلوى : ألف با جـ ١ القسم الثانى ص ٢١٠ وما بعدها

ويقول جورجى زيدان ، عن فعل أبى الأسود الدؤلى فى ضبط حركات الألفاظ القرآنية :

« والأرجح : أنه اقتبس ذلك من الكلدان أو السّريان جيرانه فى العراق » (التمدن الإسلامى » جـ ٣ ص ٦٠)

ويقول مرة أخرى ، نقلا عمّن يُدعى المطران يوسف داود (المتوفى سنة ١٨٩٠ م) . فى كتاب له اسمه : (اللمعة الشّهيّة فى نحو اللغة السّريانية ط . الموصل سنة ١٨٧٩ م) :

« إنّ هؤلاء – يريد السّريان – كان عندهم أيضاً فقط هى حركات وضعها يعقوب الرُّهاوى ، قُبَيْل ذلك الزّمن . . . ، والظاهر : أنّ أبا الأسود اقتبس هذه الحركات . . . إلخ » (نفس المرجع)

وواضح أنّ هذا يضادّ كلّ الروايات الإسلامية ، وفيه محاولة متعصبة لتجريد أبى الأسود من فضل ابتكاره التّاريخىّ .

وكما رأينا ، لم يعتضد زيدان فى دعواه إلا بمرجع خفيف جداً فى ميزان العلم . ولعل استعمال زيدان لكلمتى : (الأرجح) و(الظاهر) أنْ يفيد بعض التشكك فى دعواه .

وربّما كان أبْين فى تهافت دعوى زيدان وتضارب أدلّتها ، أنه هو نفسه – بعد حديثه عن استعمال النقط فى تحديد حركات الألفاظ القرآنية – ما لبث أن نفى وجود النقط فى السريانية ، فقال ، وهو يتحدّث عن الإعجام : « كان الخطّ لما اقتبسه العرب من السّريان والأنباط – خالياً من النقط ، ولا تزال الخطوط السريانية بلا نقط إلى اليوم » (نفس المرجع ص ٦١) . وهذا – كما نرى – نفى مطلق حاسم .

وكما يقول أحمد الكندرى : « دعوى أنّ العربية أخذت من أخواتها ، لا أنّ أخواتها هى التى أخذت منها تحكّم ومجازفة ، بل المعقول أنها جميعاً أخذت من أمّها السّاميّة المجهولة ، على أنّ هناك فريقاً من العلماء يستظهر أنّ العربية هى أمّ اللغات السّامية القديمة » (بحث بعنوان : التعريب – مجلة الزهراء التى كان يصدرها محبّ الدين الخطيب ع . ربيع الأول ١٣٤٣ هـ)

وعندنا : أنه حتى لو صحّت دعوى اقتباس أبى الأسود من الكلدان أو السّريان ما نقص ذلك من فضل أبى الأسود شيئاً .

(٣) أبو عمرو الدانى : النقط ص ٣ – المخطوطة السالفة الذكر .

(٤) المرجع السابق

وانظر ايضاً : عبد الله بن محمد بن عثمان الشهير بفوزى المغربى : الفرائد الجليلة والفوائد الجميلة ، منظومة مخطوطة رقم ٢٢٧٣٠ ب بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ص ٧ و ٨ .

واحداً فى النقط لكلٍّ من الخليل ، ومحمد بن عيسى ، واليزيدى ، وواحداً فى النقط والشكل لكلٍّ من ابن الأنبارى والدينورى . وكتابا فى النقط والشكل بجداول ودارات لأبى حاتم السجستانى[١] .

ولم يكن هذا غريباً ، فاللّحن عندهم هو – لغةً – العدول عن طريق الصواب يقول أبو سعيد السّيرافى : « ما عرفت حقيقة معنى النحو إلا من معنى اللحن الذى هو ضدّه ، فإن اللحن عدول عن طريق الصواب ، والنحو قصْدٌ إلى الصواب[٢] »

وهم يستقبحون اللحن ويتحرزون منه :

كان مسلمة بن عبد الملك يقول : اللحن فى الكلام أقبح من الجدرى فى الوجه[٣]

وعبد الملك كان يقول : اللحن فى الكلام أقبح من التفتيق فى الثوب النفيس[٤] .

وقال كشاجم فى كتاب « النديم » : واللحن عندهم (يعنى عند العرب) يجوّر الجمال (أى يقوضه) ، كما أن الفصاحة تُعَفّى على القبح[٥] .

بل إنّ من المسلمين مَنْ عَدُّوا اللحن فى أية قراءة عربية – ولو فى غير القرآن – ذنباً :

عثر مرة لسان الحسن البصرىّ بشىء من اللحن ، فتراجع ، وقال : أستغفر الله !

فسأله من سمع ذلك منه عن سبب الاستغفار ، فقال : من أخطأ فى العربية فقد كذب على العرب ، ومن كذب فقد عمل سوءاً ، وقد قال الله عزّ وجلّ : « وَمَنْ يَعْمَلْ سوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَه ثمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غفوراً رَحِيماً »[٦]

وسمع الخليل بن أحمد أيوب السختيانى يحدّث بحديث ، فلحن فيه ، فقال : أستغفر الله ! (يعنى أنّه عدّ اللحن ذنباً)

وحتى فى زمننا الحاضر ، تلا الشاعر حافظ إبرهيم شعراً فى مجلس الشيخ محمد محمود التركزى الشنقيطى ، فلحن فى حركة العين من أحد الأفعال ، فغضب الشيخ الشنقيطى ، وقال له : كذبت[٧] .

(١) الفهرست ص ٣٥ (ط . خياط ببيروت) .

(٢) انظر : هامش البيان والتبيين للجاحظ (بتحقيق حسن السندوبى) جـ ١ ص ١٦٠ .

(٣) انظر : ابن قتيبة : عيون الأخبار جـ ٢ ص ١٥٨ .

(٤) نفس المرجع .

(٥) أبو حيان التوحيدى : البصائر والذخائر المجلد ١ ص ٤١١ .

(٦) سورة النساء / ١١٠ .

(٧) روى هذا المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف ، (وانظر : مجلة الأزهر ، المجلد ١٢ ج ٢٤ ص ٨٤٢) .

ولا ريب أنهم استهولوا اللحن فى القرآن ، وعدّوه أشدّ بشاعة مما هو فى أى كلام ، فهو قد يغير المعنى تغييراً ينفر منه القرآن نفسه ، فمثلا لو قرأ رجل عامداً الآية : « هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ »[١] بفتح الواو فى المصوِّر لكَفَر . وقد تقدمت الإشارة إلى مثل هذا اللحن الخطر .

والمأمون يقول لبعض ولده ، حين سمع منه لحناً :

« ما على أحدكم أن يتعلم العربية ، فيقيم بها أوده ، ويزين بها مشهده ، ويفلّ حجج خصمه : يمس كتاب حكمه ، ويملك مجلس سلطانه ، بظاهر بيانه . . . إلخ »[٢] .

وفى الحديث المرفوع : رحم الله عبداً أصلح لسانه[٣] .

وقيل للحسن : إنّ لنا إماماً يلحن .

قال : أخروه[٤]

ومن الهزل القبيح الذى نرجو أن يدفعنا إلى الجدّ الصريح فى أمر القرآن : ما رواه الجاحظ من أن ابن ضحيان الأزدى كان من اللحانين الأشراف ، وكان يقرأ : « قُلْ يَاأَيُّهَا (الكافرين)[٥] فقيل له فى ذلك ، فقال : قد عرفتُ القراءة فى ذلك ، ولكنى لا أجلّ أمر الكفرة[٦] !

وهنا نذكر أن تغيير ألفاظ القرآن عمداً هو – بإجماع العلماء – كفر .

* * *

ولدرء اللحن فى القرآن ، نَشَأَتْ له ، منذ قديم ، علوم خاصة غايتها أن تكفل إحكام قراءته . وقد غدا لهذه القراءة فن تخصصت فيه طبقات متعاقبة من العلماء بَزّز منهم أئمه لهم شهرتهم .

وكان الحكام يكتبون المصاحف ، على نَسَق مصحف عثمان ، ويهدونها إلى المساجد ، ويبعثون بها إلى الأمصار ، لتكون مرجعاً للناس يسترشدونه فى تصحيح ما لديهم من مصاحف .

ومن أمثلة الأدلة القوية على عناية المسلمين البالغة بضبط المصحف أنّ والى مصر :

---

(١) سورة الحشر/ ٢٤ .

(٢) انظر : الحصرى القيروانى : زهر الآداب جـ ٢ ص ٧١٩ .
والبيهقى : المحاسن والمساوىء ص ٤٥٣ .

(٣) انظر : البيهقى : نفس المرجع .

(٤) أنظر : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٢٣

(٥) سورة الكافرون / ١ ، واللفظ فى المصحف : « ٱلْكَٰفِرُونَ » .

(٦) يعنى بالرفع ، فهو يرى الرفع إجلالاً لهم ، فيعدل عنه إلى الخفض .
وانظر : الجاحظ : البيان والتبيين (بتحقيق وشرح حسن السندوبى) جـ ٣ ص ٣٢٠ .

عبد العزيز بن مروان أمر فكتبوا له مصحفا ، فأعلن – بعد الفراغ من كتابته – أنّ من وجد فيه حرفاً خطأ فله رأس أحمر (أى جمل أحمر) ، وثلاثون ديناراً ، فوجد فيه أحد قراء الكوفة لفظة « نجعة » ، بدل « نعجة » ، فأخذ الجائزة[١] .

وقد كُتِبَتْ خلال أربعة عشر قرناً مصاحف لاعدّ لها ، وقد سَلِمَتْ كلّها من التغيير والتبديل . والقليل من التحريف أو التصحيف الذى وقع فى بعض المصاحف لم يستطع لحياة قَطّ ، هذا مع كثرة أعداء القرآن والمتربّصين به .

٢ – ومع أنّ الردّ آنفا كافٍ جداً لإثبات أنّ فرصة الجمع الصوتىّ للقرآن لم تفُتْ ، ولن تفوت ، ما دام القرآن بألفاظه ، وكيفية أدائه ثابت التواتر ، من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى قيام السّاعة ، فإننا نضيف أنه يمكن أن نستنبط أن الإسناد القرآنى لا يزال عالياً ، فقياساً على المتبع ، بالنسبة للحديث النبوى عند أهله ، يمكننا تقسيم الإسناد القرآنى إلى أقسام منها :

(ا)القرب – من حيث العدد – من رسول الله ، وهو صلوات الله عليه المنزل عليه القرآن. على أن يكون هذا القرب بإسناد « نظيف غير ضعيف » كما يعبّر السيوطى[٢] . ونعتقد أن ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن تفصل بيننا وبين الرسول ليست زمنا متمادياً يجعل قراءات القرآن ورواياته محفوفة بأىّ شك .

وزمننا – على أية حال – أقرب إلى عهد النبى صلى الله عليه وسلم من الأزمنة القدمة . وإذا كانت البشرية لم تهتد إلى التسجيل الصوتىّ إلاّ متأخّراً ؛ وإذا كان المسلمون حتى بعد هذا الاهتداء – لم يفكّروا فى الجمع الصوتى ، وظلّوا على عدم تفكيرهم فيه قرابة قرن ، فإن الأمر يستلزم ستدراك ما فات ، دون إبطاء جديد .

والقرآن هو آخر الكتب المنزّلة ، وقد جاء مهيمناً على هذه الكتب ، وناسخاً لبعض أحكامها ، ولن يخضع لهيمنة أىّ كتاب ، فعلى المسلمين – حين يجمعونه صوتياً – أن يذكروا أنهم يعملون لمستقبل مديدٍ موصول بيوم القيامة .

(ب) ومن أقسام الإسناد القرآنى التى يمكن التقسيم إليها : القرب من إمام من أئمة القراءات ، وهؤلاء زمنهم أدنى إلينا من زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، فالإسناد الصحيح إليهم له قيمته ، ولا يصحّ إهداره . وقد كان أعلى إسناد للقرآن – على عهد السيوطى –

---

(١) المقريزى : الخطط والآثار جـ ٢ ص ٢٥٤ (٢) الإتقان جـ ١ ص ٧٣

أى منذ أقل من خمسمائة سنة ، إسناداً رجاله أربعة عشر بالنسبة لقراءة ابن عامر ، ومن رواية ابن ذكوان ، ثم خمسة عشر رجلا ، بالنسبة لقراءة عاصم من رواية حفص ، وقراءة يعقوب من رواية رويس[١] .

وفى رأينا : أنّ خمسة قرون أو ما دونها تفصل بيننا وبين أسانيد محكوم بعلوّها هى فترة لا تفقدنا أسباب الإتقان والدّقة .

(ح) ومن أقسام الإسناد القرآنى : القرب إلى بعض الكتب المشهورة فى القراءة ، كالتيسير ، والشاطبية ، ونحن قريبو العهد بهذه الكتب الموثوق بصحتها فإذا جمعنا القرآن صوتيًّا على أساسها أيضاً فلن يكون جمعنا متأخراً ، ولن تعوزه أمانة النقل ولا كمال الضبط .

* * *

هذا ، والثقة فيما ينقل من القرآن والقراءات تتْبعُ – فى الدرجة الأولى – قوة السند لا مجرّد علّوه .

وقد رأينا آنفا أنه – فى إسناد القرآن – يجتمع الاثنان : العلو والقوة ، وهذا – لا ريب – أقوى وأقوم .

---

(١) نفس المرجع

الفصل الثانى

المحافظة على القراءات المتواترة والمشهورة

١

نزل القرآن بلسان عربى ، وهذا اللِّسان – ككلّ الألسنة – انشعبت منه ، منذ قديم ، لهجات متعددة متباينة فى بعض مظاهر الصوت والدلالة والقواعد والمفردات . وقد دعت إلى هذا التباين أسباب لعلّ من أهمها أنّ أعضاء النطق تختلف فى بِنْيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعاً لتنوع الخواصّ الطبيعية المزودّ بها كلّ شعب ، والتى تنتقل – عن طريق الوراثة – من السَّلَف إلى الخلف[1] .

وبالضرورة ، وإزاء هذه الأسباب القوية ، ليس يسهل على كلّ أحد أن يستبدل لهجة جديدة بلهجة جرى عليها لسانه طفلا وناشئا وكهلا . وحتى – بعد طول المحاولة والمعاجة – قد يظل الأمر عسيراً على شيخ يأبى لسانه تغيير ما أَلِف السنين ، وامرأة ليس لها غالباً على ما تعوَّدَتْه من طرائق الكلام سلطان . روى الترمذى – فى موضوع نزول القرآن على سبعة أحرف – أن النبى قال : يا جبريل ! إنّى بُعِثْتُ إلى أمّةٍ أمّيّين ، منهم : العجوز ، والشيخ الكبير ، والغلام ، والجارية ، والرجل الذى لم يقرأ كتاباً قط[2] .

وقد باعد أيضاً بين القبائل العربية وبين وحدة لغتهم آنذاك ما كانوا عليه « من شدّة الأنفة وعظيم الحميّة ومزيد الجهالة »[3] .

وقد كان بين القبائل العربية اختلاف فى نبرات الأصوات وطريقة الأداء . فكان فيهم من يُدْغم ومن يُظْهر ، ومن يُخْفى ومن يُبين ، ومن يُميل ومن يَفْتح ، ومن يُفَخِّم ومن يُرَقِّق ،

---

(١) انظر فى موضوع اختلاف اللهجات : على عبد الواحد وافى : علم اللغة ص ٢٦٧ .

(٢) انظر : صحيح الترمذى بشرح أبى بكر بن العربى المالكى حـ ١١ ص ٦٣ وما بعدها كتاب القراءات وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ ٩ ص ٢٠ (ط . البهية) .

(٣) يوسف الدجوى : الجواب المنيف ص ٢٦ .

ومن يمُدّ ومَنْ يَقْصِر ، إلى آخر كيفيات النطق المختلفة .

فتلقاء هذه الفروق التى يصعب على الناس التخلص منها ، وتوسيعاً لطريق الدين الذى نزل به القرآن فى وجه من يريد الدخول فيه ، ولأنّ هذا الدين يُسْرٌ دائماً ، أمر الله نبّيه أن يقرئ كلَّ قبيلة بلغتها وما جرت عليه عادتها ، فعلى سبيل المثال [1] :

يقرأ الأسدى : « يعلمون » ، و « تعلم » ، و « تسودّ وجوه » ، و « ألم أعهد إليكم » بكسر حرف المضارعة .

والتميمى يهمز ، والقرشى لا يهمز .

ويقرأ أحدهم : « عليهم » و « فيهم » بضم الهاء لا بكسرها .

وهذا يقرأ : « قد أفلح » و « قل أوحى » بالنقل .

وآخر يقرأ : « موسى » ، و « عيسى » ، و (دنيا » بالإمالة .

وغيره يلطّف .

وهذا يقرأ : « خبيرا » و « بصيرا » بترقيق الراء .

والآخر يقرأ : « الصَّلَوة » و « الطلاق » بالتفخيم .

إلى غير ذلك .

هذا إلى ما هو معروف من الاختلاف الطبيعى بين القبائل فى شهرة بعض الألفاظ فى بعض المدلولات . وإلى ما هو معروف أيضا – عند علماء القراءات – من أن القرآن نفسه اختلفت بعض ألفاظه ، فى الحروف أو كيفيتها ، من حيث الغيبة والخطاب ، والتذكير والتأنيث ، والجمع والإفراد ، والتخفيف والتشديد ، والتحقيق والتسهيل ، وغير ذلك مما هو مقرَّر ومحدّد منذ عهد النبوة . ومما لم تختره القبائل من عند أنفسها ، وإنما تلقّته من نفس النبىّ صلى الله عليه وسلم .

ونظنّ أن لا خفاء فى أن إقراء النبى – عليه الصلاة والسلام – كلَّ قبيلة بلغتها ، وما جَرَتْ عليه عادتها . هو – لكلّ الاعتبارات الطَّبَعِيّة والقوية الآنفة – أمر سائغ جدًّا فى العقول ، بل هو ضرورة لا محيص عنها .

---

(١) انظر : ابن الجزرى : النشر حـ ١ ص ٢٢ و ٢٣ ؛ ويوسف الدجوى : الجواب المنيف ص ٢٧ .

ويذكر هنا أن التخفيف بذلك كان بعد الهجرة حين كثر دخول العرب فى الإسلام ، وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ ٩ ص ٢٣

(٢) أنظر فى موضوع لغات القبائل : القاسم بن سلام : رسالة جليلة تتضمن ما ورد فى القرآن الكريم من لغات القبائل ، وابن عباس : كتاب اللغات فى القرآن .

٢

ولكنّ هنا سؤالا يصحّ أن يُسأل :

إذا قرئت آية بقراءتين ، فهل قال الله بهما ؟

وردت فى ذلك آراء أوردها الزركشى فى كتابه « البرهان » :

(**الأول**) أن الله تعالى قال بهما جميعا [١] .

(**الثانى**) أن الله تعالى قال بقراءة واحدة ، إلا أنه أذن أن يقرأ بقراءتين [٢] .

(**الثالث**) إذا كان لكل قراءة تفسير يغاير الآخر ، فقد قال بهما جميعاً ، وتصير القراءة بمنزلة آيتين ، مثل قوله : « وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ »[٣] .

(**الرابع**) إذا كان تفسير القراءتين واحداً كالبيوت والبُيوت [٤] والمحصِنات والمحصَنات [٥] بالنصب والجرّ ، فإنما قال بأحدهما ، وأجاز القراءة بهما ، لكل قبيلة على ما تعوّد لسانهم .

(**الخامس**) فإذا صحّ أنه قال بإحدى القراءتين ، فإنه يكون قد قال بلغة قريش[٦] .

---

(١) الزركشى : البرهان حـ ١ ص ٣٢٦

(٢) نفس المرجع

(٣) سورة البقرة / ٢٢٢

ويقرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم بتسكين الطاء .

وقراءة حمزة ، والكسائى ، وعاصم (فى رواية أبى بكر) ، والمفضل : « يطّهرن » بتشديد الطاء (انظر : الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن حـ ٣ ص ٨٨ ، وانظر : ابن الجزرى : النشر حـ ٢ ص ٢٢٧)

ولعلّنا من هنا ندرك أنّ لتعدّد القراءات فوائد ، منها أنها تجعل التنزيل وكأنّه عدّة كتب لا كتاب واحد ، لا سيما إذا كان – كما يقول الدكتور عبد الحليم النجار رحمه الله – « فى كثير من هذه القراءات إن لم يكن أكثرها ثروة جديدة فى « تشريع أو حكمة أو نحو ذلك » (مذاهب التفسير الإسلامى – الترجمة العربية ، حاشية فى ص ٤ و ٥) .

(٤) البيوت – بكسر الباء – قراءة قالون ، وابن كثير ، وابن عامر ، وأبى بكر ، وحمزة ، والكسائى ، وخلف (الدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٢٥٣)

(٥) عن الحسن بالكسر ، والباقون بالفتح (نفس المرجع ص ١٨٨)

(٦) انظر فى كل هذه الآراء : الزركشى : البرهان حـ ١ ص ٣٢٦ و ٣٢٧ .

٣

وقد كثر القول فى موضوع نزول القرآن على سبعة أحرف « إلى حدٍّ كاد يطمس أنوار الحقيقة ، حتى استعصى فهمه على بعض العلماء ، ولاذ بالفرار منه ، وقال إنه مُشْكِلٌ . . »[١]

والذى عليه الجمهور : هو أن الأحرف السبع لغات ، وقد اختلفوا فى تعيينها ،والأشهر أنها لغات : قريش ، وهذيل ، وثقيف ، وهوازن ، وكنانة ، وتميم ، واليمن .

وربما حقّ لنا أن نذكر أن الخطأ فى هذا الباب « قد يتخذ منه أعداء الإسلام سبيلاً عِوجاً إلى توجيه المطاعن الخبيثة إلى القرآن »[٢] . وقد كان من تداول هذا الخطأ ومثله أن كتب فعلا بعض أعداء القرآن كتباً باطلة ومتعصبة أسموها « مباحث القرآن » ، ومنها كتاب اسمه : هل من تحريف فى الكتاب الشريف ؟ كتبه قسّيس إنجليزى اسمه جولد زاك Goldsack . وهو كتاب ترفضه مناهج البحث الصحيحة ، لأن حشوه الأخطاء العقلية والنقلية ، والعداوة البيّنة اللّدد ضدّ الإسلام[٣] .

* * *

ويجب أن نذكر أن القراءات التى يُعْنَى الجمع الصوتى الأول بالمحافظة عليها ليست هى الأحرف والمرادفات التى كانت تقام بعضها مكان بعض قبل العرضة الأخيرة للقرآن ، والتى كانت إقامتها لضرورة ماسّة انتهى وقتها عند هذه العرضة ، فضلاً عن عهد عثمان ، كما ذكرنا فى فصْل الجمع العثمانى[٤] ، وإنما المقصودة بالمحافظة هى القراءات التى يحتملها مصحف عثمان المقتصر على حرف قريش كما قال ناس ، أو المشتمل على باقى الأحرف كما قال آخرون وهذه القراءات – على أية حال – ثابتة كلّها بالنّقل المتواتر عن النبى نفسه (ص) .

* * *

---

(١) محمد عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان فى علوم القرآن ص ١٣٠ و ١٣١ .

(٢) نفس الكتاب

(٣) فى سنة ١٣٣١ هـ – ١٩١٣ م . أصدر الشيخ يوسف أحمد نصر الدحوىّ من علماء الأزهر آنئذ ، رداً على هذا الكتاب أسماه : الجواب المنيف فى الردّ على مدّعى التحريف فى الكتاب الشريف .

(٤) قال الطحاوى فى الأحرف السبعة : « إنما كان ذلك رخصة لما كان يتعسّر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد ، لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ ، ثم نسخ بزوال العذر وتيسير الكتابة » (انظر : القاسمى : محاسن التأويل حـ ١ ص ٢٨٨)

وواضحٌ جدًّا أن اختلاف القراءات لا يعنى أنّ فيها تنافياً أو تضاداً أو تناقضاً . وإنما هو - باطلاق - اختلاف تنوّع وتغاير فحسب . وقد وُجِّهت كلّ اختلافات القراءات ، فما ظهر أن قراءة اتخذت سبيلا استَدْبَرَتْه قراءة . أو أنّ قراءة أمرت بما نهت عنه أخرى .

ثم إن هذه القراءات بمنزلةٍ سواء فى الأسلوب والغاية ، فهى كلّها معجزة . وتلك حقيقة لا نستغربها ما دامت كلُّ قراءة قد أُنْزلت من عند الله ، أو أذن بها الله - كما أوضحنا قبلا وكما سنوضّح فيما بعد - وما دام القراء - فى اختلافهم - مجرّد ناقلين ، وليسوا كالفقهاء يختلفون لأنهم يجتهدون .

٤

وجُمِعَ القرآنُ جمْعَيْه المكتوبين ، وانقضى عصر الصحابة ، فكانت جماعات القراء فى مختلف الجهات يقرءون حسبما تلقّوا من أسلافهم ، وكانت كلّ جماعة تستقرّ على الوجوه التى لُقِّنَتْها لا تكاد تتعدّاها ، فاختلفت قراءات الأخلاف باختلاف قراءات الأسلاف . وتفرق هؤلاء وأولئك فى البلاد ، وكما يقول ابن الجزرى : « قلّ الضبط ، واتّسع الخرق ، وكاد الباطل يلتبس بالحقّ ، فقام جهابذة علماء الأمة ، وصناديد الأئمة ، فبالغوا فى الاجتهاد ، وبيّنوا الحقّ المراد ، وجمعوا الحروف والقراءات ، وعَزَوْا الوجوه والروايات ، وميّزوا بين المشهور والشاذ ، والصحيح والفاذّ ، بأصول أصّلوها ، وأركان فصّلوها »[١] .

ويبدو أنّ الاقتصار على قراءات الأئمة المشهورين بالفقه ، والأمانة فى النّقل ، وكمال الدين ، كان أمراً ضروريًّا أوْجَبَتْه بشاعة ما قيل إنه وقع ، فكما عبّر مكىّ بن أبى طالب : « تمادى بعض الناس على القراءة بما يخالف خطّ المصحف مما ثبت نقله »[٢] ، بل إنه كثر الاختلاف فيما يحتمله رسم المصحف ، وقرأ أهل البدع والأهواء بما لا يحلّ تلاوته وفاقاً لِبدعهم ، ومن أمثلة ذلك : ما رُوى من أن بعض المعتزلة قرأ : « وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً »[٣] بنصب الهاء[٤] وقد كثرت الاختيارات فى القراءة كثرة من مظاهرها التى تخفى على كثير من الناس أن

---

(١) النشر حـ ١ ص ٩ . وانظر : السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن حـ ١ ص ٣٧

(٢) الإبانة فى معانى القراءات ص ١٠

(٣) سورة النساء / ١٦٤ .

(٤) انظر : محاسن التأويل حـ ١ ص ٢٩٥ و ٢٩٦ ، نقلا عن الكواشى فى أول تفسيره .

الشافعىّ صاحب المذهب كانت له رواية قرأ بها ابن الجزرى من كتاب « المستنير » ، وحدّثه بها – من هذا الكتاب ، ومن كتاب « الكامل » – غير واحد[١] .

وكان لأحمد بن حنبل صاحبِ المذهب أيضاً اختيار ذكره « الهذلى » فى كتابه « الكامل[٢] » .

وقد نُسِبَتْ إلى أبى حنيفة قراءة جمعها الخزاعى ، ونقلها عنه الهذلىّ وغيره[٣] .

وقد عدّ ابن حجر العسقلانى – وهو يتكلّم عن تعيين الأحرف التى اختلف فيها عمر ابن الخطاب ، وهشام بن حكيم ، حين كان هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم يكن يعرفها عمر[٤] – عدّ ابنُ حجر ، فى هذه السورة وحدها ، نحواً من مائة وثلاثين موضعاً منها ستة وخمسون ليس فيها من المشهور شىء[٥] .

وربما كانت كثرة عدد القراءات هى التى حَدَتْ ببعض المفسّرين إلى ذكر بعضها غير منسوب لصاحبه[٦] .

على أن إضافة القراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم لا تعنى أكثر من أنهم اختاروها ، وداوموا عليها ، ولزموها ، حتى اشتهروا بها ، وقُصدوا فيها ، وهى – كما يعبر ابن الجزرى – « إضافة اختيار ودوام ولزوم ، لا إضافة اختراع ورأى واجتهاد »[٧] .

٥

ولا بدّ – فى معرض الحديث عن الجمع الصوتى الأول : بواعثِهِ ومخططاتِه – أن نذكر أن القراءات أنواع :

---

(١) ابن الجزرى : غاية النهاية حـ ٢ ص ٧٥ وما بعدها

(٢) نفس المرجع حـ ١ ص ١١٢

(٣) قيل إن الخزاعى وضع كتاباً فى الحروف نَسَبهُ إلى أبى حنيفة ، وفيه : « إنما يخشى الله مِنْ عباده العلماءُ » برفع الهاء ونصب الهمزة . يقول ابن الجزرى : « وقد راج ذلك على أكثر المفسرين وتكلف توجيهها ، وإن أبا حنيفة لبرىء منها » . (انظر : النشر حـ ١ ص ١٦) .

(٤) سيشار إلى هذه القصة تفصيلا فيما بعد .

(٥) فتح البارى حـ ٩ ص ٢٧ – ٣١

(٦) نظر مثلا :

الفراء : معانى القراءات (فى كثير من صفحاته)

والبيضاوى : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : فى تفسير قوله تعالى : « اذكروا نعمة الله عليكم » (سورة البقرة ، ٤٠)

(٧) النشر حـ ١ ص ٥٢ .

(١) المتواتر ، وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه . وغالب القراءات كذلك .

وقد اختيرت سبع قراءات من هذا النوع ، عُرِفت كلٌ منها بأسماء أهم من عُرف بالقراءة بها . وأصحاب هذه القراءات هم : نافع المدنى ، وابن كثير المكى ، وأبو عمرو بن العلاء البصرى ، وابن عامر الشامى ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائى : الكوفيون .

وأول من اقتصر على هؤلاء السبعة هو أبو بكر بن مجاهد ، قبيل سنة ٣٠٠ هـ ، أو ما حولها (١) ، وتابَعه بعد ذلك المسلمون إلى الآن (٢) .

ولكلٌ من هؤلاء القراء رواة ، وأصحاب طرق ، وأصحاب أوجه ، وسنشير إليهم – فيما بعد – تفصيلا .

والنقل المتواتر هو – عند الأصوليين وفقهاء المذاهب الأربعة ، والمحدّثين ، والقراء – عنصر أساسى فى إثبات القرآنية ، حتى ليعرّف الكتاب بأنه « القرآن المنزّل على رسول الله ، المنقول عنه نقلا متواتراً بلا شبهة » (٣) ويقول الشارح : « إنّ قوله : نقلا متواتراً احتراز عما اختصّ بمثل مصحف أبىّ ، ومصحف ابن مسعود ، لما نقل بطريق الآحاد » (٤) .

ويتجوز ابن الجزرى ، فلا يشترط – لصحّة القراءة – غير موافقتها لوجه من وجوه العربية ، ولرسم المصاحف العثمانية ، وغير أن تكون صحيحة السند ، ويقول فى (نشر) ٥ ، و (طيّبة) ٥ :

فكلّ ما وافق وجه نحوِ ... وكان للرسم احتمالاً يحوى
وصحّ إسناداً هو القرآن ... فهذه الثلاثة الأركان

ولكن الصّفاقسىّ يعيب هذا الرأى ، ويقول عنه :

« هذا قول محدث لا يُعوَّل عليه ، ويؤدّى إلى تسوية غير القرآن بالقرآن » . (٥)

---

(١) أبو شامة : إبراز المعانى من حرز الأمانى ص ٤
وذكر جفرى أن تاريخ الاختيار هو ٣٢٢ هـ (مقدمة كتاب المصاحف لابن أبى داود ص ٨) ، وابن مجاهد توفى سنة ٣٢٤ هـ

(٢) انظر ابن مجاهد : كتاب السبعة فى القراءات
وابن الجزرى : غاية النهاية حـ ١ ص ١٣٩ وما بعدها
وأبو شامة : إبراز المعانى ص ٤
والصّولى : أخبار الراضى والمتقى لله ص ٦٢ و٦٣ (ط هيورث)

(٣) انظر : عبد العزيز البخارى : كشف الأسرار على أصول البزدوى حـ ١ ص ٢١ .

(٤) نفس المرجع

(٥) غيث النفع فى القراءات السّبع (بذيل شرح ابن القاصح للشاطبية) ص ٦ و ٧ .

وتتضّمن شروط التواتر – عند الأصوليين – شرطاً يهمّنا التنويه به ، ونحن نعمل لحفظ التواتر القرآنى ، فى المشارق والمغارب ، وإلى الأبد الأبيد ، هذا الشرط هو أن يستوى طَرَفَا التواتر وواسطته فى الإخبار عن علم لا عن ظن ، وأن يكون علمهم ضروريًّا مستنداً إلى محسوس ، وأن يستووا فى كمال العدد .

يقول أبو حامد الغزالى فى توضيح هذا الشرط :

« فإذا نقل الخلف عن السلف ، وتوالت الأعصار ، ولم تكن الشروط قائمة فى كلّ عصر لم يحصل العلم بصدقهم ، لأنّ خبر أهل كلّ عصر خبر مستقلّ بنفسه ، فلا بدّ فيه من الشروط ، ولأجل ذلك ، لم يحصل لنا العلم بصدق اليهود مع كثرتهم فى نقلهم عن موسى صلوات الله عليه . . . إلخ »[١] .

(ب) المشهور ، وهو ما صحّ سنده ولم يبلغ درجة التواتر ، ووافق العربية ورسم المصحف ، واشتهر عند القراء فلم يعدّوه من الغلط ولا من الشذوذ[٢] .

وقد اختير من هذا النوع ثلاث قراءات ، وأصحابها هم : أبو جعفر بن قعقاع المدنى المتوفى سنة ١٣٠ هـ[٣] ، ويعقوب الحضرمى المتوفى سنة ٢٠٥ هـ[٤] ، وخلف البزّار المتوفى سنة ٢٢٩ هـ[٥] .

ولكل من هؤلاء أيضاً رواة ، وأصحاب طرق ، وأصحاب أوجه ، حسبما سيجىء فيما بعد .

ونظراً لأن هذه القراءات الثلاث لا تخالف رسم السبع ، فقد ألحقها المحققون بها ، وعدّوا القول بعدم تواترها « فى غاية السقوط ، ولا يصحّ القول به عمن يعتبر قوله فى الدين »[٦] ومن هؤلاء المحققين :

البغوىُّ الفرَّاء الموصوف بأنه أولى من يعتمد عليه فى ذلك المجال ، لأنه « مقرئ فقيه جامع للعلوم »[٧] .

---

(١) المستصفى حـ ١ ص ١٣٤ و ١٣٥

(٢) الإتقان حـ ١ ص ٧٧

(٣) انظر ترجمته فى : ابن الجزرى : غاية النهاية حـ ٢ ص ٣٨٢

(٤) انظر ترجمته فى نفس المرجع ص ٣٨٦ – ٣٨٩

(٥) انظر ترجمته فى نفس المرجع حـ ١ ص ٢٧٢

(٦) ابن الجزرى : النشر حـ ١ ص ٤٥

(٧) توفى سنة ٥١٠ هـ أو قبل سنة ٥١٦ .

وانظر : ابن الجزرى : النشر حـ ١ ص ٤٤ والزركشى : البرهان حـ ١ ص ٣٣٠ ، والسبكى : طبقات الشافعية حـ ٤ ص ٢١٤ .

وابن تيمية الفقيه المعروف[١] .

والقسطلانى فى كتابه « لطائف الإشارات » ، حيث يقول : « إننا لو اشترطنا التواتر فى كل فرد من أحرف الخلاف انتفى كثير من القراءات الثابتة عن هولاء الأئمة السبعة وغيرهم »[٢] .

وعبد الوهاب السّبكى الذى يقول : « إن هذه القراءات الثلاث – بالإضافة إلى القراءات السبع – معلومة من الدين بالضرورة ، ونزلت على النبى – صلى الله عليه وسلم – لا يكابر فى شيء من ذلك إلا جاهل »[٣] .

وزكريّا الأنصارى المتوفى سنة ٩٢٦ هـ ، والذى أفتى بأن القراءات العشر متواترة كلّها[٤] .

(حـ) الآحاد ، وهو ما صحّ سنده ، وخالف الرسم أو العربية ، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ، ولم يُقْرأ به[٥] .

(د) الشاذ ، وهو ما لم يصحّ سنده[٦] .

(هـ) الموضوع ، ويمثل له السيوطى بقراءات الخزاعى[٧] .

(و) ما زيد فى القراءات على وجه التفسير ، كالقراءة المنسوبة إلى سعد بن أبى وقاص : « وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ (من أمّ) »[٨] وكالقراءة المنسوبة إلى ابن عباس : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ (فى مواسم الحج) »[٩] وكالقراءة المنسوبة أيضاً إلى ابن الزبير : «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ (ويستعينون الله على ما أصابهم) »[١٠] .

---

(١) انظر رسالته : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وما المراد بهذه السبعة ؟ ص ٤٧ : ٤٨

(٢) انظر القاسمى : محاسن التأويل حـ ١ ص ٢٩٦

(٣) انظر : ابن الجزرى : النشر حـ ١ ص ٤٦

(٤) انظر : الإعلام والإهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام أبى يحيى زكريا الأنصارى ص ٤٢٥ و٤٢٦ .

(٥) انظر : السيوطى : الإتقان حـ ١ ص ٧٧

(٦) انظر : نفس المرجع

(٧) انظر : نفس المرجع

(٨) فى المصحف العثمانى من غير (من أم) سورة النساء : ١٢

(٩) فى المصحف العثمانى من غير (فى مواسم الحج) – سورة البقرة / ١٩٨

(١٠) فى المصحف العثمانى بغير « ويستعينون الله على ما أصابهم » – سورة آل عمران / ١٠٤ .

٦

وواضح أن الناس اجتمعوا على القراءات المتواترة والمشهورة لسببين أوضحهما الطبرسىّ فى تفسيره :

(أحدهما) أن أصحابها « تجردوا لقراءة القرآن ، واشتدت بذلك عنايتهم ، مع كثرة علمهم . ومَنْ كان قبلهم أو فى أزمنتهم ممن نسب إليه القراءة من العلماء ، وعُدَّت قراءتهم من الشّواذّ . . . لم يتجرّد لذلك تجرّدهم ، وكان الغالب على أولئك الفقه ، أو الحديث ، أو غير ذلك من العلوم » .

(والآخر) « أن قراءتهم وُجِدَتْ مسندة – لفظاً أو سماعاً – حرفاً حرفاً من أول القرآن إلى آخره ، مع ما عُرف من فضائلهم وكثرة علمهم بوجوه القرآن »[١] .

٧

وكان التوفيق رائد أصحاب الجمع العثمانى ، إذ جعلوا – وقد ألمعنا إلى ذلك قبلا – رسم مصاحفهم محتملا لكلِّ القراءات المتواترة والمشهورة تحقيقاً أو تقديراً . وما كان هؤلاء الصّحابة لِيُسْقِطوا قراءة أو يمنعوا من القراءة بها ما دامت تثْبت عن النّبىّ فيما انتهى إليه منهجهم فى الجمع .

وقد أوضح ابن الجزرىّ فى « النشر » كيفية احتمال المصاحف العثمانية للاختلافات المتعدّدة فى القراءات . ومن الأمثلة التى أوردها فى هذا الشأن : الآية « مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ »[٢] ، كُتب فيها لفظ « مَلِكِ » بغير ألف ، فى جميع المصاحف ، فقراءة الحذف تحتمله تقديراً ، أما فى الآية « مَلِكِ النَّاسِ »[٣] ، فقد كتب لفظ « مَلِكِ » بغير ألف ، فى جميع المصاحف ، فقراءة الحذف تحتمله تحقيقاً[٤] .

---

(١) مجمع البيان فى تفسير القرآن جـ ١ ص ٢٥

(٢) سورة الفاتحة / ٤

(٣) سورة الناس / ٢

(٤) جـ ١ ص ١١ ، وانظر : القاسمى : محاسن التأويل جـ ١ ص ٢٩٨ ، ٢٩٩

٨

وقد جُمِعَت القراءات منذ قديم . وأول من جمعها فى كتاب هو أبو عبيد القاسم ابن سلاّم ، المتوفى بمكة سنة ٢٢٤ هـ ، والذى جعل القراءات – فيما عدّ ابن الجزرىّ – خمسا وعشرين قراءة مع السبع (١) .

وترادف المؤلفون فى القراءات :

فجمع أحمد بن جبير الكوفى نزيل أنطاكية ، والمتوفى سنة ٢٥٨ هـ كتاباً فى قراءات الخمسة ، من كلّ مصر واحد (٢) .

وألّف إسماعيل بن إسحاق المالكى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ كتاباً جمع فيه قراءة عشرين إماماً ، منهم السبعة (٣) .

وجمع ابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ كتابه « الجامع » . وفيه نيّف وعشرون قراءة (٤)

وجمع أبو بكر الداجونى المتوفى سنة ٣٢٤ هـ كتاباً فى القراءات أدخل فيه أبا جعفر أحد العشرة (٥) .

واقتصر ابن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٤ هـ أيضاً على قراءات السبعة ، حسبما ذكرنا قبلا ، وألّف فيها كتابه : السبعة فى القراءات .

وألّف فى القراءات أبو بكر الشذائى المتوفى سنة ٣٧٠ هـ (٦) .

وألّف أبو بكر بن مهران المتوفى سنة ٣٨١ هـ فى قراءات العشرة (٧) .

وألف الخزاعى المتوفى سنة ٤٠٨ هـ كتابة : « المنتهى » الذى جمع فيه ما لم يُجمع من

---

(١) النشر جـ ١ ص ٣٤ . وابن سلام لغوى ثقة محدث ، وقد تكلمنا عنه فى حاشية أخرى ، وانظر ترجمته فى :
حاجى خليفه : كشف الظنون – ١٢٠٤
وابن الأثير : النهاية جـ ١ ص ٤ و ٥ .
والقفطى : إنباه الرواة على أنباه النحاة جـ ٣ ص ١٢ – ٢٣ .

(٢) النشر جـ ١ ص ٣٤

(٣) نفس المرجع

(٤) نفس المرجع

(٥) نفس المرجع

(٦) نفس المرجع

(٧) نفس المرجع

قبله[١] ، والذى يُمثَّل بقراءاته للقراءات الموضوعة كما ذكرنا قبلا أيضاً .

وألف ابن سفيان القيروانى المتوفى سنة ٤١٥ هـ كتابه : (الهادى فى القراءات السّبع)[٢]

وكان الطّلمنكى مؤلف « الروضة » والمتوفى سنة ٤٢٩ هـ أول من أدخل القراءات إلى الأندلس[٣] .

وألف المهدوى المتوفّى سنة ٤٣٠ هـ كتابه : (الهداية فى القراءات)[٤] .

وألف مكّىّ بن أبى طالب المتوفّى سنة ٤٣٧ هـ فى القراءات : « التبصرة » ، و « الكشف » ، وغير ذلك[٥] .

وألف أبو عمرو الدانى المتوفى سنة ٤٤٤ هـ كتابه : « جامع البيان » فى القراءات ، وفيه أكثر من خمسمائة رواية وطريق عن القراءات السّبع[٦] .

وألف الأهوازى المتوفى سنة ٤٤٦ هـ فى هذا الشأن[٧] .

وألف الهذلى المتوفى سنة ٤٦٥ هـ كتابه : « الكامل » الذى جمع فيه خمسين قراءة عن الأئمة ، وتسعاً وخمسين وأربعمائة وألف رواية وطريق[٨] .

وألف أبو عبد الله محمد بن شريح المتوفّى سنة ٤٦٨ هـ كتابه : (الكافى فى القراءات السّبع)[٩] .

وألف أبو معشر الطبرى المتوفى سنة ٤٧٨ هـ كتاب « التلخيص فى القراءات الثمان » و « سوق العروس » ، وفيه خمسون وخمسمائة وألف رواية وطريق[١٠].

وألف أبو القاسم عيسى بن عبد العزيز اللخمى الإسكندرى المتوفى سنة ٦٢٩ هـ كتابه :

---

(١) نفس المرجع

(٢) ذكره صاحب (كشف الظنون)

(٣) ابن الجزرى : النشر جـ ١ ص ٣٤ .

(٤) ذكره صاحب (كشف الظنون)

(٥) ذكر صاحب (كشف الظنون) كتاب (التبصرة) ، وقال : « فى خمسة أجزاء ، وهو من أشهر مصنّفاته » ، وانظر : الحداد خلف الحسينى : الكواكب الدرية ص ٤٥ .

(٦) ابن الجزرى : النشر جـ ١ ص ٣٤ و ٣٥

(٧) نفس المرجع ص ٣٥

(٨) نفس المرجع

(٩) ذكره صاحب (كشف الظنون) .

(١٠) ابن الجزرى : المرجع السابق .

« الجامع الأكبر والبحر الأزخر » ويحتوى على سبعة آلاف رواية وطريق[١] .

وقد ذكر ابن النديم – وكانت وفاته فى أواخر القرن الرابع الهجرىّ – اثنين وعشرين كتاباً فى القراءات كانت معروفة له[٢] . ومن مؤلفى هذه الكتب : خلف بن هشام البزّار (المتوفّى سنة ٢٣٠ هـ) ، ومحمد بن سعدان (المتوفى سنة ٢٣٠ هـ أيضاً) ، وأبو عبيد القاسم بن سلام الذى ألمعنا إليه قبلا ، وأبو حاتم السجستانى (المتوفى سنة ٢٥٥ هـ) ، وثعلب (المتوفّى سنة ٢٩١ هـ) ، وابن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦ هـ) ، وابن مجاهد الذى تكلمنا عنه آنفاً ، والذى كان له – كما يقول ابن النديم – كتابان : (القراءات الكبير) و (القراءات الصغير) ، وهشام بن بشير ، وأبو الطيب بن أشناس ، وعلى بن عمر الدار قطنى (المتوفى سنة ٣٨٥ هـ) ، ويحيى بن آدم (المتوفى سنة ٢٠٣ هـ) ، والواقدى (المتوفى سنة ٢٠٩ هـ) ، ونصر بن على[٣] ، وابن كامل ، والفضل بن شاذان .

وقد اندثر بعض كتب القراءات ، وفيها كتب الأهوازى ، وابن عطية والمهدوى ، وكتاب « اللوامع » فى القراءات ، وكتاب « المحتوى » للدّانى[٤] .

* * *

واختار جمهور المسلمين القراءات منذ قرون ، ولكن القرّاء ظلّوا يتداولونها ويَرْوُونها إلى أن كُتِبَتْ العلوم ودُوِّنَتْ ، فكُتِبَت فيما كُتب من العلوم ، وصارت القراءات – كما يقول ابن خلدون – « صناعة مخصوصة ، وعلْما منفرداً ، وتناقله الناس بالشرق والأندلس ، فى جيل بعد جيل ، إلى أن مَلَكَ بشرق الأندلس « مجاهد » من موالى العامريين ، وكان معتنياً بهذا الفن من بين فنون القرآن ، لما أخذه به مولاه المنصور بن أبى عامر ، واجتهد فى تعليمه وعرضه على من كان من أئمة القراء بحضرته ، فكان سهمه بذلك وافراً[٥] » .

---

(١) ابن الجزرى : النشر حـ ١ ص ٣٥ .

وانظر : ابن الجزرى أيضاً : غاية النهاية حـ ١ ص ٦٠٩ - ٦١١ ،

وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ ٩ ص ٣٠ .

(٢) الفهرست ص ٣٥ (ط . خياط ببيروت)

(٣) لعلّه نصر بن على المشهور بأبى عمرو الجهضمى ، والمتوفّى سنة ٢٥٠ هـ . وانظر ترجمته فى : ابن الجزرى : غاية النهاية حـ ٢ ص ٣٣٧ و ٣٣٨ .

(٤) آرثر جفرى ، مقدمة كتاب « القراءات الشاذة لابن خالويه » الذى عنى بنشره وتصحيحه ج . برجستراسر. ص ٤

(٥) مقدمة ابن خلدون : باب علوم القرآن من التفسير والقراءات حـ ٣ ص ٩٩٤ و ٩٩٥ .

٩

غير أن بعض المفكرين القدامى والمحدثين . يقولون ما قد يُفهم منه أنّ القراءات مرجعها الاجتهاد لا السماع ، وأنها اختياريّة تدور مع اختيار الفصحاء واجتهاد البلغاء :

١ – قرأ ابن عامر أحد القراء السبعة الآية : « وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ »[١] برفع (قتل) ونصب (أولادهم) وجر (الشركاء) ، على إضافة القتل إلى الشركاء ، والفصل بينهما بغير الظرف .

فَوصَف الزمخشرى هذه القراءة بأنها « شيء » لو كان فى مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً مردوداً . . . إلخ [٢] ، وقال : « والذى حمله على ذلك أنْ رأى فى بعض المصاحف (شركائهم) مكتوباً بالياء ، ولو قرأ بجرّ الأولاد والشركاء ، لأن الأولاد شركاؤهم فى أموالهم ، لوجد – فى ذلك – مندوحة عن هذا الارتكاب[٣] » .

وردّ ابن المنيّر الإسكندرىّ صاحب كتاب « الانتصاف »[٤] بأنّ الزمخشرى « ركب متن عمياء ، وتاه فى تيهاء » وقال ابن المنير : « وأنا أبرأ إلى الله ، وأبرئ حملة كتابه ، وحفّاظ كلامه ، مما رماهم ، فإنّه تخيّل أن القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كلٌّ منهم حرفاً قرأ به اجتهاداً ، لا نقلا وسماعاً ، فلذلك غلّط ابنَ عامر ، فى قراءته هذه ، وأخذَ يبيّن أنّ وجهة غلطه رؤيته الياء ثابتة فى « شركائهم » ، فاستدلّ بذلك على أنه مجرور ، وتعيّن عندهم نصب (أولادهم) بالقيامس . . . إلخ »[٥] .

ثم قال ابن المنيّر : « فهذا كلّه – ما ترى – ظنٌّ من الزمخشرى أنَّ ابن عامر قرأ قراءته هذه رأياً منه ، وكان الصّواب خلافَه ، والفصيح سواه ؛ ولم يعلم الزمخشرى أن هذه القراءة – بنصب الأولاد ، والفصل بين المضاف والمضاف إليه – بها يعلم ضرورةً أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قرأها على جبريل ، كما أنزلها عليه كذلك ، ثم تلاها النبى – صلى الله عليه

---

(١) سورة الأنعام / ١٣٧

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل حـ١ ص ٢٥٣

(٣) نفس المرجع .

(٤) انظر ترجمة ابن المنير فى : ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات حـ ١ ص ١٣٢ (بتحقيق محيى الدين عبد الحميد).

(٥) انظر : ابن المنير الإسكندرى : الانتصاف (بذيل الكشاف) حـ ٢ ص ٤١ وانظر : القاسمى : المرجع السابق حـ ١ ص ٣٠٢ .

وسلّم – على عدد التواتر من الأئمة ، ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها ، ويقرءون بها ، خلفاً عن سلف ، إلى أن انتهت إلى ابن عامر ، فقرأها أيضاً كما سمعها . فهذا معتقد أهل الحقّ فى جميع الوجوه السبعة : أنها متواترة جملة وتفصيلا . . . فلا مبالاة – بعدها – بقول الزمخشرى ، ولا بقول أمثاله ممن لحن ابنَ عامر ، وظنّ أنّ القراءة بالرأى غير موقوفة على النقل . والحامل هو التغالى فى اعتقاد اطّراد الأقيسة النحوية ، فظنّها قطعية ، حتى يرد ما يخالفها »[1] .

ويقول ابن المنيّر كذلك : « إن المُنْكَر عليه – يعنى ابن عامر – إنما أنكر ما ثبت أنه براءٌ منه قطعاً وضرورة . ولولا عذر أنّ المنكِر ليس من أهل الشأنين : أعنى علم القراءة ، وعلم الأصول ، ولا يعدّ من ذوى الفنّين المذكورين ، لخيف عليه الخروج من رِبْقَةِ الدين ، وإنه – على هذا العذر – لفى عهدة خطيرة ، وزَلّة منكرة ، تزيد على زلّة من ظن أن تفاصيل الوجوه السبعة فيها ما ليس متواتراً ، فإن هذا القائل لم يُثبتها بغير النقل ، وغايته أنه ادّعى أنّ نقلها لا يشترط فيه التواتر ، وأمّا الزمخشرى ، فظن أنها تثبت بالرأى ، غير موقوفة على النقل ، وهذا لم يقل به أحد من المسلمين[2] . »

* * *

وهنا نذكر آسفين أن كاتباً مسلماً محدثاً هو صاحب كتاب « الفرقان » أورد – فى اعتراضه على القراءات – رأى الزمخشرى فى قراءة ابن عامر[3] ، ثم لم يورد ما قاله ابن المنيّر وغيره رداً عليه .

* * *

وفى هذا الشأن أيضاً ، يقول أبو حيان الأندلسى[4] :

« . . . وبعض النحويين أجازها ، وهو الصحيح ، لوجودها فى هذه القراءة المتواترة المنسوبة إلى العربى الصريح المحض : ابن عامر ، الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان ، قبل أن يظهر اللحن فى لسان العرب ، ولوجودها أيضاً فى لسان العرب فى عدّة أبيات . . » إلخ .

ويقول أبو حيان ، فى ردّه على الزمخشرى :

« وأعجب لعجمى ضعيف فى النحو يردّ على عربى صريح محض قراءةً متواترةً موجوداً نظيرها فى لسان العرب ، فى غير ما بيت . وأعجب لسوء ظنّ هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين

---

(١) ابن المنير : الإنصاف (بذيل الكشاف) حـ ٢ ص ٥٣ (ط . الحلبى ١٩٦٦ م) والقاسمى : المرجع السابق .

(٢) ابن المنير : نفس المرجع حـ ٦ ص ٢٥١٨ .
والقاسمى : نفس المرجع ص ١١٦ و ١١٧ .

(٣) ص ١١٦ و١١٧ (٤) البحر المحيط حـ ٤ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ .

تحيّرتهم هذه الأمة ، لنقل كتاب الله ، شرقاً وغرباً ، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم ، لضبطهم ، ومعرفتهم ، وديانتهم »[١] .

ويقول النيسابورى :

« والحقّ عندى – فى هذا المقام – أن القرآن حجة على غيره ، وليس غيره حجة عليه . والقراءات السبع كلّها متواترة ، فكيف يمكن تخطئة بعضها ؟ فإذا ورد فى القرآن المعجز مثل هذا الترتيب لزم القول بصحّته وفصاحته . . » إلخ[٢] .

والفخر الرازى ، عند تفسيره لقوله تعالى : « وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ »[٣] يندد بالنحويين الذين يجيزون إثبات اللغة بشعر مجهول ، ثم ينسَوْن أنّ إثباتها بالقرآن هو الأوْلى . يقول الرازى :

« وكثيراً ما نرى النحويين متحيّرين فى تقرير الألفاظ الواردة فى القرآن ، فإذا استشهدوا فى تقريرها ببيت مجهول فَرِحوا به ، وأنّا شديد التعجّب منهم ، فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقها دليلا على صحّتها ، فَلأَنْ يجعلوا ورود القرآن دليلاً على صحتها كان أوْلى . »[٤]

ويدافع ابن الجزرى عن القراءة المتواترة التى قرأ بها ابن عامر ، فيقول[٥] :

« ١ – والحق فى غير ما قاله الزمخشرى . ونعوذ بالله من قراءة القرآن بالرأى والتشهى . وهل يحل لمسلم القراءة بما يجد فى الكتابة من غير نقل ؟

٢ – بل الصواب جواز مثل هذا الفصل ، وهو الفصل – بين المصدر وفاعله المضاف إليه – بالمفعول ، فى الفصيح والشائع الذائع اختياراً .

ولا يختص ذلك بضرورة الشعر[٦] .

٣ – ويكفى – فى ذلك – دليلا هذه القراءة الصحيحة المشهورة التى بلغت التواتر .

---

(١) المرجع السابق

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان حـ٨ ص ٣٧

(٣) سورة النساء / ١

(٤) التّفسير الكبير حـ ٣ ص ١٩٣

(٥) انظر : النشر حـ٢ ص ٢٦٣ و ٢٦٤ والألفاظ لابن الجزرى ، وليس لنا غير ترقيم فقرات هذا الدفاع .

(٦) انظر فى جواز مثل هذا الفصل : الصبّان – محمد بن علىّ : حاشيته على شرح الأشمونى لألفيّة ابن مالك حـ٢ ص ٢٧٦

٤ – كيف ، وقارئها ابن عامر من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة ، كعثمان ابن عفان ، وأبي الدرداء ، رضي الله عنهما ؟

٥ – وهو – مع ذلك – عربي صريح من صميم العرب ، فكلامه حجة ، وقوله دليل ، لأنه كان قبل أن يُوجد اللّحن ويتكلّمَ به .

٦ – فكيف ، وقد قرأ بما تلقّى وروَى وسمع ورأى ، إذ كانت كذلك في المصحف العثماني المجمع على اتباعه ، وأنا رأيتها فيه كذلك ؟ (١) .

٧ – مع أن قارئها : لم يكن خاملا ، ولا غير متبع ، ولا في طرف من الأطراف ليس عنده من ينكر عليه إذا خرج عن الصواب ، فقد كان في مثل دمشق التي هي – إذ ذاك – دار الخلافة ، وفيها الملك ، والمأتي إليها من أقطار الأرض في زمن خليفة هو أعدل الخلفاء وأفضلهم بعد الصحابة : الإمام عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – أحد المجتهدين المتبعين المقتدَى بهم من الخلفاء الراشدين .

٨ – وهذا الإمام القارئ – أعني : ابن عامر – مُقَلَّد ، في هذا الزمن الصالح ، قضاءَ دمشق ، ومشيخَتَها ، وإمامةَ جامعها الأعظم : الجامع الأموي أحد عجائب الدنيا ، والوفود به من أقطار الأرض ، لمحل الخلافة ودار الإمارة .

هذا ، ودار الخلافة – في الحقيقة – حينئذ بعض هذا الجامع ، ليس بينهما سوى باب يخرج منه الخليفة .

٩ – ولقد بلغنا عن هذا الإمام أنه كان في حلقته أربعمائة عريف ، يقومون عنه بالقراءة .

١٠ – ولم يبلغنا عن أحد من السّلف – رضي الله عنهم – على اختلاف مذاهبهم ، وتباين لغاتهم ، وشدّة وَرَعِهم ، أنه أنكر على ابن عامر شيئاً من قراءته ، ولا طَعَنَ فيها ، ولا أشار إليها بضعف .

١١ – ولقد كان الناس – بدمشق ، وسائر بلاد الشام ، حتى الجزيرة الفراتية . وأعمالها – لا يأخذون إلا بقراءة ابن عامر ، ولا زال الأمر كذلك إلى حدود الخمسمائة . وأول من نعلمه أنكر هذه القراءةَ وغيْرها من القراءة الصحيحة ، وركب هذا المحذور : ابن جرير الطبري ، بعد الثلثمائة . وقد عُدّ ذلك من سقطات ابن جرير ، حتى قال السخاوي :

---

(١) وإننا – مع إيماننا بصحّة هذه القراءة وتواترها ، نسأل ابن الجزريّ : هل كانت مصاحف عثمان مضبوطةً بالشكل حتى تتبيّنَ له فيها قراءة ابن عامر ؟

إنّ المرجع في تلقّي القرآن وقراءاته هو التلقّي الشفهي ، وكفى به مرجعاً .

قال لى شيخنا أبو القاسم الشاطبى :

« إياك وطعن ابن جرير على ابن عامر » .

ولله درّ إمام النحاة : أبى عبد الله بن مالك - رحمه الله - حيث قال فى « كافية الشافية » :

وحجّتى قـراءة ابن عامـر فكم لها من عاضد وناصر

١٢ - وهذا الفصل الذى ورد فى هذه القراءة ، فهو منقول من كلام العرب من فصيح كلامهم ، جيّدٌ من جهة المعنى أيضاً :

أما وروده فى كلام العرب :

(ا) فقد ورد فى أشعارهم كثيراً :

أنشد من ذلك سيبويه ، والأخفش ، وأبو عبيدة ، وثعلب ، وغيرهم . . مالا يُنكر ، مما يخرج به كتابنا عن المقصود .

(ب) وقد صح من كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « فهل أنتم تاركو لى صاحبى ؟ »[1] . ففصل - بالجارّ والمجرور - بين اسم الفاعل ومفعوله ، مع ما فيه من الضمير المنوىّ ، فَفَصْل المصدر بخلوه من الضمير أوْلى بالجواز .

(حـ) وقرئ : « فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ »[2] .

وأما قوته ، من جهة المعنى :

فقد ذكر ابن مالك ذلك من ثلاثة أوجه :

---

(١) قول النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : « فهل أنتم تاركو لى صاحبى » وَرَدَ فى صحيح البخارى ، فى كتاب فضائل الصحابة ، فى حديث أبى الدرداء ، والنص :

« . . . . . إنّ الله بعثنى إليكم ، فقلتم : كذبتَ ، وقال أبو بكر : صدق ، وواسانى بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لى صاحبى ؟ (مرتين) . . . . . »

وينقل ابن حجر العسقلانى أحد توجيهين لهذه العبارة ، وهو أن يكون (صاحبى) مضافاً ، وفُصِل بين المضاف والمضاف إليه بالجارّ والمجرور عناية بتقديم لفظ الإضافة ، وفى ذلك جَمْع بين إضافتين إلى نفسه تعظيما للصِّديق ، ونظيره : قراءة ابن عامر : « وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أولادَهُمْ شُرَكائهم » ، بنصب (أولادهم) وخفض (شركائهم) . وفصل بين المضافين بالمفعول . (انظر : فتح البارى حـ ٧ ص ٢٦ ط . محب الدين الخطيب) .

(٢) سورة إبراهيم / ٤٧ .

وفى العكبرى : إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن (ص ٧١) :

« الرسل : مفعول أول ، والوعد : مفعول ثان ، وإضافة (مخلف) إلى (الوعد) : اتّساع . والأصل : مخلف رسله وعده ، ولكن ساغ ذلك لما كان كلّ واحد منهما مفعولاً ، وهو قريب من قولهم : « يا سارق الليلةِ أهلَ الدار » ، حيث اتُّسع فى الظرف (أى الليلة) ، فَنصب نصب المفعول به ، ثم وقعت الإضافة إليه على هذا الحدّ » .

(أحدها) : كون الفاصل فُضْلة[1] ، فإنه – لذلك – صالح لعدم الاعتداد به .

(الثانى) : أنه غير أجنبي معنىً ، لأنه معمول للمضاف هو والمصدر .

(الثالث) : أن الفاصل مقدّر التأخير لأن المضاف إليه مقدَّر التقديم ، لأنه فاعل فى المعنى ، حتى إن العرب ، لو لم تستعمل مثل هذا الفصل ، لاقتضى القياسُ استعماله ، لأنهم قد فصلوا – فى الشعر – بالأجنبي كثيراً ، فاستحق الفصل بغير أجنبي أن يكون له مزية ، فيحكم بجوازه مطلقاً .

وإذا كانوا قد فصلوا بين المضافين بالجملة فى قول بعض العرب : « هو غلامُ – إن شاء الله – أخيك » ، فالفصل بالمفرد أسهل .

١٣ – ثم إن هذه القراءة قد كانوا يحافظون عليها ، ولا يرون غيرها :

قال ابن ذكوان : (شركايهم) بياء ثابتة فى الكتاب والقراءة .

قال : وأخبرنى أيوب – يعنى : ابنَ تميم شيخَه – قال :

قرأت على أبى عبد الملك قاضى الجند : « زَيَّنَ لكثير من المشركين قتلَ أولادهم شركاؤهم »

قال أيوب :

فقلت له : إن فى مصحفى ، وكان قديما ، « شركائهم » ، فمحا أبو عبد الملك الياء ، وجعل مكان الياء واوا .

قال أيوب :

ثم قرأت على يحيي بن الحارث : « شركاؤهم » ، فرد علىّ يحيي : « شركائهم » ، فقلت له : إنه كان فى مصحفى بالياء ، فَحُكَّتْ ، وجُعلت واوا .

فقال يحيي : أنت رجل مَحَوْتَ الصواب ، وكتبت الخطأ ، فرددتُها فى المصحف على الأمر الأول » .

(ب) وكتب الزمخشرى أيضاً عند تفسير آية : « هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً »[2] أن عمرو بن عبيد قرأ كلمة (الحقّ) بالنصب على التأكيد ، كقولك : هذا عبد الله الحقَّ لا الباطل .

---

(١) الفُضْلة (بالضمّ وسكون الضّاد المعجمة) : ما يقابل العُمْدة ، كالحال والمفعول ونحوهما ، ممّا ليس بجملة مستقلة ولا بركن كلام .

وقد يطلق على ما يزيد على أصل المراد ، ولا يفوت المراد بحذفه .

(انظر مثلا : التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون حـ ٥ ص ١١٤٢ – الطبعة المصورة – خياط ببيروت) .

(٢) سورة الكهف / ٤٤ .

وقال الزمخشري : « وهي قراءة حسنة فصيحة . وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وأنصحهم »[١] .

وهذا – كما يقول ابن المنيّر الإسكندري – « يوهم أن القراءات موكولة إلى رأى الفصحاء واجتهاد البلغاء ، فتتفاوت في الفصاحة لتفاوتهم فيها »[٢] .

وقد هوجم الزمخشري في هذا أيضاً ، فقيل إنّ قوله « منكر شنيع » ، وإن الحق « أنه لا يجوز لأحد أن يقرأ إلا بما سمعه فوعاه بِفَلْق فيه – صلى الله عليه وسلم – منزّلاً كذلك من السّماء ، فلا وقع لفصاحة الفصيح ، وإنما هو ناقل كغيره »[٣] .

وقيل – في مهاجمة الزمخشري – إنه « لا يفوته الثّناء على رأس البدعة ومعدن الفتنة ، فإن عمرو بن عبيد أوّلُ مصمّم على إنكار القَدَر ، وهلّم جرّا ، إلى سائر البدع الاعتزالية ، فمن ثَمّ أثنى عليه »[٤] .

وقال الناقدون إن الزمخشري « لم يكن له – على ما عنده من العلم – لقاء ولا رواية[٥] » .

وابن عامر الذى عاب الزمخشري قراءته هو في الطبقة الأولى من التّابعين ، وقراءته ليست هيّنة السَّنَد . وقد كان يقرأ بها المقدسيّ صاحب « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » ، فسأله أحد القضاة :

« أنت رجل متفقّه لأهل الكوفة ، فَلِمَ لَمْ تقرأ بحروفهم ؟ وما الذى أمالك إلى قراءة ابن عامر ؟

قال المقدسيّ : قلت : خلال أربع :

قال القاضي : وما هنّ ؟

قلتُ : أما (الأولى) فإنّ ابنَ مجاهد روى – عن ابن عامر – ثلاث روايات :

(إحداهن) أنه قرأ على عثمان بن عفان .

(والثانية) أنه سمع القرآن من عثمان وهو صبيّ .

(والثالثة) أنه قرأ على من قرأ على عثمان .

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل جـ ١ ص ٤٧٤ .

(٢) انظر : الانتصاف (بذيل الكشاف) جـ ٢ ص ٣٩٢ .

(٣) انظر : القاسمي : محاسن التأويل جـ ١ ص ٣٠٢ و ٣٠٣ .

(٤) انظر : المرجع السابق .

(٥) انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٨٧ – ترجمة ٢٣٥ ط . محيي الدين عبد الحميد .

وليس هذا لغيره من أئمة القراء ، بل بين كلِّ واحد وبين علىّ ، وعبد الله ، وأُبىّ ، وابن عباس ، رجلان أو ثلاثة .

فَمَنْ بينه وبين عثمان الذى قد أجمع المسلمون على مصحفه ، واتفقوا على جمعه ، وتداولوه رجل : أحقّ بأن يُقْرأ له ممّن بينه وبين من لا يُستعمل جمعهُ ، ولا وقع الاتفاق على مصحفه ، رجلان أو ثلاثة . . » إلخ [١] .

وقد كان مما قيل عن ابن عامر « إنه لم يتعدّ – فيما ذهب إليه – الأثر ، ولم يقل قولا يخالف فيه الخبر » [٢] .

(ح) وقد ردّ آخرون – وخاصة من النحويين – على بعض القراء فى اختياراتهم منكرين ومخطّئين [٣] .

ولكن الجمهور على غير رأى النحويين :

يقول الزركشى فى اعتراضاتهم على أئمة القراءة : « وهذا تحامل ، وقد انعقد الإجماع على صحة قراءة هؤلاء الأئمة ، وأنها سنّة متبعة ، ولا مجال للاجتهاد فيها . ولهذا قال سيبويه فى كتابه ، فى قوله تعالى « مَا هَـٰذَا بَشَرًا »[٤] : « وبنو تميم يرفعونه إلاّ مَنْ درى كيف هى فى المصحف ، وإنما كان كذلك لأن القراءة سنّة مروّية عن النبى – صلى الله عليه وسلم – ، ولا تكون القراءة بغير ما رُوِى عنه »[٥] .

ويقول الدانى فى كتابه « جامع البيان » :

« وأئمة القراءة لا تعمل فى شىء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة ، والأقيس فى العربية ، بل على الأثبت فى الأثر ، والأصحّ فى النقل . والرواية – إذا ثبتت عندهم – لا يردّها قياس عربية ولا فشوّ لغة ، لأنّ القراءة سنّة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها »[٦] .

وعلى ذكر الاعتماد على القياس فى أمور الدين ، نشير هنا إلى عبارة لأبى حيّان التوحيدىّ ، يقول : « وما أحوج الناظرَ فى الدين إلى حُسْن الظنّ واليقين ، وإلى متن متين فيه ! فإنه متى حاول معرفة كلّ شىء بالرأى والقياس كلَّ وملَّ ، ومتى استرسل مع كلّ شىء

---

(١) أحسن التقاسيم ص ١٤٢ (ط . ليدن) .

(٢) ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٦١ .

(٣) انظر : أمثلة هذا فى النشر لابن الجزرى جـ ١ ص ١٠ .

(٤) سورة يوسف / ٣١ .

(٥) انظر : الزركشى : البرهان جـ ١ ص ٣٢١ و ٣٢٢ .

(٦) انظر : ابن الجزرى : النشر جـ ١ ص ١٠ و ١١ .

زلّ وضلّ »[١] .

هذا ، مع أنّ مواهب التوحيدى الإسلامية لم تكن أنصع مواهبه .

ويقول ابن تيمية ، فى هذا الباب أيضاً : « كان من الأصول المتّفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان : أنه لا يُقْبل من أحد قطّ أن يعارض القرآن ، لا برأيه ، ولا ذوقه ، ولا معقوله ، ولا قياسه ، ولا وجده . . . إلخ »[٢] .

ويقول : « لا يوجد فى كلام أحد من السّلف أنه عارض القرآن بنقل ورأى وقياس . ولا بذوق ووجد ومكاشفة . . إلخ »[٣]

وكلام الزمخشرى — على ما يبدو — فاتن ، وقد تورّط فى متابعته البيضاوىّ المفسّر ، فكان لذلك نكيرٌ عند علىّ بن سلطان القارى ، إذ يقول : « والعجب من البيضاوى — مع أنه من أئمة أهل السّنة — تبعه (يعنى : الزمخشرى) ، فى هذه القضية ، كما بيّنته فى تخريج قراءاته من تفسيره بالحاشية المستقلة ، وأوضحت فيه من تقصيره وتغييره ، ونقصان فى تعبيره »[٤] .

(د) وورد عن بعض المشتغلين بالقرآن ما يستفاد منه أن القراءات متفاوتة القدر ، كأنها ليست نقلا خالصاً ، وأن إحداها أحبّ إليهم من غيرها[٥] ، وأن لكل قراءة خصيصة مرجعها صاحب القراءة :

روى ابن الجزرى عن أحد من ترجم لهم من القراء ، وهو أبو العباس الطنافسىّ البغدادىّ أنه قال : « من أراد أحسن القراءات فعليه بقراءة أبى عمرو ، ومن أراد الأصل فعليه بقراءة ابن كثير ، ومن أراد أفصح القراءات فعليه بقراءة عاصم ، ومن أراد أغرب القراءات فعليه بقراءة ابن عامر ، ومن أراد الأثر فعليه بقراءة حمزة ، ومن أراد أظرف القراءات فعليه بقراءة الكسائى ، ومن أراد السّنّة فعليه بقراءة نافع »[٦] .

ويستفاد من هذا القيل الخطير أن قراءة أحسن من قراءة ، وأن قراءة هى الأصل وغيرها ليس أصلا ، وأن قراءة أفصح وأخرى فصيحة ، وقراءة غريبة وغيرها أقل غرابة أو ليست

(١) البصائر والذخائر المجلد ١ ص ٩٨ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية - مقدّمة التفسير حـ ١٣ ص ٢٨ (ط . السعودية) .

(٣) نفس المرجع .

(٤) شرح العقيلة ص ٦ و ٧ من المخطوطة رقم ٢٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٥) انظر على سبيل المثال : الفراء : معانى القرآن جـ ١ ص ١٤٣ ، عند الكلام عن قوله تعالى : « لا يَحزُنُهم الفزع الأكبرُ » (سورة الأنبياء ، ١٠٣)

(٦) غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٧٥

غريبة . وقراءة هى الأثر وما عداها ليس أثرا ، وقراءة هى أظرف من قراءة ، وقراءة هى السنّة وغيرها دونها سنّيّة .

وعندنا أن هذا خطأ غليظ ما كان يحقّ للطنافسى بحال أن يذهب إليه . فالقراءات – لا بدّ – توقيفية ، وليست اختيارية ، وإلاّ وجد الشكّ والوهمُ سبيليهما إلى آى الكتاب .

والعجيب أنّ مكّى بن أبى طالب ينهج نفس ذلك النهج ، فيقول : « وأصحّ القراءات سنداً : نافع . وعاصم ، وأفصحها : أبو عمرو ، والكسائى »[١] .

وحتى الطبرى المفسّر يفاضل – أحيانا ، وعلى نحو ما – بين القراءات مفاضلة نسوق هنا لها الأمثلة :

١ – فهو فى تفسير قوله تعالى : « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ . وَٱمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ »[٢] يتكلم عن كيف قرئت « وأرجلكم » منصوبة وبالخفض ، ثم يقول : « غير أن ذلك وإن كان كذلك ، وكانت القراءتان كلتاهما حسناً صواباً . فأعجب القراءتين إلىّ أن أقرأها قراءة من قرأ ذلك خفضا »[٣] .

٢ – وفى قوله تعالى : « وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ »[٤] ، يقول الطبرى بعد الكلام عن خفض « الأنصار » ورفعها : « والقراءة التى لا أستجيز غيرها : الخفض فى (الأنصار) »[٥] .

٣ – وفى قوله تعالى : « أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ . . . »[٦] ذكر الطبرى أن فعل « أسّس » بُنى للمجهول فى المرتين كلتيهما فى قراءة ، وبُنى للمعلوم فى قراءة أخرى ، ثم قال : وهما قراءتان متفقتا المعنى ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أن قراءته بتوجيه الفعل إلى « مَنْ » – إذْ كان « مَنْ » المؤسّس – أعجب إلىّ »[٧] .

---

(١) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ٩ ص ٢٦

(٢) سورة المائدة / ٦

(٣) جامع البيان جـ ٦ ص ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ .

(٤) سورة التوبة / ١٠٠

(٥) جامع البيان جـ ١١ ص ٧

(٦) سورة التوبة / ١٠٩

(٧) جامع البيان جـ ١١ ص ٢٤

٤ – وفى قوله تعالى : « قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ » (١) ، قال الطبرى : إنّ أولى القراءتين عنده بالصواب قراءة « فعُمّيت » بضم العين وتشديد الميم (٢) .

٥ – وكذلك وصف الطبرى قراءة من قرأ : « ماذا ترى » بفتح التاء فى قوله تعالى : « فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّى أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ » (٣) ، بأنها أيضاً أولى القراءتين بالصواب (٤) .

٦ – وفى قوله تعالى : « مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ » (٥) ، ذكر الطبرى أنه يحبّ قراءتين يجب أن لا يعدوهما قارئ (٦) .

* * *

ونحن – حتى من الناحيتين البلاغية والذوقية – نقرّر ، بنفس الموضوعية التى نلتزمها فى هذا البحث التزاماً ، أننا نرفض أحكام الطبرى الآنفة ولا نسيغ هواه :

فأيّة قراءة ثابتة القرآنية استجازها الطبرىّ أو لم يستجزها : هى – عند المسلمين خاصّتهم وعامّتهم فى كلّ زمان ومكان – ليست جائزة فحسب ، وإنما هى واجبة وجوباً ، لسبب أساسىّ هو أنها بعض النصّ القرآنى المعجز دائماً بلفظه ومعناه كليهما .

وأيّة قراءة ثابتة القرآنية تعجب الطبرى أو لا تعجبه ، وتنزل على هواه وفهْمه أوْ لا تنزل : هى معجبة لكلّ المسلمين على اختلاف مراتبهم فى الفصاحة والبلاغة ، وفى كلّ زمان ومكان أيضاً . فإذا شذّ عنهم فرد ، فالأصحّ فى الفهم ، والأعدل فى الحكم ، أن يكون هذا الفرد وحده هو الذى زاغ بصره ، ومال ميزانه .

وأيّة قراءة ثابتة القرآنية ينكر الطبرى أوْلويّتها بالصواب ، أو لا ينكرها : هى بالضرورة من الصّواب فى اللُّباب ، لأنها منزّلة هكذا على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ومكتوبة هكذا فى مصاحف المسلمين ، ومنقولة هكذا بالتواتر منذ عهد النبوة .

وأية قراءة ثابتة القرآنية يرى الطبرى القراءة بها أوْ لا يرى : هى مما يجب أن يقصد إليه المسلم قصْداً ، لأنها قرآن يُتعبَّد بتلاوته ، ولا يحلّ للمسلمين اتخاذه مهجوراً .

---

(١) سورة هود / ٢٨
(٢) جامع البيان جـ ١٢ ص ١٨
(٣) سورة الصافات / ١٠٢
(٤) جامع البيان جـ ٢٣ ص ٥٠
(٥) سورة الحجر / ٨
(٦) جامع البيان جـ ٣٠ ص ٢١٩

وهلاّ قال ابن جرير – رحمه الله – عن القراءات التي لزمها إنّه يختارها ، ثم لم يزد ! !

* * *

هذا ، ولو أطعنا الطبرى فى تلك المفاضلات لكنّا ممن يُعْمل الاجتهاد فى آن ، وهو مالا يجوز فيه الاجتهاد .

والقرآن – بلا ريب – أجلّ وأخطر من أن يقرأه مسلم برأيه المجرّد .

والقراءة – كما يقرر المسلمون ، وكما ذكرنا قبلا – سنّة متّبعة [١] .

وقد كان رؤساء الصحابة ينكرون تفضيل قراءة على قراءة من أىّ وجه [٢] .

وقد حكى أبو عمر الزاهد فى كتاب « اليواقيت » عن ثعلب أنه قال : إذا اختلف الإعرابان فى القراءات لم أفضّل إعراباً على إعراب ، فإذا خرجتُ إلى كلام الناس فضّلتُ الأقوى [٣] .

وقال أبو جعفر النحاس : « السّلامة عند أهل الدين – إذا صحت القراءتان – أن لا يقال : إحداهما أجود ، لأنهما جميعاً عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فيأثم من قال ذلك » [٤] .

وقال أيضاً – وقد حكى اختلافهم فى ترجيح « فكّ رقبة » فى سورة « البلد » بالمصدريّة والفعلية – : « والديانة تحظر الطعن على القراءة التى قرأ بها الجماعة ، ولا يجوز أن تكون مأخوذة إلا عن النبي – صلى الله عليه وسلّم – . . » [٥] .

وقد رُوى عن صالح بن أحمد بن حنبل أنه سأل أباه : أىّ القراءات أحبّ إليك ؟ قال : قراءة نافع . قال صالح : فإن لم توجد ؟ قال : قراءة عاصم [٦] . بيد أن التعبير الخليق – فى ظنّنا – بأحمد بن حنبل هو ما ورد فى رواية أخرى من أنه أجاب فى شأن عاصم : « أهل الكوفة يختارون قراءته وأنا أختارها » [٧]

* * *

---

(١) انظر : الزركشى : البرهان جـ ١ ص ٣٢١ و ٣٢٢

(٢) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٨٣

(٣) انظر : نفس المرجع .

(٤) انظر : نفس المرجع .

(٥) انظر : الزركشى : البرهان جـ ١ ص ٣٣٩ و ٣٤٠

(٦) السيوطى : المرجع السابق

(٧) انظر : أبو شامة : إبراز المعانى من حرز الأمانى ص ٦

وقد قيل ، فى باب من أبواب اختلاف القراءات من حيث قراءة الضمير للغيبة عند قارئ وقراءته للخطاب عند قارئ آخر : إذا أقرأ بعضُهم بالياء وبعضُهم بالتاء لم يكن واحد منهما خارجا عن المصحف[١] . يقول ابن تيمية ، فى تأييد ما ذكرنا : « ومما يوضّح ذلك : أنهم يتفقون فى بعض المواضع على ياء أو تاء ، ويتنوعون فى بعض ، كما اتفقوا فى قوله تعالى : « وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ » فى موضع ، وتنوعوا فى موضعين »[٢] .

* * *

والمسلمون – منذ كانوا – يمنعون عن قراءة وسماع ما لم تُعلم قرآنيته ، وما لم يُنقل متواتراً عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فإذا عاشت رواية قرآنية ولم ينكرها أحدٌ من المسلمين فلأنها مما ثبت أمام القواعد التى تقرر لإحدى الآيات قرآنيتها وتواترها ، ولا تقرر لكلام آخر القرآنية والتواتر .

* * *

ومع ذلك فما زال بعض الناس يطرحون المبالاة بهذا الحق الواضح ، ففى شرح كتاب « كنز العرفان فى فقه القرآن لجمال الدين المقداد بن عبد الله السيورى المتوفى سنة ٩٢٦ هـ »[٣] . يقول الشارح[٤] بأن : « القراءات غير متواترة ، بل إنما هى اجتهاد من القراء ، أو نقل آحاد لم يثبت عن النبى ، صلى الله عليه وسلم »[٥] ، وهو قول ينقضه تماماً ما ذكرناه .

١٠

ويعزو « طه حسين » القراءات إلى القراء من القبائل . يقول فى كتابه : « فى الأدب الجاهلى » :

« إن القرآن الذى تُلى بلُغَة واحدة ولهجة واحدة هى لغة قريش ولهجتها لم يكد يتناوله القراء من القبائل المختلفة حتى كثرت قراءاته ، وتعدّدت اللهجات فيه ، وتباينت تبايناً كثيراً جدَّ القراء والعلماء المتأخرون فى ضبطه وتحقيقه ، فأقاموا له علماً أو علوماً خاصة »[٦] .

---

(١) ابن تيمية : فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وما المراد بهذه السبع ص ٥٥

(٢) نفس المرجع ص ٥٦

(٣) مطبوع بطهران سنة ١٣٨٤ هـ

(٤) واسمه محمد باقر شريف زاده

(٥) ج ١ ص ٤٤

(٦) فى الأدب الجاهلى ص ٩٨

فهو يرى أن القراءات ليس سببها أن القرآن هكذا أنزل ، أو هكذا أذن الله فى أن يُقرأ ، أو هكذا قرأه النبي صلى الله عليه وسلم .

(ا) وهو رأى يقتضى الشك فى أن تكون قراءتنا هى نفس قراءة النبي (ص). وإذا كان النبي – طبقاً لهذا الرأى – لم يقرأ إلا بقراءة واحدة ، ولم يجز القراءة بغيرها ، فهل قراءته هذه ، هى التى قرأ بها – فيما بعدُ – نافع وراوياه الأشهران ، أم هل هى قراءة ابن كثير وراوييه المختارين ؟ ومَنْ مِنَ القراء العشرة ورواتهم الذين اعتمدهم المسلمون قرأ بهذه القراءة الواحدة ؟

(ب) وإذا سلّمنا – جدلاً فقط – بأنّ اختلاف الإظهار والإدغام والرَّوْم والإشمام ، والتفخيم والترقيق ، والمدّ والقصر ، والإمالة والفتح ، والتحقيق والتسهيل ، والإبدال و لنقل مما يعبّر عنه اصطلاحاً بالأصول . . . إذا سلّمنا – جدلاً – بأنّ الوحى لم ينزل بهذا ، فماذا نقول فى اختلاف ضبط الحركات سواء أكانت حركات بِنْيَة أم حركات إعراب ؟ هل نقول إن اختلاف اللهجات هو سبب اختلاف القراء فى مثل نصب « الطير » فى الآية : « يٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُ وَالطَّيْرَ » [١] ورفعها ؟ [٢] .

وهل اللهجات هى سبب الاختلاف فى قراءة : « وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ » [٣] بفتح اللام الأولى ورفع الأخرى ، وبكسر الأولى وفتح الثانية [٤] ؟

وهل اللهجات هى سبب الاختلاف فى قراءة : « لَن تُخْلَفَه » [٥] ، بفتح اللام وبكسرها [٦] ؟

وهل اللهجات هى سبب الاختلاف فى قراءة : « رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا » [٧] ، بنصب

---

(١) سورة سبأ / ١٠

(٢) يقرأ رَوْح برفع الراء من « والطيرُ » (الدمياطى البنا : الإتحاف ص ٣٥٨) .

(٣) سورة إبراهيم / ٤٦ .

(٤) يقرأ الكسائىّ بفتح اللام الأولى ورفع الثانية ، والباقون بكسر الأولى ونصب الثانية (انظر : الدمياطى البنا : الإتحاف ص ٢٧٣)

(٥) سورة طه / ٩٧

(٦) قرأ نافع ، وعاصم ، وابنُ عامر ، وحمزة والكسائىّ : « لن تُخْلفهُ » بفتح اللام . وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : « لنْ تُخْلِفهُ » ، بكسر اللام (انظر ابن مجاهد : السبعة ص ٤٢٤)

(٧) سورة سبأ / ١٩

لفظِ « ربّنا » على النداء ، وقراءة : « رَبُّنا » بَـعَدَ بَيْن أسفارنا » بضم الباء على الابتداء [١] ؟

وماذا نقول فى اختلافات فى القراءة تقع فى حروف الكلمات دون إعرابها مما يغيّر معناها ولا يغيّر صورتها ، نحو قوله : « تَبْلُواْ » و « تَتْلُواْ » [٢] ، ومثل « عِبَـدُ الرَّحْمَـن » و « عِنْد الرحمن » [٣] هل يمكن أن تنشأ – عن تعدّد اللهجات وتباينها – مثل هذه الاختلافات المختارة بغير تعمّل ؟

(ح) والقوانين الطبيعية العامة التى تجعل اللغة تتجه فى تطورها الصوتى عند كلّ جماعة من الجماعات الناطقة بها وجْهة خاصة ، والتى كانت على عهد نزول القرآن قد أحدثت اختلاف اللهجات بين القبائل العربية . . . هذه القوانين ما انفكّت تعمل عملها فى اللغات الإنسانية ، فهى – فى اللغة العربية – ما برحت تولّد اللهجات المتباينة بين الناطقين بها . وهو تباين نلمسه جيداً فى عامية مصر ، وعامية نجد والحجاز ، وعامية العراق ، وعامية اليمن وعامية المغرب .

وإذا كان تعدّد اللهجات سوّغ قديماً لقراء القبائل المختلفة أن يكثروا من قراءات القرآن بما يوافق لهجاتهم ، وأن يَدَعُوا هذه اللهجات تتعدّد فى القرآن ، وهذا كلّه من تلقاء أنفسهم ، وليس بتوجيه من النبىّ (ص) ، فإنه لا حرج إذن – فى ظلّ هذا المذهب الظاهر الفساد – من أن تمضى قراءات القرآن فى الكثرة ، ولهجاته فى التعدد ، فمثلا ، لا حرج – فى ظل هذا المذهب – وقد تحوّلت الثاء إلى تاء ، وأحياناً إلى سين فى بعض المناطق العربية ، وتحولت القاف إلى جيم غير معطّشة فى بعض هذه المناطق ، وإلى همزة فى مناطق

---

(١) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وهشام أحد الراويين الأشهرين لابن عامر بنصْب لفظ « ربّنا » على النداء ، و « بَعِّدْ » بكسير العين المشدّدة بلا ألف : فعل طلب ، اجتراءة منهم وبطراً .

وقرأ يعقوب : « ربُّنا » بضم الباء على الابتداء ، و (باعد) خبر ، على أنه شكوى منهم لبعد سفرهم إفراطا فى الترفّه وعدم الاعتداد بما أنعم الله به عليهم .

وقرأ الباقون : « ربّنا » بالنصب « باعد » بالألف وكسْر العين وسكون الدال . (انظر : الدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٣٥٩)

(٢) سورة يونس / من الآية ٣٠

وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وابن عامر : « تَبْلُواْ » بالباء .

وقرأ حمزة ، والكسائىّ : « تَتْلُواْ » بالتاء (أنظر : ابن مجاهد : السبعة ص ٣٢٥)

ومعنى « تبلوا » : تَخْبُرُ ، ومعنى (تتلوا) تقرأ .

(٣) سورة الزخرف / من الآية ١٩

ويقرأ أبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائى ، وخلف : « عباد » بألف بعد الباء ، ورفع الدال (جمع عَبْد)

ويقرأ الباقون : « عِنْد » بالنون الساكنة ، وفتح الدال بلا ألف ظرفاً (انظر : الدمياطى البنا : الإتحاف ص ٣٨٥)

أخرى ، وتحوّلت الذال إلى زاى ، وتضاءلت أصوات اللين الطويلة حتى كادت تنقرض [١] .

لا حرج من أن يقرأ القارئ : إنّ الله لا يظلم (متآل) أو (مسآل) أو (مسجال) زرّة ، بدلا من قوله . « إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ » [٢] ويقرأ : « فإنْ لم يكن لو ولد » ، وَوَرِثَه أبويه فلأمه الثُّلْثْ » ، ويقرأ : « فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شُرَكِهْ فى الثِّلْث » ، بدلاً من قوله تعالى : « فَإِنْ لَمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ » . وقوله « فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِى الثُّلُثِ » [٣] . ويقرأ : فإن أعرضوا « فَجُلْ » أو « فأول » أنزرتكم « صعأة » أو « صعجة » مِسْل « صعأة » أو « صعجة » عاد وثمود ، بدلاً من قوله سبحانه : « فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ » [٤] .

ومن أسهل السهل أن نورد من هذا القبيل مئاتِ الأمثلة أو ألوفها ، ولكننا نجتزئ بما ذكرنا لكفايته فى إثبات أن تَرْك القرآن للناس يقرأونه بما يشتهون من قراءات وما يُؤْثِرون من لهجات – كما ظنّ طه حسين – هو ، فى كلمة موجزة ، إلغاء للقرآن .

* * *

ولطه حسين – فى شأن القراءات – رأى خاطئ ثان ، فهو يقول :

« وهنا وقفة لابدّ منها ، ذلك أن قوماً من رجال الدين فهموا أنّ هذه القراءات السبع متواترة عن النبىّ ، نزل بها جبريل على قلبه ، فمنكرها كافر من غير شك ولا ريبة ، ولم يُوفّقوا إلى دليل يستدلّون به على ما يقولون سوى ما رُوِى فى الصّحيح من قوله صلى الله عليه وسلم : « أُنْزِل القرآنُ على سبعة أحرف » [٥] .

ويمضى فيقول :

« والحق أن ليست هذه القراءات السّبع من الوحى فى قليل ولا كثير ، وليس منكرها كافراً ولا فاسقاً ولا مُعْتَمِراً فى دينه ، وإنما هى قراءات مصدرها اللّهجات واختلافها . . للناس أن يجادلوا فيها ، وأن ينكروا بعضها ويقبلوا بعضها . . . وقد جادلوا فيها بالفعل وتعاروا ، وخطّأ فيها بعضهم بعضاً ، ولم نعرف أنّ أحداً من المسلمين كفّر أحداً لشىء من هذا . . إلخ [٦]

---

(١) نظر : على عبد الواحد وافى : علم اللغة ص ٢٦٤ – ٣٠٠

(٢) سورة النساء / ٤٠ .

(٣) سورة النساء / ١١ ، ١٢ .

(٤) سورة فصلت / ١٣

(٥) فى الأدب الجاهلى ص ٩٨ و ٩٩ .

(٦) نفس الكتاب ص ٩٩

وطه حسين – فى ارتيابه فى الأحاديث الصحيحة – إنما يتابع غالباً ، ولو لم يصرح ، تيودور نولدكه [١] صاحب كتاب « تاريخ القرآن » [٢] الذى سبق إلى مثل هذا الارتياب فى أكثر ما يتعلق بتاريخ القرآن من الروايات والأحاديث وأقوال المفسِّرين .

ولسنا مع طه حسين ولا مع نولدكه فى عدم الاعتداد بالسّنّة الصحيحة فى الاستدلال على قرآنية القراءات ، فالحديث النبوى – إذا صحّ – هو عند المسلمين حجّتهم القاطعة بعد القرآن [٣] .

ومع هذا ، فنحن نناقش تلك الدعاوى أيضاً عن غير طريق السّنّة :

١ – إنه ما دام أمر القراءات – بحسب قول طه حسين – أمراً تجوز فيه المجادلة والإنكار والقبول والرفض ، فإنّ من المنطق أن تجوز فيه الإضافة والاستحداث . ولماذا لا يقرأ كلّ مسلم القرآن بلهجته الخاصة على النّمط الذى أشرنا إليه فى فقرات سابقة ؟ ولماذا لا يقرأ أبناء البلاد الآسيوية والأفريقية القرآن بلهجاتهم ؟ ولماذا لا يقرأ المسلمون : الأمريكى والأوروبى والأسترالى كل منهم بلهجته ؟ هذه نتيجة خاطئة لمقدمة خاطئة . وقد سقنا الشواهد آنفاً على أنّ البشر إذ يُدْخلون اللّهجات من عندهم فى القرآن يلغونه إلغاء ، فضلا عن أن يبدّلوه تبديلا .

٢ – ثم إنه يلزم من إنكار قرآنية القراءات أن يكون رواتها وعلماؤها – منذ فجر الإسلام – جهلة وحمقى ، أو كذابين ومجترئين ، لا يرعون لكتابهم الأكبر حرمة ، بل يتواطؤون ضده ، على مدى الأزمان ، بأعدادهم التى لا تحصى . ويلزم أيضاً أن تكون الأمة ، منذ عهد النبى (ص) إلى يومنا هذا ، تابعت أناساً فيما جاءوا به من عند أنفسهم ، ولم يتابعوا كلام السماء

٣ – فأما قول طه حسين إنه لم يعرف أنّ أحداً من المسلمين كفّر أحداً لشىء من المجادلة فى القراءات ، وإنكار بعضها ، وقبول بعضها ، فيردّه الكثير مما جاء فى كتب علوم القرآن وكتب السّنة والتاريخ والتراجم والأدب :

(ا) فى لفظ لعمرو بن العاص فى حديث الأحرف السبعة التى نزل القرآن عليها :

---

(١) Theodor Nöldeke

(٢) Geschichte des Qorans (Gottingen, 1860)

(٣) انظر فى أهمية السّنة : مصطفى السباعى : السّنّة ومكانتها فى التشريع الإسلامى .
عبد الحليم محمود : السنة فى مكانتها وفى تاريخها .
ومحمد الحافظ التجانى : سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .
والسيّد سليمان الندوى : تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها .

« فأىّ ذلك قرأتم فقد أصبتم ، ولا تماروا فيه فإن المراء فيه كفر » ، رواه ، أو روى مثله أحمد ، وأبو عبيد ، والطبرى ، والطبرانى ، وابن حبان ، والحاكم[١] .

(ب) ويقول القاضى عياض : « واعلم أنّ من استخفّ بالقرآن أو المصحف أو بشىء منه أو سبّهما ، أو جحده أو حرفاً منه أو آية . . . أو شكّ فى شىء من ذلك فهو كافر – عند أهل العلم – بإجماع »[٢] .

(حـ) ويروى عياض ما قاله أبو عثمان الحدّاد من أن جميع من ينتحل التوحيد متفقون على أن الجحد لحرف من التنزيل كفر[٣] .

(د) وكان أبو العالية أحد أئمة القراءات إذا قرأ عنده رجل – أى بقراءة لم يعرفها – لم يقل له : ليس كما قرأت ، ويقول : أما أنا فأقرأ كذا . وهذا – كما يقول على القارى – « من كمال احتياطه فى تورّعه »[٤] .

ويقول على القارئ : « فبلغ ذلك القولُ من أبى العالية إبراهيم النخعى أو التيمى ، فقال : أُراه – بضم الهمزة – أى أظنه سمع أنّ من كفر بحرف منه فقد كفر به كلّه ، لأنّ الكفر ببعضه يؤذن بالكفر بكله ، بخلاف الإيمان ببعضه ، فإنه لا يقوم مقام الإيمان بكلّه »[٥] .

(هـ) ويقول الطحاوى : « إنّ من كفر بحرف منه – فيما خلا روايات الآحاد – كان كافراً حلالَ الدّم إن لم يرجع إلى ما عليه الجماعة »[٦] .

(و) وقد أصدر شيخ الشافعية أبو الحسن على بن عبد الكافى ، فى هذا الشأن فتوى يقول فيها :

« القراءات السبع التى اقتصر عليها الشاطبى ، والثلاث التى هى قراءة أبى جعفر ، وقراءة يعقوب ، وقراءة خلف : متواترة ، معلومة من الدين بالضرورة ، وكلّ حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لايكابر فى شىء من ذلك إلا جاهل ، وليس تواتر شىء منها مقصوراً على من قرأ بالروايات ، بل هى عند كلّ مسلم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، ولو كان

---

(١) انظر : المناوى : فيض القدير حـ ٤ ص ٥٣٦ . ورواية أحمد فى مسنده : « . . . فإنّ مرءً فيه كفر » . ومفهوم أن الأحرف السبعة التى نزل القرآن عليها هى أصل القراءات المتواترة والمشهورة .

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى حـ ٢ ص ٢٦٣

(٣) نفس المرجع ص ٢٦٤ .

(٤) شرح الشفا حـ ٢ ص ٤٥٢ (ط . تركيا ١٣١٠) .

(٥) نفس المرجع .

(٦) مشكل الآثار جـ ٤ ص ١٩٤ .

– مع ذلك – عامّيًّا جلفاً لا يحفظ من القرآن حرفاً . ولهذا تقرير طويل ، وبرهان عريض لا يسع هذه الورقة شرحه . وحظُّ كلّ مسلم وحقه أن يدين الله تعالى ، ويجزم نفسه بأن ما ذكرناه متواتر معلوم باليقين ، لا تتطرق الظنون ولا الارتياب إلى شيء منه »[١] .

(ز) وعندما قرأ ابن شنبوذ وابن مقسم العطار وغيرهما بشواذّ من القراءات غضب المسلمون ، وأَزْرَوْا بهم على التفاصيل التي سنبسطها في فصل آخر ، إن شاء الله .

(ح) هذا ، والمسلمون لا يزالون ينكرون – مثل ما أنكر أوّلوهُم – على المماريين في قرآنية القراءات المتواترة وغير الشاذة . وقد وضع أحد شيوخ المقارئ عندنا[٢] كتاباً في هذا أسماه : « السيوف الساحقة في الردّ على منكري القراءات من الزنادقة » .

(ط) والذين رووا القراءات هم الصحابة الذين تلقّوا القرآن عن النبي نفسه ، فهم – بهاتين الصفتين : الصحبة ، والتلقّي عن النبي صلى الله عليه وسلم – أهمّ أصحاب الاختصاص في ذلك الشأن ، وقولهم هو – منطقيًّا – الأجدر بالقبول . يقول عمر بن الخطاب في أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام : « إنه سيأتي ناس يجادلونكم شبهات القرآن ، فخذوهم بالسّنن ، فإنّ أصحاب السنن أعلم بكتاب الله »[٣] .

(ى) والصحابة نقلوا الإسلام : عقائده وشرائعه ، فلم يمار أحدٌ فيما نقلوا ، فَلِمَ نماريهم في روايات القرآن الذي تقتضينا البداهة الحكم بأنه ظفر منهم قطعاً بأدقّ دقّة .

(ك) ولن يُقال إنه لا محلّ للخوف من مثل أقوال طه حسين ، إذا كان الاختلاف الذي يعنيه هو الاختلاف في الصورة والشكل لا في المادة واللفظ ، كما قال طه حسين نفسه[٤] ، ذلك أن الاختلاف حتى في الصورة أو في الشكل يُفضي إلى تغيير المعاني . وقد ترتّب على مثل هذا الاختلاف اختلاف في الأحكام ، كما حدث بالنسبة لكلمة « لَمَسْتُمْ »[٥] ، من غير ألف بعد اللام مرة ، وبألف بعد اللام مرة أخرى[٦] ، وكلمة « يَطْهُرْنَ »[٧] مرة بسكون

---

(١) انظر : ابن الجزري : كتاب النشر ج ١ ص ٤٦

(٢) خلف الحسيني الحداد .

(٣) الدارمي – المقدمة ، الباب ١٦ .

(٤) انظر : الأدب الجاهلي ص ٩٩

(٥) سورة النساء ، ضمن الآية ٤٣

(٦) بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءة في « لمستم » و « لامستم » (انظر مثلا : الطبري : جامع البيان ج ٥ ص ٢٢٣) .

(٧) سورة البقرة ، ضمن الآية ٢٢٢

الطاء المخففة وضم الهاء ، ومرّة أخرى بفتح الطاء مشدّدة وتشديد الهاء مفتوحة[١] ، وكلمة « ألا » بالتخفيف والتشديد فى آية : « أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَٰتِ وَالْأَرْضِ »[٢] . وكلمة « أمرنا » فى قوله تعالى : « وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا »[٣] بفتح الميم وتشديدها ، ومع الفتح المخفف مرة أخرى ، وهى فى الحالة الثانية بمعنى جعلنا لهم إمرة وسلطاناً[٤] .

(ل) ويستوى عندنا فى الرفض أن يكون المقصود بالإنكار والنسبة إلى العبد هو الأحرف السبعة التى أُنزل القرآن عليها ، والتى كانت ضرورتها قد زالت عند الجمع العثمانى ، أو يكون المقصود هو القراءات السّبع أو العشر التى اختيرت فيما بعد عهد النبى صلى الله عليه وسلم وعُرفت بأسماء مختاريها ، والتى تطابق رسم المصحف ، فإنّ أصول الخلاف اليسير فى هذه القراءات الأخيرة ترجع – على الأغلب وكما قلنا قبلا – إلى اختلاف الأحرف السبعة . وإن لهذا لتفاصيل فى مواضع أخرى من هذا البحث[٥] .

* * *

هذا ، وطه حسين فى بعض آرائه تلك – ولو لم يصرّح أيضاً – متأثر بابن جرير الطبرى الذى يرى أن المماراة فى رفع حرف من القرآن وجرّه ونصبه وتسكين حرف وتحريكه ونقل حرف إلى آخر ، مع اتفاق الصّورة لا توجب كفراً[٦] .

---

(١) القراءة الأولى قراءة نافع وأبى عمرو ، وهى تعنى أن ينقطع عنهن الدم ، والثانية قراءة حمزة والكسائى ، وهى تعنى أن يغتسلن بالماء (الفرّاء : معانى القرآن جـ ١ ص ١٤٣ . وانظر : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ٣ ص ٨٨) والرأى الثانى رأى الشافعى ومن وافقه .

(٢) سورة النمل / ٢٥

والتخفيف قراءة الكسائى ، ورويس ، وأبى جعفر ، ووُجِّهَ بأن « ألا » للاستفتاح ، والباقون بتشديد اللام (الدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٣٣٦)

(٣) سورة الإسراء / ١٦

(٤) قال الكسائى : ويحتمل أن « أمرنا » بالتخفيف غير ممدودة ، بمعنى أمّرنا بالتشديد من الإمارة (انظر : ابو عبيد البكرى : التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه ص ٤٢)

(٥) يقول ابن حزم ، فى الرد على من قال إن عثمان أبطل ستة أحرف من الأحرف المنزلة واقتصر على حرف منها : « فقد كذب من قال ذلك : ولو فعل عثمان ذلك أو أراده لخرج عن الإسلام . . . بل الأحرف السبعة كلها موجودة عندنا قائمة ، كما كانت مبثوثة فى القراءات المشهورة المأثورة » (الفصل فى الملل والنحل جـ ٢ ص ٧٧ ، ٧٨)

(٦) انظر : جامع البيان عن تأويل القرآن جـ ١ ص ٦٥ (ط . محمود شاكر بمصر) والقاسمى : محاسن التأويل جـ ١ ص ٢٩٤

١١

وعند « جواد على » أن اختلاف القراءات لا يرجع إلى الأسباب المألوفة المتواترة ، وإنما يرجع إلى أسباب أهمّها : « مسائل ظهرت بعد نزول الوحى من خاصّية القلم الذى دُوّن به القرآن الكريم ، فرسم أكثر حروف هذا القلم متشابه ، والمميّز فيها هو النقط ، وقد ظهر النقط بعد نزول الوحى بأمد ، ثم إن هذا القلم كان خالياً فى بادئ أمره من الحركات ، وخلوّ الكلم من الحركات يحدث مشكلات عديدة فى الضبط من حيث إخراج الكلمة ، أى كيفية النطق بها ، ومن حيث مواقع الكلام فى الإعراب »[١] .

وأحال « جواد على » إلى الشواهد التى أوردها جولد تسيهر فى كتابه « المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن » ، والتى يعدّها الاثنان أمثلة للاختلاف الحادث من الخطأ ، ومنها :

(ا) « تستكبرون » بالباء الموحدة ، و « تستكثرون » بالثاء المثلثة فى الآية : « وَنَادَىٰ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَٰهُمْ ، قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ »[٢] .

(ب) « بُشْراً » أو « نَشْراً » فى الآية : « وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ »[٣] .

(حـ) « إيّاه » فى الآية : « وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ »[٤] ، إذ وردت أيضاً « أباه » بالباء الموحدة[٥] .

---

(١) لهجة القرآن الكريم – بحث فى مجلة المجمع العلمى العراقى – المجلد الثالث ، الجزء الثانى ٨٩ .

ومثل قول جواد علىّ قول صاحب كتاب « الفرقان » إذ يقرر أنّ اختلاف الرسم أدى إلى اختلاف القراء – ص ١٢٢ و ١٢٣

(٢) سورة الأعراف / ٤٨

وقراءة : « تستكثرون » من القراءات الشاذة المردودة .

(٣) سورة الأعراف / ٥٧

و « بُشرا » لعاصم و « نُشراً » لحمزة والكسائى وخلف .

وقد قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر ، ويعقوب : « نُشُرا » . أما ابن عامر فيقرؤها : « نَشْرا » .

(أنظر : ابن الجزرى : النشر جـ ٢ ص ٢٦٩ و ٢٧٠ ، والدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٢٢٦)

(٤) سورة التوبة / ١١٤ .

(٥) قراءة شاذة مردودة .

ورأى جواد على – ولو لم يصرّح هو الآخر – هو رأى المستشرقَيْن المعروفَيْن جولد تسيهر ونولدكه الوارد ذكرهما آنفاً[١] ، فهما – فيما استفاض عنهما ، وفيما أوردا فى كتاباتهما – يريان أن القراءات نشأت بعد ظهور الشكل والنقط ، أى بعد انقضاء عهد الصحابة ، وأنّ المرحلة الأولى لتفسير القرآن انقضت فى إقامة النصّ .

وهذا نص كلام أحد هذين المستشرقين ، وهو جولد تسيهر فى هذا الشأن ، لنرى أنه أصل كلام جواد على :

يقول جولد تسيهر :

« وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات (يقصد فى القراءات) إلى خصوصية الخط العربى الذى يقوم هيكله المرسوم على مقادير صوتية مختلفة ، تبعاً لاختلاف النقاط الموضوعية فوق هذا الهيكل أو تحته ، وعدد تلك النقاط ، بل كذلك فى حالة تساوى المقادير الصوتية يدعو إلى اختلاف الحركات الذى لا يوجد فى الكتابة العربية الأصلية ما يحدّده ، وإلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة ، وبهذا إلى اختلاف دلالتها .

وإذاً فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط ، واختلاف الحركات فى المحصول الموحّد الغالب من الحروف الصّامتة ، كانا هما السبب فى نشأة حركة اختلاف القراءات فى نصّ لم يكن منقوطاً أصلاً ، أو لم تُتحرّ الدقة فى نقطه أو تحريكه »[٢] .

ورأى جواد على هو أيضاً رأى المستشرق بروكلمان الذى خبط فى تلك الدعوى ، وستغوى بها جواد علىّ وغيره ، وأوقعهم فى هذه الزّلة العلمية . يقول بروكلمان ، فى شأن اختلاف القراءات :

« فَتَحَت الكتابة التى لم تكن قد وَصَلَتْ بعدُ إلى درجة الكمال مجالاً لبعض الاختلافات فى القراءة ، لا سيما إذْ كانت غير كاملة النقط ولا مشتملة على رسوم الحركات ، فاشتغل القراء – على هذا الأساس – بتصحيح القراءات واختلافاتها »[٣] .

---

(١) كَتَبَ نولدكه كتابه « تاريخ القرآن » الذى أشرنا إليه قبلا فى ردّنا على طه حسين ، ويصف جولد تسيهر هذا الكتاب « بأنه أصيل وبكر » ويلقّب مؤلفه بـ « زعيمنا الكبير » (انظر : مذاهب التفسير الإسلامى – الترجمة العربية – ص ٨ و ٩) .

(٢) انظر الكتاب السابق ص ٨ و ٩ .

ومما يذكر أن بعض الكتاب المحدثين غير جواد على – ادّعوا هذا الرأى لهم . وقد نشر عبد المتعال الصعيدى كلاما ، ككلام جولد تسيهر بعنوان : « سبب مجهول من أسباب اختلاف القراءات » فى مجلة الرسالة ع ٤٨٨ فى ٩ نوفمبر ١٩٤٢

(٣) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى – ترجمة عبد الحليم النجار (الطبعة الثانية حـ ١ ص ١٣٤) .

وهؤلاء المستشرقون وشركاؤهم وتلاميذهم يلتقون – كما رأينا – فى دعواهم تلك – عند نقطة معيّنة هى خلوّ الكتابة العربية فى صدر الإسلام من علامات الشكل والنقط ، وإن كان بعضهم ادّعى أن الاختلاف فى القراءات كان قبل تلك العلامات ، وآخرون ادَّعَوْا أنّ الاختلاف كان بعدها .

وهذا الرأى الذى سننقضه الآن هو – على الحقيقة – أقدم حتى من هؤلاء المستشرقين ، ومن حطبوا فى حبلهم من الكتّاب العرب .

فعلماء المسلمين منذ قديم ، وعلى مدى الأجيال ، وكما أوردنا قبلا ، يدفعون هذا الرأى ، ويحاجّون أصحابه ، ويؤكّدون أن ليس لأحد أن يقرأ برأيه المجرّد ، وأنّ القراءة سنّة متبعة ، ونقل محض . . إلخ [١].

وقديماً رأى ابن مقسم العطار جَعْل القراءة تابعة للرسم ، دون الاعتماد الكامل على السَّنَد ، فردّ المسلمون – فى شدّة – قراءته ، ولهذا مزيد بيان فى فصل تال .

وقيل إن بعض الرَّافضة يقرأون : « وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً » [٢] بفتح اللاّم وبالسكون على الياء (فى : المضلين) ، يعنون الشيخين : أبا بكر وعمر ، وظاهرٌ أنّ الرّسم – قبل استحداث الشكل – يحتمل هذه القراءة ، ومع ذلك كُفِّر أصحابُها ، لسبب أساسى ، هو أنّ قراءتهم مخالفة للرواية الشفوية المتواترة[٣] .

وعلماء المسلمين يقولون إن إباحة القراءات لم تقع بالتَّشهّى . وإنما هى بالسّماع من النبى صلى الله عليه وسلم[٤] .

وهم أيضاً يذكرون أن القراءات التى يُقْرأ بها منذ الجمع العثمانى إنما اختلف القراءُ فيها لأن أهل كل ناحية ثبتوا على ما كانوا تلقوه سماعاً من الصحابة ، بشرط موافقة الخط ، وتركوا ما يخالف الخط امتثالاً للجمع العثمانى الذى أجمع عليه المسلمون[٥] .

° ° °

ولْنَدَعْ نصوص السُّنّة التى تفنّد فكرة أن القراءات نشأت بعد ظهور الشكل والنقط ،

---

(١) انظر مثلا : ابن تيمية : المرجع السابق ص ٥٥ – ٥٩ .

(٢) سورة الكهف / ٥١

(٣) أنظر : ابن الجزرى : منجد المقرئين ص ٢٣

(٤) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ٩ ص ٢٢

(٥) المرجع السابق ص ١٥

مع تسليمنا بأهمية هذه النصوص ما دامت صحيحة ، ثم لنُلْقِ على هذه الفكرة نظرة موضوعية لنرى إلى أىّ مدى تستطيع الثبات :

(ا) إنه يبعد – منطقيًّا – أن يُترك أمرُ القرآن – وهو ما هو بالنسبة للإسلام – إلى البشر يقرءونه بالاجتهاد لا بالتلقى ، فتتعرض نصوصه للاختلاف والتحريف .

وإذا كان أصحاب الأفكار من النّاس – على مدى الزمن – يحرصون على التعبير عن أفكارهم بعباراتهم هم ، ولا يَدَعون لغيرهم التصرف فى هذه العبارات على أىّ نحو ، فكيف يسوغ فى القرآن أن يُترك للبشر قراءتُه بأوجهٍ لم يتلقَّوْها . . أوجه هى من اختراعهم البشرىّ ، وهى وليدة فهمهم الذاتى ؟ هذا مع فارقين عظيمين جدًّا :

أولهما : بُعْد ما بين الأفكار البشرية والقرآن الذى لابدّ لأتباعه أن يؤمنوا بإعجازه وقداسته وخطر شأنه .

وثانيهما : ولله المَثَلُ الأعلى ، تقارب القدرات بين الإنسان صاحب الفكرة والإنسان الآخر الذى قد يتصرف فى التعبير عنها . واللهُ الذى ليس كمثله شىء غنىّ عن كلّ خلقه أن يشاركوه – على ما يدركون أو ما يحبّون – فى تحديد ألفاظ وَحْيه .

(ب) ولو جاز للناس أن يغيِّروا شيئاً من القرآن عما تلقَّوْا من الرسول ، لأصبح بعض القرآن من كلامهم لا من كلام الله ، وإذن لبطلت صفته الإعجازية التى يؤمن بها المسلمون ، والتى طالما نوّه هو بها ، والتى لا تزال قائمة .

ويستوى فى إحداث التغيير أن يكون مما لا يتجاوز الصورة وطريقة الأداء وكيفية اللهجة ، أو أن يكون ممتدًّا إلى الحروف ، أو الكلمات ، أو الحركات .

وكيف يجتهد مسلم فى هذا القرآن اجتهاداً يؤدّى إلى تبديل شىء منه ، والتبديل لا يرغب فيه إلا كافر يعاديه الإسلام ؟ كيف ، ونبىّ الإسلام نفسه لا يملك أن يبدّل من القرآن شيئاً ، بل إنّ التبديل عنده أمر لو وقع لكان معصية عذابها هائل مخوف فى اليوم الآخر الخطير الشأن ، فضلا عن الحياة الدنيا ؟

« وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا : ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ! قُلْ : مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ ، إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ . إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُل لَّوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ ، وَلَآ أَدْرَىٰكُمْ بِهِۦ ، فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ »[1] .

---

(١) سورة يونس / ١٥ و ١٦ .

« تَنْزِيلٌ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۞ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ۞ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۞ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ »(١) .

يقول الشافعى : « إنّه لا ينسخ كتابَ الله إلا كتابُه ، كما كان المبتدئ لفرضه فهو المزيلُ المثبت لما شاء منه جَلّ ثناؤه ، ولا يكون ذلك لأحد من خلقه »(٢) .

(ح) والقرآن نفسه ندّد بما وقع للكتب الدينية الأخرى من تحريف وتبديل ، وعاب المحرّفين والمبدّلين بعامة :

« مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ »(٣) ،

« فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ »(٤)

« وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ »(٥) .

« فَبَدَّلَ ٱلَّذِى ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ »(٦)

فكيف يدع المسلمون الذرائع ليقع فى القرآن نفسُ الذى عابه ؟

(د) والمسلمون – لسبب عقيدىّ – هو إيمانهم بالقرآن الذى فيه : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَـٰفِظُونَ »(٧) ، وفيه : « وَإِنَّهُ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۞ لاَّ يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ »(٨) لا يمكن عقلا أن يكونوا قد سمحوا بأىّ تغيير من عندهم فى القرآن صغُر هذا التغيير أو كَبُر .

(هـ) ثم هناك حقيقة هامّة أغفلها ذلك الرأى ، وهى أنّ المسلمين لم يعتمدوا فى نقل القرآن على خطّ المصاحف ، وإنما اعتمدوا على حفظ القلوب والصّدور . وقد عُدّ ذلك من أشرف خَصائصهم ، وجاء فى صفتهم : « أناجيلهم فى صدورهم » ، بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلاّ فى الكُتُب ، ولا يقرءونه كلّه إلاّ نظراً لا عن ظهر قلب . وروت السّنّة أن الله تعالى قال لنبيّه صلى الله عليه وسلم : « إنما بعثتُك لأبتلِيَك ، وَأبتلِىَ بك ، وأنزلتُ عليكَ

---

(١) سورة الحاقة / ٤٣ – ٤٧ .
(٢) الرسالة ص ١٠٦ و ١٠٧ .
(٣) سورة النساء / ٤٦
(٤) سورة المائدة / ١٣ .
(٥) سورة البقرة / ٧٥ .
(٦) سورة الأعراف / ١٦٢
(٧) سورة الحجر / ٩ .
(٨) سورة فصلت / ٤١ ، ٢

كتاباً لا يغسله الماء ، تقرؤه نائماً ويقظان . . . إلخ »[١] .

والأمثلة التى أوردها جولد تسيهر آنفاً بدعوى أنها أمثلة للاختلاف الحادث عن الخطّ والتى أوضحنا فى الحواشى أن بعضها شاذّ ومردود ، وبعضها الآخر مبنىّ على تواتر الرواية لا على هيئة الرسم . . . هذه الأمثلة نفسها تؤيد عكس ما توهمه جولد تسيهر والآخذون منه ، تؤيد أن المعوّل – فى صحة القراءة – ليس أبداً على الخطّ ، وإنما على التواتر والتلقّى الشفهى .

ولو كانت المصاحف المكتوبة هى المصدر الأوثق فى نقل القرآن ، لكان بحسْب الناس التعويل عليها وحدها ، ولكانت للقراء أنفسهم ندحة عن رَحَلاتهم شرقاً وغرْباً ، من أجل المشافَهة والسّماع ، وهى رحلات طويلة كثيرة ثابتة لنا من إجازات القراءة والإقراء ، وحافلةٌ بأخبارها تراجم القراء والمقرئين .

(و) والاستقراء الموضوعى يؤدى إلينا أنه لم ينقل عَبْر القرون كتاب سماوىّ أو غير سماوىّ ، بالتواتر القطعىّ ، والإسناد الصحيح ، عن العدول الضابطين ، طبقةً بعد طبقة ، مثلما وقع للقرآن ، وقد تلقّوه من النبى نفسه حرفاً حرفاً ، لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً ولا إثباتاً ولا حذفاً .

كان النبى صلى الله عليه وسلم يصدع بأمر الله ، فيبلغ القرآن للناس : « يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ »[٢] ، وكان الصحابة – ومكانتهم من العدالة والضبط والثقة معروفة – يسارعون إلى تلقّى القرآن وتجويده وحفظه وتتبّع وجوه قراءاته .

وإذن لم يكن ثمة محل – أمام التابعين وتابعيهم – للنظر فى قراءة القرآن بقراءات أخرى غير التى تلقّوها عن الصحابة ، وهى نفس ما تلقّاه هؤلاء عن النبى صلى الله عليه وسلّم .

(ز) وقد ثبت أنه فى حياة النبى صلوات الله عليه ، سمع عمر بن الخطاب واحداً من الصحابة هو هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يكن عمر يعرفها ، وأن أبىّ بن كعب سمع اثنين من المسلمين يقرآن سورة النحل بقراءة تخالف قراءة أبىّ ، وأن عبد الله ابن مسعود سمع مسلماً يقرأ قراءة تخالف قراءته ، وقد احتكم هؤلاء جميعاً إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، فأقرّ كلاًّ منهم على قراءته ، وقال : إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ،

---

(١) انظر : مسلم : الجامع الصحيح جـ ٨ ص ١٥٩ ، باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار .

(٢) سورة المائدة / ٦٧

فاقرءوا ما تيسّر منه [١] . وقد ألمعنا قبلا إلى هذا الحديث .

وفى لفظ « مسلم » عن « أبىّ » : « أن النبى – صلى الله عليه وسلم – كان عند أضاة بنى غفار [٢] ، فأتاه جبريل .

فقال : إن الله يأمرك أن تُقْرئ أمّتكَ القرآن على حرف .

فقال : سل الله معافاته ومعونته ، فإنّ أمتى لا تطيق ذلك .

ثم أتاه الثانية على حرفين ، فقال له مثل ذلك .

ثم أتاه الثالثة بثلاثة ، فقال له مثل ذلك .

ثم أتاه الرابعة ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا »[٣] .

وواضح أنّ هذا الإذن السماوىّ الذى تواترت أخباره هو – كما ألمعنا قبلا – أصل اختلاف القراءات ، وليس ينفيه أن يكون المسلمون – عند جمعهم القرآن على عهد عثمان – حَكَمُوا بالنَّسخ على الأحرف التى خلت منها العرضة الأخيرة ، حسبما أوضحنا فى حديثنا عن هذا الجمع .

(ح) ويدلّ أيضاً على أنّ القراءات ليست مستنبَطَةً من النقْط والشكْل ، وإنما هى متلقّاة بالسّماع والمشافهة من النبى صلى الله عليه وسلم أن المسلمين يتفقون فى بعض مواضع القرآن على ياء أو تاء ، ثم هم فى مواضع أخرى مماثلة لا يتفقون إلاّ على أحد هذين الحرفين . ونجتزئ فى سَوْق الأمثلة بالآيات التّالية :

« وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » ، فى سورة البقرة [٤] .

« هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » ، فى سورة يونس [٥] .

« لَهُ الْحُكْمُ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » ، فى سورة القصص [٦] .

---

(١) انظر ؛ الكرمانى : شرح صحيح البخارى جـ ٧ ص ٢١٦ .

(٢) هو مستنقع الماء كالغدير ، وهو موضع بالمدينة النبوية ينسب إلى بنى غفار ، لأنهم نزلوا عنده (انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ٩ ص ٢٨)

وقيل : موضع قريب من مكة فوق (سَرَف) قرب (التناضب) .

(وانظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ١ ص ٢١٤) .

(٣) الجامع الصحيح جـ ٢ ص ٢٠٣ و ٢٠٤ .

ورواه أبو داود ، والترمذى ، وأحمد .

(٤) الآية ٢٤٥

(٥) الآية ٥٦

(٦) الآية ٨٨

« وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » فى سورة يس [١] .

« وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » فى سورة يس أيضاً [٢] .

« ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » فى سورة الزُّمَر [٣] .

« وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » فى سورة فُصِّلت [٤] .

« وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » فى سورة الزّخرف [٥].

هذه كلها متفق على أنها بالخطاب ؛ بينما اختلفوا فى :

« ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ » فى سورة العنكبوت [٦] ، فقد قرأ شُعْبَةُ عن عاصم بالياء ، وغيرُه بالتاء [٧] .

والآية « ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » فى سورة الرُّوم [٨] ، قرأها أبو عمرو ، وشُعبة ، وروْح بالياء ، وغيرهم بالتاء [٩] .

وكذلك الآية : « ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ » فى سورة الأنعام [١٠] والآية : « وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ فى سورة مريم [١١] متفقٌ على أنهما بالغيبة ، بينما اختلف القرّاء فى آية : « طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ » فى سورة آل عمران [١٢]. فإنّ حفصاً ويعقوب بقرآنها بالياء ، وغيرهما بالتاء [١٣].

والآية : « وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ » فى سورة البقرة [١٤]. قرأها ابن كثير : « يعملون » بالياء [١٥].

والآية : « قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَٰبَ الَّذِى جَآءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ

---

(١) الآية ٢٢ (٤) الآية ٢١

(٢) الآية ٨٣ (٥) الآية ٨٥

(٣) الآية ٤٤ (٦) الآية ٥٧

(٧) انظر مثلا : ابن مجاهد : كتاب السبعة فى القراءات ص ٣٤٦ .
الدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٥٠٢ .
وعلى الضّبّاع : إرشاد المريد إلى مقصود القصيد ص ٤٣٠ .

(٨) الآية ١١

(٩) ابن الجزرى : النشر جـ ٢ ص ٣٤٤

(١٠) الآية ٣٦ .

(١١) الآية ٤٠ .

(١٢) الآية ٨٣ .

(١٣) ابن الجزرى : النشر جـ ٢ ص ٢٤١ .

(١٤) الآية ٧٤ .

(١٥) انظر القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٤٦٦ .

تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً »[١] : يقرأ أبو عمرو ، وابن كثير : « يجعلونه » و « يبدونها » و « يخفون » بياءات الغيبة ، ويقرأ الباقون على الخطاب[٢] .

والآية : « وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا »[٣] : يقرأ أبو بكر وحماد : « لِيُنذِرَ » بياء الغيبة ، ويقرؤها الباقون بتاء الخطاب[٤] .

والآية : « لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُوقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً »[٥] ، قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو بالغَيب فى الأربعة ، وقرأ الباقون بالخطاب[٦] .

(ط) وخطّ المصحف – حتى بعد الشكل والضبط اللذين يحتج بهما أصحاب ذلك الرأى – قد لا يطابق – فى بعض المواضع – القراءات . ومن الأمثلة التى يمكن الاجتزاء بها أيضاً فى هذا المقام المواضعُ التى يُرسم فيها الهمز المتطرف المرفوع واواً بعدها ألف ، وهى :

أَبْنَـُٔوا (أبناء)[٧]	جَزَُٔوا (جزاء)[٨]	شُرَكَـُٔوا (شركاء)[٩]	
مَا نَشَـُٔوا (ما نشاء)[١٠]	نَبَـُٔوا (نبأ)[١١]	الضُّعَفَـُٔوا (الضعفاء)[١٢]	
يَتَفَيَّـُٔوا (يتفيأ)[١٣]	أَتَوَكَّـُٔوا (أتوكأ)[١٤]	لاَ تَظْمَـُٔوا (لا تظمأ)[١٥]	
الْمَلَـُٔوا (الملأ)[١٦]	وَيَدْرَُٔوا (ويدرأ)[١٧]	مَا يَعْبَـُٔوا (ما يعبأ)[١٨]	
أَنبَـُٔوا (أنباء)[١٩]	عُلَمَـُٔوا (علماء)[٢٠]	الْمَلَـُٔوا (الملأ)[٢١]	
شُفَعَـُٔوا (شفعاء)[٢٢]	يَبْدَُٔوا (يبدأ)[٢٣]	الْعُلَمَـُٔوا (العلماء)[٢٤]	

(١) سورة الأنعام / من ٩١

(٢) الحسن النيسابورى : غرائب القرآن جـ ٧ ص ١٥٥ .

(٣) سورة الأنعام / من ٩٢

(٤) الحسن النيسابورى : المرجع السابق .

(٥) سورة الفتح / ٩

(٦) انظر : ابن الجزرى : النشر جـ ٢ ص ٣٧٥

والإتحاف ص ٣٩٥

(٧) سورة المائدة . من الآية ١٨ .

(٨) سورة المائدة – من الآية ٣٣ .

(٩) سورة الأنعام – من الآية ٩٤ .

(١٠) سورة هود – من الآية ٨٧ .

(١١) سورة إبراهيم – من الآية ٩ .

(١٢) سورة إبراهيم – من الآية ٢١ .

(١٣) سورة النحل – من الآية ٤٨ .

(١٤) سورة طه – من الآية ٢٠ .

(١٥) سورة طه – من الآية ١١٩ .

(١٦) سورة المؤمنون من الآية ٢٤ .

(١٧) سورة النور – من الآية ٨ .

(١٨) سورة الفرقان – من الآية ٧٧ .

(١٩) سورة الشعراء من الآية ٦ .

(٢٠) سورة الشعراء – من الآية ١٩٦ .

(٢١) سورة النمل من الآيات ٢٩ و ٣٢ و ٣٨ .

(٢٢) سورة الروم – من الآية ١٣ .

(٢٣) سورة الروم – من الآية ٢٧ .

(٢٤) سورة فاطر من الآية ٣٧ .

obeikandi.com

الْبَلَـٰٓؤُا	(البلاء)[١]	–	نَبَـٔوُا	(نبأ)[٢]	–	جَزَٰٓؤُا	(جزاء)[٣]
يُنَشَّـُٔوا	(ينشأ)[٤]	–	بَلَـٰٓؤُا	(بلاء)[٥]	–	جَزَٰٓؤُا	(جزاء)[٦]
بُرَءَٰٓؤُا	(برآء)[٧]	–	نَبَوُا	(نبأ)[٨]	–	يُنَبَّؤُا	(ينبأ)[٩]

وفى فصل آخر من هذا البحث عشرات أخرى من الكلمات القرآنية المرسومة على خلاف الخط الإملائى ، وليس فيها – مع ذلك – غير قراءة واحدة .

وقد يستعجلنا هنا بالمثل دارسٌ ، فنذكر له – على عجل – أنّ القراء السبعة أجمعو فى سورة قريش على قراءة « إِلَٰفِهِمْ » بالياء ، مع كتابتها فى المصاحف العثمانية بلا ياء ، واختلفوا فى قراءة « لِإِيلَٰفِ » مع كتْبها بالياء[١٠] .

ونذكر له أن كلمة (لؤلؤا) فى الآية الكريمة : « جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ولباسهم فيها حَرِيرٌ »[١١] وردت فى بعض المصاحف بغير ألف . ومع ذلك قرأها نافع وأبو جعفر وشيبة وعاصم « لؤلؤاً » بالنصب[١٢]

---

(١) سورة الصافات – من الآية ١٠٦ .
(٢) سورة ص – من الآية ٢١ .
(٣) سورة الشورى – من الآية ٤٠ .
(٤) سورة الزخرف – من الآية ١٨ .
(٥) سورة الدخان – من الآية ٣٣ .
(٦) سورة الحشر – من الآية ١٧ .
(٧) سورة الممتحنة – من الآية ٤ .
(٨) سورة التغابن – من الآية ٥ .
(٩) سورة القيامة – من الآية ١٣ .
(١٠) انظر : حمزة فتح الله : المواهب الفتحية جـ ٢ ص ٨٦ .
وفى « لِإِيلَـٰفِ » .
قرأ ابن عامر بحذف الياء (مصدر ألِفَ ، مثل : كَتَبَ كتاباً) .
وقرأ أبو جعفر أحد الثلاثة المكملين للعشرة بياء ساكنة بلا همزة .
وقرأ الباقون بياء قبلها همزة (مصدر آلف وباعيا) .
أما فى « إِيلَـٰفِهِم » :
فالعشرة – باستثناء أبى جعفر – يقرأون بإثبات الياء بعد الهمزة فى اللفظ ، مع كونها ساقطة فى الخط (انظر : ابن مجاهد : السبعة ص ٦٩٨ ، وشعلة : شرحه على الشاطبية ص ٦٢٧ ، والدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٤٤٤ ، وعلى محمد الضباع : إرشاد المريد ص ٦٩٨) .
وواضح أن الياء هنا ليست زائدة ، ولا لاماً للكلمة ، وإنما هى فاؤها ، وأصلها همزة ، فأبدلت ياء لسكونها بعد همزة مكسورة ، وذلك كما فى كلمة (إيمان) . (انظر : أبو زيتحار : لطائف البيان فى رسم القرآن ، شرح مورد الظمآن القسم الثانى ص ١٠) .
(١١) سورة فاطر / ٣٣
(١٢) انظر : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١٢ ص ٢٩ فى تفسير الآية ٢٣ من سورة الحج ، والدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٣١٤ ، فى الكلام عن سورة الحج . وص ٣٦٢ ، فى الكلام عن سورة فاطر .

obeikandl.com

ونذكر له أيضاً أن الآية الكريمة : « إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ »[١] وردت فيها كلمة « لؤلؤا » – فى جميع المصاحف – بالألف ، ومع ذلك قرأها بالخفض من عدا عاصم ، ونافع ، وأبى جعفر ، ويعقوب[٢] .

وكذلك قد لا يدلّ رسم الكلمة على كلّ وجوه النطق بها ، فكلمة « جبريل » تقرأ بعدة وجوه[٣] :

١ – جبريل بكسر الجيم ، وجَبريل ، بفتحها .

٢ – جَبْرِيل ، بفتح الجيم والراء ، وبعدها همزة مكسورة ممدودة .

٣ – جَبْرِئل ، بفتح الجيم والراء ، وبعدها همزة مكسورة غير ممدودة .

وكلمة « ميكال » ، قرئت[٤] :

١ – مِيكَال ، بلا همز .

٢ – مِيكَائِيل ، بهمزة مكسورة ممدودة .

٣ – مِيكَائِل ، بهمزة مكسورة غير ممدودة .

(ى) وثمة قراءات كثيرة لا يُقرأ بها أبداً ، مع أنّ الرسم يحتملها ، واللغة تجيزها[٥] . ونحن نكتفى هنا بأمثلة لهذه القراءات :

١ – فى اللغة : خطِف يخطَف ، وخَطَف يخطِف ، ولكن القراء لم يقرءوا إلا : يخطَف وخطِف (مثل عَلِمَ) . قال أبو على الفارسى : « ولا نعلم أحداً قرأ الأخرى »[٦] .

٢ – والقراء الأربعة عشر مجمعون على ضمّ الميم فى كلمة « مُكْثٍ » فى قوله تعالى : « وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ »[٧] مع أن اللغة تجيز فى هذه الميم الضمّ والفتح والكسر[٨] .

---

(١) سورة الحج / ٢٣ .

(٢) انظر القرطبى : المرجع السّابق ، وابن الجزرى : النشر جـ ٢ ص ٣٢٦ ، والبنا الدمياطى : المرجع السّابق .

(٣) انظر : الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ٣ ص ١٩٦ .

(٤) نفس المرجع جـ ٢ ص ١٩٨ .

(٥) انظر عدداً طيباً من أمثلة هذه القراءات فى : عبد الفتاح إسماعيل شلبى : رسم المصحف والاحتجاج به فى القراءات ص ٣٣ – ٤٢ .

(٦) الحجة ص ٢٤٧ من المخطوطة رقم ١٩٥٥٣ ب ، بدار الكتب والوثائق القومية بمصر .

(٧) سورة الإسراء / ١٠٦ . (٨) انظر : أبو حيان الأندلسى : البحر المحيط جـ ٦ ص ٨٨ .

٣ – والقراء أيضاً لا يقرأون كلمة « الرَّضاعة » فى القرآن إلاّ بالفتح ، مع أنه يجوز فيها – لغةً – الكسر أيضاً[١] .

(ك) ومن ملزوم رأى القائلين بأنّ اختلاف القراءات هو وليد النقْط والشكل : أن يكون القرآن قد ظلّ طوال عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم طوال عهود الصّحابة والتابعين غير محفوظ ولا مقطوع بكيفيات النطق به ، حتى إذا جاء النَّقْط والشكْل بعد زمن الوحى بأمَدٍ – حسبما قالوا آنفاً – بدأ الناس يقرأون القرآن على وفق ما يؤديه النقط والشكل إلى أفهامهم .

ولعلّ الرأى وملزومه أن يكونا واضحى البطلان ، وأن يكونا أضعف من أن يواجها الفهم المستقيم ، والحقيقة الغير القابلة للنقض ، فضلاً عما تهدى إليه بديهة العقل .

(ل) والمسلمون مجمعون على أنّ البشر لم يبدّلوا فى هذا القرآن ألْبتة حتى من ناحية قانون أدائه . وإجماعُ المسلمين حجّة تقام لها الموازين . وكما يقول أبو حيّان التوحيدى : « ولأمة المجتمعة حجة على من شذّ عنها[٢] » .

(م) والثابت تاريخاً أيضاً أن القراء المأخوذ برواياتهم كانوا لا يتعدّوْن الأثر ، مهما يكن مذهبهم النحوى ، أو مذهبهم فى فهم الكلام . وعلى سبيل المثال ، نذكر :

أنّ نافعاً كان « متّبعاً لآثار الأئمة الماضين ببلده »[٣] ، وكان يقول : « قرأت على سبعين من التابعين »[٤]

وأنّ أبا عمرو البصرىّ « كان – مع علمه وفقهه بالعربية – متمسكاً بالآثار ، لا يكاد يخرج اختياره عما جاء عن الأئمة قبله »[٥] ، وكان يقول : « لولا أنه ليس لى أن أقرأ إلاّ بما قرئ لقرأت كذا وكذا »[٦] .

وقد ذكرْنا قبلا أنه قيل عن ابن عامر « إنّه لم يتعدَّ – فيما ذهب إليه – الأثر ، ولم يقل قولا يخالف فيه الخبر »[٧] .

---

(١) انظر : الفراء : معانى القرآن ص ١٤٩ .
(٢) البصائر والذخائر ، المجلد ١ ص ٥١٥و ٥١٦
(٣) ابن مجاهد : كتاب السبعة فى القراءات ص ٥٤ .
(٤) نفس المرجع ص ٦٢ .
(٥) نفس المرجع ص ٨٢ .
(٦) ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٢٩٠ .
(٧) نفس المرجع جـ ١ ص ٦١ .

وحمزة لم يقرأ حرفاً إلاّ بأثر[١] . حدّث عقبة بن قبيصة بن عقبة ، قال : حدّثني أبي : كنا عند سفيان الثوريّ ، فجاءه حمزة ، فكلمه ، فلما قام ، قال سفيان : أترَوْن هذا ؟ ما قرأ حرفاً من كتاب الله إلاّ بأثر[٢] .

ويحيى بن سلّام المتوفّى سنة ٢٠٠ هـ « كان له اختيار فى القراءة من طريق الآثار »[٣]

والقاسم بن سلام المتوفّى سنة ٢٢٤ هـ « وافق اختياره العربية والأثر »[٤] .

* * *

وبعد ، ألا تؤدّى إلينا دعوى اختلاف القراءات بسبب خلوّ الكتابة العربية فى صدر الإسلام من علامات الشكل والنقط ، أنّ أصحاب هـذه الدعوى – حتى ، على فرض بعدهم عن التعصب ، وعن الكيد للتنزيل – لم يستطيعوا فقه لغة القرآن ، ولا استيعاب حقائق الإسلام ؟

١٢

لا بدّ إذن من جمع صوتى للقراءات المجمع على قرآنيتها ، ورأس شروطها التواتر .

والتواتر هو – اصطلاحاً – توافر جمع من الناس يؤمن تواطؤهم على الكذب فى كل طبقة من طبقات الرواية ، أو هو الخبر الثابت على ألسنة قوم لا يُتصوَّر تواطؤهم على الكذب[٥] .

وقد توافر هذا الشرط – على مدى الزمن – بالنسبة للقراءات السبع ، والثلاث المتممة للعشر ، ورواياتها جميعاً ، وذلك فى عدد من البلاد الإسلامية ، وفى مقدمتها مصر ، ولكننا – على الحقيقة – نتجاوز الواقع إن قلنا إن هذا التوافر متاح الآن فى كلٍّ من المجتمعات الإسلامية فى الأرض ، ذلك أن مجتمعات إسلامية كثيرة ليس فيها الآن العدد الكافى من الحفاظ وهؤلاء – على فرض وجودهم – لا يعرفون غالباً غير قراءة واحدة هى – على الأرجح – رواية حفص التى عَلَيها مصاحف مصر ، وهى الآن أكثر المصاحف انتشاراً[٦] .

---

(١) نفس المرجع جـ ١ ص ٢٦١ .

(٢) انظر : ابن مجاهد : المرجع السابق ص ٧٦ .

(٣) ابن الجزرى : المرجع السابق جـ ٢ ص ٣٧٣ .

(٤) نفس المرجع جـ ٢ ص ١٨ .

(٥) أنظر : على الجرجانى : التعريفات ص ٧٤

(٦) مما يساق فى التدليل على نقص العلم بالقراءات غير قراءة حفص ، حتى بين خاصة علماء الدين ، أن المرحوم –

وهذا خطر نقف تلقاءه خائفين شاعرين بالتقصير والقصور .

يقول أبو محمد الجوينى : « تعلّم القرآن وتعليمه فرض كفاية لئلا ينقطع عدد التواتر فيه ، فلا يتطرق إليه تبديل وتحريف[١] » .

ويقول الزركشى : « وإذا لم يكن فى البلد أو القرية من يتلو القرآن أثِموا بأسرهم[٢] » .

ويقول ابن حجر : « يتعين فى عدد التواتر المذكور أن يكونوا متفرقين فى بلاد الإسلام ، بحيث لو أراد أحد أن يغيّر أو يحرّف شيئا منعوه »[٣] .

ويعقّب « على القارى » على هذا ، فيقول : « وظاهر كلام الزركشى : أن كلّ بلد لا بدّ فيه أن يكون ممن يتلو القرآن فى الجملة ، لأن تعلّم بعض القرآن فرض عين على الكلّ ، فإذا لم يوجد هناك أحد يقرأ أثموا جميعا ، وأيضاً لايحصل عدد التواتر إلاّ بما قاله الزركشى ، وإلا فكلّ أهل بلد يقول : ليس تعلّم القرآن فرضاً علينا ، فينجرّ إلى فساد العالم »[٤] .

* * *

والحق أنّ ذلك الاعتبار البالغ الخطر كان من أسباب طموح صاحب مشروع

= الشيخ أحمد محمد شاكر من كبار رجال القضاء الشرعى وعالم الحديث المعروف أراد - فى مناسبة تصحيح كتاب « الرسالة » للشافعى - أن يضبط كل آيات القرآن التى يذكر الشافعى ، على قراءة ابن كثير التى ظنها قراءة الشافعى ، ولكنه أحجم عن ذلك ، ويعترف هو بالسبب فى صراحة مشكورة ، فيقول : « إذ كان شاقا علىّ عسيراً لأنى لم أدرس علم القراءات دراسة وافية ، والرواية أمانة يجب فيها التحرز والاحتياط » (هامش الرسالة للشافعى ص ١٥)

ولابد أن الأمر كان سيكون أشق وأعسر لو أراد الشيخ العالم الضبط على القراءة التى قيل إن الشافعى نفسه اختارها . ومن الفوائد المناسبة هنا أن الإمام أحمد بن حنبل لم يكن يقرأ برواية واحدة ، فقد ورد :

١ - أنه اختار قراءة نافع (انظر : علاء الدين المرداوى : الإنصاف فى معرفة الراجح من الخلاف ، على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل جـ ٣ ص ٥٨) .

٢ - وأنه كان يقول : قراءة أهل المدينة سواء (نفس المرجع) ، وهذا يفيد أنه درس قراءات أبى جعفر وغيره من المدنيين .

٣ - وأنه قرأ برواية شعبة عن عاصم ، فقد نقل الجماعة أنه قرأ لعاصم ، لأنه قرأ على أبى عبد الرحمن السّلمى الذى قرأ عليه عاصم (انظر : نفس المرجع) .

٤ - وأنه قرأ لابن كثير قارئ مكة ، ونحن نبنى هذا على ما نُقل عن أحمد من أنه « اختار قراءة أهل الحجاز » (نفس المرجع ص ٥٩) ، إذ المعلوم أنّ الحجاز يشمل المدينة ومكة .

٥ - وأنه قرأ بقراءة أبى عمرو بن العلاء ، فقد سأل أحمد سائلٌ : أىّ القراءات تختار لى فأقرأ بها ؟ فأوصاه بقراءة أبى عمرو (نفس المرجع) .

(١) انظر : على القارى : مرقاة المصابيح شرح مشكاة المصابيح جـ ٢ ص ٥٩٥

(٢) نفس المرجع

(٣) نفس المرجع

(٤) نفس المرجع

الجمع الصوتىّ الأول للقرآن الكريم إلى تعميم التواتر ، بالنسبة لكل القراءات والروايات المجمع عليها ، وذلك فى كل موطن إسلامى . وقد اتخذ صاحب المشروع إلى تحقيق هذا المطمح الكبير وسيلة المصاحف المرتلة التى يراعَى – كما ذكر فى تخطيطه لتسجيلها – أن تكون من حيث الحفظ ، ودقّة الأداء ، ومراعاة الأحكام ، وسلامة الصوت ، ممتازة أو فوق الممتازة ، وأن لا يُترخّص فى ذلك بحال ، وأن يُنصّ – ولو فى محاضر تحفظ لدى الجهات القائمة على الجمع – على سند كل قارئ متصلا بأئمة روايته .

١٣

وبعد ، فقد دعا صاحب المشروع إلى أن يشمل الجمع الصوتى سائر القراءات المتواترة والمشهورة وغير الشاذة ، وبالفعل بدأ – فى فجر المشروع – التخطيط لجمع روايتين لكل من القراءات العشر ، على أن يُختار لكل رواية طريقان ، كلٌّ منهما من طريقين ، ويُختار للتسجيل أشهر الأوجه لكلّ طريقة ، على نحو ماورد فى « الشاطبية » وشروحها ، و « جامع البيان » لأبى عمرو الدانى[1] ، وعلى نحو ماورد فى « النشر » و « طيبة النشر » و « الدرّة المضيّة » لابن الجزرى ، وعلى نحو ما ورد فى شروح هاتين الأخيرتين [2] ، وما ورد فى بعض الكتب الأخرى المتخصّصة والمعروفة والتى سنشير إليها عندما ننقل عنها .

والآن ، هذا بيان الطرق التى أختارها للجمع ، وهى – فيما تفيد المراجع – من أشهر

---

(١) انظر مخطوطة منه برقم ٣ م قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) ولعلّه مما يصيب موضع الحاجة عند بعض الدارسين أن نذكر هنا :

١ – أن (القراءة) هى ما ينسب لإمام من أئمة القراءات ، فمثلاً : إثبات البسملة فى أول الفاتحة – عند الأئمة : ابن كثير ، وعاصم ، والكسائى – يعتبر قراءة لكلٍّ منهم .

٢ – و(الرواية) هى ما ينسب للآخذ عن الإمام ولو بواسطة . والأمثلة : رواية ورش عن نافع ، ورواية البزىّ عن ابن كثير ، ورواية رَوْح عن يعقوب ، وهكذا . . .

٣ – أما (الطريق) ، فينسب لمن أخذ عن الراوى وإن سَفَل . يقال مثلا : طريق الحلوانى عن قالون ، وطريق الأصبهانى عن ورش ، وطريق جعفر النّصيبى عن الدورى ، من طريقَىْ : ابن الجُلَنْدا ، وابن ذِيزَوَيْه . . .

٤ – وأما (الوجه) ، فهو على سبيل التخيير والإباحة ، فأىّ وجه أتى القارئ أجزأ ، ولا يكون ذلك نقصاً فى روايته ، والأمثلة للأوجه : البسملة بين السّور ، والوقف بالسّكون والإشمام والرَّوْم ، وبالمدّ الطويل ، والتوسط والقصر . . . إلخ

(أنظر مثلاً : الصفاقسى : غيث النفع ص ١٤ و ١٥ .

والدمياطى البنا : الإتحاف ص ١٢٠ و ١٢٦) .

الطرق عند علماء القرآن . يقول أبو عمرو الدَّانى – بعد أن ذكر هذه الروايات وطرقها – : « فهذه الروايات التى عدّتها أربعون رواية من الطرق التى جملتها مائة وستون طريقاً هى التى أهل دهرنا عليها عاكفون ، وبها أئمتنا آخذون ، وإيّاها يصنّفون ، وعلى ما جاءت به يقولون »(١)

١ – قراءة نافع :

(ا) برواية قالون (٢) :

من طريق : أبى نشيط محمد بن هرون ، من طريق : ابن بُويَان ، والقزّاز .

ثم من طريق : الحلْوانى ، من طريق : ابن أبى مِهران ، وجعفر بن محمد

(ب) برواية ورش (٣) :

من طريق : أبى يعقوب يوسف الأزرق ، من طريق إسماعيل النحاس ، وابن سَيْف .

ثم من طريق : الأصبهانى ، من طريق : ابن جعفر ، والمطّوعى .

٢ – قراءة ابن كثير (٤) :

(ا) برواية البزّى(٥) :

من طريق : أبى ربيعة محمد بن إسحاق ، من طريق : النقاش ، وابن بُنان

ثم من طريق : ابن الْحُبَاب ، من طريق : ابن صالح . وعبد الواحد بن عمر

(ب) برواية قنبل (٦) :

من طريق : أبى بكر أحمد بن مجاهد ، من طريق : السّامرى ، وصالح

ثم من طريق : ابن شنبوذ ، من طريق : ابن فرح ، والشطوى

(١) جامع البيان (المخطوطة السابقة – الورقة ٣) .

وانظر فى أسماء أصحاب الطرق : الصفاقسى : غيث النفع فى القراءات السبع (بذيل : شرح ابن القاصح على الشاطبية) ص ١٥ .

(٢) توفى بالمدينة سنة ١٦٩ هـ .

(٣) توفى بالمدينة قريباً من سنة ٢٢٠ هـ .

(٤) توفى بمكة سنة ١٢٠ هـ .

(٥) توفى بمكة سنة ٢٤٠ هـ .

(٦) توفى بمكة سنة ٢٨٠ هـ .

٣ – قراءة أبي عمرو [١] :

(ا) برواية الدّورى أبى عُمَر [٢] :

من طريق : أبى الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس ، من طريق : ابن مجاهد ، والمعدل .

ثم من طريق : ابن فرح ، من طريق : ابن أبى بلال ، والمطوّعى

(ب) برواية السّوسى [٣] :

من طريق أبى عمران بن جرير ، من طريق : عبد الله بن الحسين ، وابن حَبَش

ثم من طريق : ابن جمهور ، من طريق : الشيبانى ، والشَّنَبُوذى

٤ – قراءة ابن عامر [٤] :

(ا) برواية هشام [٥].

من طريق : أبى الحسن أحمد بن يزيد الحلوانى ، من طريق : ابن عَبْدان ، والجمّال

ثم من طريق : الداجونى ، من طريق : زيد بن على ، والشَّذَائى

(ب) برواية ابن ذكوان [٦] :

من طريق : أبى عبد الله هرون بن موسى الأخفش ، من طريق : النقاش ، وابن الأخرم

ثم من طريق : الصورى ، من طريق : الرملى ، والمطوّعى

٥ – قراءة عاصم [٧] :

(ا) برواية شُعبة [٨] :

من طريق : يحيى بن آدم الصلحى ، من طريق : شعيب ، وأبى حمدون

---

(١) توفى بالكوفة سنة ١٥٤ هـ

(٢) توفى فى حدود سنة ٢٥٠ هـ

(٣) توفى بخراسان سنة ٢٠٢ هـ

(٤) توفى بدمشق سنة ١١٨ هـ

(٥) توفى بدمشق سنة ٢٤٥ هـ .

(٦) توفى بدمشق سنة ٢٤٢ هـ .

(٧) توفى بالكوفة سنة ١٢٧ ، وقيل سنة ١٢٨ هـ

(٨) توفى بالكوفة سنة ١٩٤ هـ

ثم من طريق : العليمى ، من طريق : ابن خُلَيْع ، والرّزاز

(ب) برواية حفص[١] :

من طريق : أبى محمد عبيد بن الصّباح الهشلى ، من طريق : أبى الحسن الهاشمى ، وأبى طاهر بن أبى هاشم .

ثم من طريق : عمرو بن الصّباح ، من طريق : الفيل ، وزرعان [٢].

٦ – **قراءة حمزة** [٣] :

(ا) برواية خَلَف [٤]:

من طرق : أبى الحسن أحمد بن عثمان ، وابن مقسم ، وابن صالح ، والمطوعى – عن إدريس .

(ب) برواية خلّاد [٥] :

من طرق : أبى بكر محمد بن شاذان الجوهرى ، وابن الهيثم ، والوزان ، والطلحى .

٧ – **قراءة الكسائى** [٦] :

(ا) برواية أبى الحارث [٧] :

من طريق : أبى عبد الله محمد بن يحيى البغدادى المعروف بالكسائى الصغير ، من طريق : البطّى ، والقنطرى .

ثم من طريق : سلمة بن عاصم ، من طريق : ثعلب ، وابن الفرج .

---

(١) توفى قريبا من سنة ١٩٠ هـ

(٢) بدئ بالتسجيل من طريق الفيل عن عمرو بن الصباح ، على ما أوضحه « المعدّل » المصرى – موسى بن الحسين فى كتابه « الروضة فى اختلاف الأئمة القراء الخمسة عشر » . وسترد ، بعد قليل ، تفاصيل فى هذا الشأن والمعدل توفى بعيد العشرين وثلثمائة . وكان ثقة ضابطاً إماماً مشهوراً (انظر : ابن الجزرى : النشر حـ ١ ص ١٨٧)

(٣) توفى بحلوان بالعراق سنة ١٥٦ هـ .

(٤) توفى ببغداد سنة ٢٢٩ هـ .

(٥) توفى بالكوفة سنة ١٨٨ هـ وقيل ١٨٩ هـ .

(٦) توفى برنبوية : قرية من قرى الرى سنة ١٨٩ هـ .

(٧) توفى سنة ٢٤٠ هـ .

(ب) برواية الدورى :

من طريق : أبى الفضل جعفر بن محمد النَّصيبي ، من طريق : الْجُلَنْدا ، وابن دِيزُوَيْه .

ثم من طريق : أبى عثمان الضرير ، من طريق : ابن هاشم ، والشَّذَائى .

٨ – قراءة أبى جعفر [١] :

(ا) برواية ابن وَرْدان [٢] :

من طريق : الفضل بن شاذان ، من طريق : ابن شَبِيب ، وابن هرون .

ثم من طريق : هبة الله بن جعفر ، من طريق : الحنبلى ، والحمّامى

(ب) برواية ابن جَمَّاز [٣] :

من طريق : أبى أيوب الهاشمى ، من طريق : ابن رزين ، والأزرق الحمال

ثم من طريق : الدورى ، من طريق : ابن النفاح ، وابن نَهْشَل .

٩ – قراءة يعقوب الحضرمى [٤] :

(ا) برواية رُوَيس [٥] :

من طرق : النحاس ، وأبى الطيب ، وابن مقسم ، والجوهرى (عن التَّمار) .

(ب) وبرواية رَوْح [٦] :

من طريق : ابن وهب ، من طريق : المعدّل ، وحمزة بن على .

ثم من طريق : الزبيرى ، من طريق : غلام بن شنبوذ ، وابن حبشان

---

(١) توفى سنة ١٣٠ هـ .

(٢) توفى سنة ١٦٠ هـ .

(٣) توفى بعيد سنة ١٧٠ هـ .

(٤) توفى سنة ٢٠٥ هـ .

(٥) توفى بالبصرة سنة ٢٣٨ هـ .

(٦) توفى سنة ٢٣٤ أو ٢٣٥ هـ .

١٠ – **قراءة خلف البزار** [١] :

(ا) برواية إسحق [٢] :

من طريق : السوسنجردى ، وبكر بن شاذان

ثم من طريق : محمد بن اسحق نفسه ، والبرصاطى

(ب) وبرواية إدريس [٣] :

من طرق : الشطى ، والمطوعى ، وابن بويان ، والقطيعى .

١٤

على أنى لم أقف عند منع اختلاط الروايات بعضها ببعض ، بل أوجبتُ عدم التلفيق بين الطرق والأوجه أيضاً ، وجعلت فى مخططات الجمع أن يلتزم تسجيل كل رواية الطريق والوجهَ المختارين من أول القرآن إلى آخره .

وقد أوضحت آنفاً الروايات العشرين والطرق الثمانين المختارة للجمع الصوتى للقرآن .

* * *

وهذا أيضاً بعض تفصيل للأوجه التى أختارها لتسجيل كل من هذه الروايات من إحدى طرقها المشهورة . وآمل أن يكون هذا الاختيار – إن شاءالله – نبراساً لكل من يسجّل – فى مستقبل الأيام – الطرق والأوجه الأخرى لتلك الروايات [٤] .

---

(١) توفى سنة ٢٢٩ هـ .

(٢) توفى سنة ٢٨٦ هـ .

(٣) توفى سنة ٢٩٢ هـ .

(٤) فى هذه الاختيارات ، أفدت أيضاً من خبرة الأستاذين : الشيخ محمد سليمان صالح ، والشيخ محمود حافظ برانق ، المدرسين بمعهد القراءات التابع للأزهر ، فأسجل لهما الشكر هنا .

١ – قراءة نافع

(ا) برواية ورش من طريق الأزرق

١ – بين السورتين :

تقرأ البسملة ، إلا فيما بين سورتى : « الأنفال » و « براءة » ، فلا تقرأ ، ويكون وقف .

٢ البدل (فى مثل : ءامنوا – إيماناً أوتوا) :

يراعى التوسط .

٣ – اللّين (فى مثل : شيْء سوْء) .

يراعى التوسّط أيضاً ، إلا فى عين : « كٓهيعٓصٓ »[١] و « عٓسٓقٓ »[٢] .

٤ – العارض للسّكون (فى مثل : هَاد – قَدِير – غَفُور) .

يراعى التوسط .

٥ – الهمزتان المفتوحتان فى كلمة واحدة .

تُبْدَلُ الثانية حرفَ مدّ ، فى مثل « ءَأَنذَرْتَهُمْ »[٣] .

أما كلمة « ءَامَنتُمْ » فى قوله فى سورة الأعراف : « قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ »[٥] ، وقوله فى سورة طه : « قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَن ءَاذَنَ لَكُمْ »[٤] وقوله مثلَ هذا فى سورة الشعراء ، فتقرأ بتسهيل الهمزة الثانية ، مع التوسط .

ومثل هذا تقرأ كلمة « ءَأَلِهَتُنَا » فى قوله فى سورة الزخرف : « وَقَالُوٓاْ ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ »[٦]

٦ – الهمزتان المفتوحة أولاهما ، والمكسورة ثانيتهما فى كلمة واحدة (فى مثل : « أئمة »[٧])

يراعى التسهيل بَيْنَ بَيْنَ .

---

(١) سورة مريم / ١ .

(٢) سورة الشورى / ٢ .

(٣) سورة البقرة / من الآية ٦ ، وسورة يس / من الآية ١٠ .

(٤) الآية / ١٢٣ .

(٥) الآية / ٧١ .

(٦) الآية / ٥٨ .

(٧) سورة التوبة / ١٢ ، وسورة الأنبياء / ٧٣ ، وسورة القصص / ٥ و ٤١ ، وسورة السّجدة / ٢٤ .

٧ – **الهمزتان المتفقتان فى كلمتين (مثل : « جَآءَ أَمْرُنَا »[١] – « مِنَ السَّمَآءِ إِنْ »[٢] – « أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ »[٣] :**

تبدل الهمزة الثانية حرف مدّ .

٨ – **الهمزتان المختلفتان فى الحركة ، والواقعتان فى كلمتين (مثل : « يَشَآءُ إِلَىٰ »[٤] و « يَشَآءُ إِنَّ »[٥] و « يَشَآءُ إِنَٰثاً »[٦] :**

يُقرأ بالتسهيل بَيْنَ بَيْنَ .

٩ – **الفتح والإمالة وما بينهما :**

(ا) يراعى تقليل المدّ فى :

١ – ذوات الياء

٢ – « أُرِيكَهُمْ » فى سورة الأنفال[٧] .

٣ – رؤوس الآى غير ما فيه « ها » ، على ما هو مفصّلٌ بعدُ .

(ب) رؤوس الآى التى فيها « ها » مثل : « ضُحَيٰهَا »[٨] .

و « تَلَيٰهَا »[٩] و « سَوَّيٰهَا »[١٠] : تقرأ بالفتح .

(حـ) يُراعى تقليل الإمالة فى : « الْجَارِ »[١١] و « جَبَّارِينَ »[١٢] .

١٠ – **الراءات :**

يقرأ بالترقيق فى الراءات ، فيما خلا باب « ذِكْراً » ، وألفاظه : « ذِكْراً »[١٣] – « سِتْرٌ »[١٤]

---

(١) سورة هود / ٤٠ و ٥٨ و ٦٦ .

(٢) سورة الشعراء / ١٨٧ .

(٣) سورة الأحقاف / من الآية ٣٢ .

(٤) سورة البقرة / ١٤٢ و ٢١٣ ، وسورة النور / ٤٦ .

(٥) سورة فاطر / ١ .

(٦) سورة الشورى / ٤٩ .

(٧) من الآية ٤٣ .

(٨) سورة الشمس / ١ .

(٩) سورة الشمس / ٢ .

(١٠) سورة الشمس / ٧ .

(١١) سورة النساء / ٣٦ .

(١٢) سورة المائدة / ٢٢ ، وسورة الشعراء / ١٣٠ .

(١٣) سورة البقرة / ٢٠٠ ، وسورة الكهف / ٧٠ و ٨٣ ، وسورة طه / ٩٩ و ١١٣ ، وسورة الأنبياء / ٤٨ ، وسورة الأحزاب / ٤١ ، وسورة الصافات / ٣ و ١٦٨ ، وسورة الطلاق / ١٠ ، وسورة المرسلات / ٥ .

(١٤) سورة الكهف ٩٠ .

obeikandl.com

– « حِجْراً »[١] – « وِزْراً »[٢] – « إِمْراً »[٣] – « صِهْراً »[٤] .

١١ – اللاّمات :

تقرأ بالتغليظ مطلقاً .

١٢ – ياءات الإضافة (مثل : « مَحْيَايَ » فى سورة الأنعام[٥]) :

تسكّن ياء الإضافة .

١٣ – أوجه فى بعض السُّور :

(ا) فى سورة آل عمران : « هَـٰأَنتُمْ »[٦] : تُبدل الهمزة حرف مدّ .

(ب) فى سورة الأنعام : « أَرَأَيْتَكُمْ »[٧] : تُبدل الهمزة حرف مدّ .

(حـ) فى سورة يوسف : « تَأْمَنَّا »[٨] : تُقْرأ بالإدغام مع الإشمام .

(ب) برواية قالون ، من طريق أبى نُشيط

١ – ميم الجمع :

يقرأ بوجه الصّلة .

٢ – هاء الضمير فى قوله تعالى فى سورة طه : « وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً »[٩] :

تُقرأ بصلة الهاء .

٣ – المدّ المنفصل :

يُقرأ بالقصر ؛ وفى « أَنَا إِلاَّ »[١٠] : يقرأ بإثبات الألف مع القصر .

٤ – الهمزتان من كلمة واحدة (مثل : أَئِمَّة) :

يقرأ بالتسهيل .

---

(١) سورة الفرقان / ٢٢ و ٥٣ .

(٢) سورة طه / ١٠٠ .

(٣) سورة الكهف / ٧١ .

(٤) سورة الفرقان / ٥٤ .

(٥) من الآية ١٦٢ .

(٦) من الآية ٦٦ .

(٧) من الآيتين ٤٠ و ٤٧ .

(٨) من الآية ١١ .

(٩) من الآية ٧٥ .

(١٠) سورة الأعراف / من الآية ١٨٨ .

٥ – **الهمزتان المتفقتان فى كلمتين ، (مثل : « بالسُّوءِ إلاَّ »[١] :**

يقرأ بالتسهيل .

٦ – **الهمزتان المختلفتان فى كلمتين ، (مثل ، « يَشَاءُ إِلَىٰ »[٢]) :**

يقرأ بالتسهيل .

٧ – **الإدغام الصغير :**

يقرأ بالإظهار فى : « ارْكَب مَّعَنَا »[٣] :

٨ – **الياءات الزوائد فى الكلمات الأربع : « التَّلَاقِ »[٤] ، « التَّنَادِ »[٥] ، « الدَّاعِ »[٦] « إِذَا دَعَانِ »[٧] :**

يقرأ بالحذف .

٩ – **أوجه فى بعض السّور :**

(ا) فى سورة البقرة : تُقرأ « نِعِمَّا »[٨] بالإخفاء .

(ب) فى سورة آل عمران : تُقرأ « التَّوْرَيٰةِ »[٩] بالفتح .

(حـ) فى سورة النساء : تُقرأ « لاَ تَعْدُوا »[١٠] بالإخفاء .

(د) فى سورة يونس : تُقرأ « لاَ يَهِدِّى »[١١] بالإخفاء .

(هـ) فى سورة مريم : تُقرأ « لأَهَبَ »[١٢] بالياء .

(و) فى سورة يس : تُقرأ « يَخِصِّمُونَ »[١٣] بالإخفاء .

(ز) فى سورة الزخرف : تقرأ « أَشَهِدُوا »[١٤] بالفصل مع التسهيل .

* * *

---

(١) سورة يوسف / من الآية ٥٣ .

(٢) سورة البقرة / من الآيتين ١٤٢ و ٢١٣ ، وسورة النور / من الآية ٤٦ .

(٣) سورة هود / من الآية ٤٢ .

(٤) سورة غافر / من الآية ١٥ .

(٥) سورة غافر / من الآية ٣٢ .

(٦) سورة البقرة / من الآية ١٨٦ ، وسورة القمر / من الآيتين ٦ و ٨ .

(٧) سورة البقرة / من الآية ١٨٦ .

(٨) سورة البقرة / من الآية ٢٧١ .

(٩) من الآيات ٣ و ٤٨ و ٥٠ و ٦٥ و ٩٣ .

(١٠) من الآية ١٥٤ .

(١١) من الآية ٣٥ .

(١٢) من الآية ١٩ .

(١٣) من الآية ٤٩ .

(١٤) من الآية ١٩ .

٢ – قراءة ابن كثير

(ا) برواية البزّى ، من طريق أبى ربيعة

١ – الهمزتان من كلمة واحدة :

يقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ فى « أَئِمَّة » ، فى مواضعها [١] .

٢ – الهمزتان المتفقتان فى كلمتين :

يقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ فى « بِالسُّوءِ إِلَّا » فى سورة يوسف [٢] .

٣ – الهمزتان المختلفتان فى كلمتين (فى نحو : « يَشَآءُ إِلَى » [٣]) :

يُقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ فى الهمزة الثانية .

٤ – الإدغام الصغير :

يقرأ بالإدغام فى : « ارْكَب مَّعَنَا » فى سورة هود[٤] ، ويقرأ بالإظهار فى : « يُعَذِّبُ مَنْ » فى سورة البقرة .

٥ – ياء الإضافة :

يُقرأ بوجه الإسكان فى : « عِندِيَ أَوَ لَمْ يَعْلَمْ » فى سورة القصص[٦] ، ويقرأ أيضاً بالإسكان فى : « وَلِيَ دِينِ » فى سورة « الكافرون »[٧] .

٦ – أوجه فى بعض السّور :

(ا) فى سورة البقرة : يُقرأ بالتسهيل فى : « لَأَعْنَتَكُمْ »[٨] .

(ب) فى سورة يونس : يُقرأ بحذف الألف فى : « وَلَا أَدْرَىٰكُم بِهِ »[٩] .

---

(١) سورة التوبة / من الآية ١٢ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٧٣ ، وسورة القصص / من الآيتين ٥ و ١٤ ، وسورة السجدة / من الآية ٢٤ .

(٢) من الآية ٥٣ .

(٣) سورة البقرة / من الآيتين ١٤٢ , ٢١٣ ، وسورة النور / من الآية ٤٦

(٤) من الآية ٤٢

(٥) من الآية ٢٨٤

(٦) من الآية ٧٨

(٧) من الآية ٦

(٨) من الآية ٢٢٠

(٩) من الآية ١٦

obeikandi.com

(ح) فى سورة القيامة : يُقرأ أيضاً بحذف الألف فى : « لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ » (١).

(د) فى سورة يوسف : يُقرأ بالإدغام مع الإشمام فى : « تَأْمَنَّا »(٢)

ويقرأ بوجه القلب مع الإبدال فى : « يَايْئَسُ »(٣) وبابه .

(هـ) فى سورة النحل : يُقرأ بإثبات الهمز بعد الألف فى : « شُرَكَآءِىَ الذينَ »(٤) .

(و) فى سورة الأحزاب : يُقرأ بوجه الإبدال ياء ساكنة فى : « ٱلَّـٰٓـِٔى »فى مواضعها (٥)

(ز) فى سورة محمد : يُقرأ بوجه حذف المدّ فى : « ءَانِفاً »(٦) .

(ب) برواية قُنبُل من طريق ابن مجاهد

١ – الهمزتان من كلمة واحدة :

يقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ فى: « أَئِمَّة » فى مواضعها(٧) .

٢ – الهمزتان المتفقتان فى كلمتين :

يقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ فى نحو : « جَآءَ أَمْرُنَا »(٨) – « هَـٰٓؤُلَآءِ إِنْ »(٩) – « أَوْلِيَآءُ أُولَـٰٓئِكَ »(١٠).

٣ – الهمزتان المختلفتان فى كلمتين :

يقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ فى نحو : « يَشَآءُ إِلَىٰ »(١١).

٤ الإدغام الصغير :

يقرأ بوجه الإظهار فى : « يُعَذِّبُ مَن » فى سورة البقرة(١٢).

---

(١) من الآية ١ (٣) من الآية ٨٧

(٢) من الآية ١١ (٤) من الآية ٢٧

(٥) سورة الأحزاب / من الآية ٢٤ وسورة المجادلة / من الآية ١٢ ، وسورة الطلاق / من الآية ٤ مرتين

(٦) من الآية ١٦

(٧) سورة التوبة / من الآية ١٢ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٧٣ ، وسورة القصص / من الآيتين ٥ و ٤١ ، وسورة السجدة / من الآية ٢٤

(٨) سورة هود / من الآية ٤٠

(٩) سورة البقرة / من الآية ٣١

(١٠) سورة الأحقاف / من الآية ٣٢

(١١) سورة البقرة / ١٤٢ و ٢١٣ ، وسورة النور / ٤٦ .

(١٢) سورة البقرة / من الآية ٢٨٤

٥ ياء الإضافة :

يُقرأ بوجه الفتح فى : « عِندِىَ أو لَمْ يَعْلَمْ » فى سورة القصص[١] .

٦ ياءات الزوائد :

يُقرأ بوجه الإثبات فى : « جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ » فى سورة الفجر[٢] . وبالحذف فى : « نَرْتَعَ » فى سورة يوسف[٣] .

٧ - أوجه فى بعض السّور :

(ا) فى سورة يوسف : يُقرأ بوجه الإدغام مع الإشمام فى « تَأْمَنَّا »[٤] .

(ب) فى سورة النمل : يُقرأ بوجه الهمز ساكناً فى « سَاقَيْهَا »[٥] .

(حـ) فى سورة ص : يقرأ بوجه الهمز ساكناً فى « بِالسُّوق »

(ء) فى سورة الفتح : يقرأ بوجه الهمز ساكناً فى « سُوقِهِ »[٧] .

(هـ) فى سورة العَلق : يقرأ بوجه القصر فى : « أن رَّءاهُ »[٨] .

* * *

٣ – قراءة أبى عمرو البصرى

(ا) برواية الدورى من طريق أبى الزَّعراء

١ – بين السورتين :

يقرأ بالبسملة فيما عدا ما بين الأنفال وبراءة ، فيقرأ بالوقف .

٢ - هاء الكناية :

يقرأ بوجه الصّلة فى : « يَرْضَهُ لَكُمْ » فى سورة الزُّمَر[٩] .

٣ – المدّ المنفصل :

يقرأ بوجه القصر .

---

(١) من الآية ٧٨
(٢) من الآية ٩
(٣) من الآية ١٢
(٤) من الآية ١١
(٥) من الآية ٤٤
(٦) من الآية ٣٣
(٧) من الآية ٢٩
(٨) من الآية ٧
(٩) من الآية ٧

obeikandl.com

٤ - **الهمزتان من كلمة :**

يقرأ بالتسهيل بَيْنَ بَيْنَ بدون فصل فى : « أَيِمَّة » فى مواضعها (١) .

وبالنسبة للهمزة الثانية المضمومة فى : « أُؤَنَبِّئُكُمْ » فى سورة آل عمران (٢) ، و « أُءُنْزِلَ » فى سورة ص (٣) ، و « أُءُلْقِيَ » فى سورة القمر (٤) : يُقرأ بالتسهيل بدون فصل .

٥ **الهمزتان المختلفتان فى كلمتين :**

يقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ ، فى نحو : « يَشَآءُ إِلَى » (٥)

٦ **الراء المجزومة :**

يقرأ بوجه الإدغام فى نحو : « يَغْفِرْ لَكُمْ » (٦) .

٧ - **أوجه فى بعض السّور :**

(ا) فى سورة البقرة : يقرأ بوجه الإسكان فى : « بَارِئِكُم » معا (٧) . و « يَأْمُرُكُمْ » (٨) .
ويُقرأ بوجه الاختلاس فى عين « نِعِمَّا » (٩) .

(ب) فى سورة آل عمران : يُقرأ بوجه الإسكان فى : « يَأْمُرُكُمْ » (١٠) . و « يَنْصُرُكُمْ » (١١)

(حـ) فى سورة النساء : يُقرأ بوجه الإسكان فى : « يَأْمُرُكُمْ » (١٢) .

(د) فى سورة الأنعام : يُقرأ بوجه الإسكان فى « يُشْعِرُكُمْ » (١٣) .

(هـ) فى سورة الأعراف : يُقرأ بوجه الإسكان فى : « يَأْمُرُهُمْ » (١٤) .

(و) فى سورة يوسف : يُقرأ بوجه الفتح فى : « يَا بُشْرَى » (١٥) .

---

(١) سورة التوبة / من الآية ١٢ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٧٣ ، وسورة القصص / من الآيتين ٥ و ٤١ ، وسورة السجدة / من الآية ٢٤

(٢) من الآية ١٥

(٣) من الآية ٨

(٤) من الآية ٢٥

(٥) سورة البقرة / ١٤٢ و ٢١٣ . وسورة النور / ٤٦

(٦) سورة آل عمران / من الآية ٣١ ، وسورة الأنفال / من الآيتين ٢٩ . ٧٠ ، وسورة الأحزاب / من الآية ٧١ ، وسورة الأحقاف / من الآية ٣١ ، وسورة الحديد / من الآية ٢٨ ، وسورة التغابن / من الآية ١٧ ، وسورة نوح / من الآية ٤ .

(٧) من الآية ٥٤ مرتين .

(٨) من الآيات ٦٨ و ٩٣ و ١٦٩ و ٢٦٨ .

(٩) من الآية ٢٧١ .

(١٠) من الآية ٨٠ (مرتين) .

(١١) من الآية ١٦٠ .

(١٢) من الآية ٥٨ .

(١٣) من الآية ١٠٩ .

(١٤) من الآية ١٥٧ .

(١٥) من الآية ١٩ .

(ز) فى سورة الأحزاب : يُقرأ بوجه الإبدال ياء ساكنة فى : « اللَّـئِى »[١] ، وكذلك فى مواضعها .

(ح) فى سورة المُلْك : يُقرأ بوجه الإسكان فى « يَنْصُرُكُمْ »[٢] .

(ب) رواية السوسى من طريق ابن جرير

١ - بين السورتين :

نقرأ البسملة ، فيما عدا ما بين الأنفال وبراءة ، فيراعى الوقف بينهما من غير بسملة .

٢ - الإدغام الكبير :

يقرأ بالإدغام فى المِثْلين والمتقاربين ، إلاّ فى : « واللَّـئِى يَئِسْنَ »[٣] فيقرأ بالإظهار .

٣ - الهمزتان من كلمة .

يُقرأ بالتسهيل فى الهمزة الثانية من « أئِمَّة » فى مواضعها ، وبالنسبة للهمزة الثانية المضمومة ، يقرأ بالتسهيل بدون فصل ، على النحو المختار فى رواية الدّورى آنِفا .

٤ - الهمزتان المختلفتا الحركة فى كلمتين :

يقرأ بالتسهيل فى الثانية من : « يَشَاءُ إِلَى »[٤] ، ونظيره .

٥ - الفتح والإمالة وما بينهما :

يقرأ بالفتح فى « رَأى » الذى بعده ساكن[٥] ، وبالفتح فى الراء إذا وقع بعده متحرك . ويُقرأ بوجه الفتح فى « يَا بُشْرَىٰ »[٦] فى سورة يوسف ، وكذا فى ياء « كٓهيعٓصٓ »[٧] . ويُقرأ بالإمالة وصلاً فى نحو : « القُرَى الَّتِى »[٨] . و « تَرَى اللهَ »[٩] .

---

(١) من الآية ٤ .
(٢) من الآية ٢٠ .
(٣) سورة الطلاق / من الآية ٤ .
(٤) سورة البقرة / ١٤٢ و ٢١٣ ، وسورة النور / ٤٦ .
(٥) كما فى « فلمّا رأى ٱلقَمَرَ بازغا » (سورة الأنعام ٧٧) .
و « فَلَما رَأى ٱلشَّمسَ بَازِغَة » (سورة الأنعام / ٧٨) .
و « وَإِذا رَأى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلعَذاب » (سورة النمل / ٨٥) .
و « وَإِذا رَأى الذينَ أشْرَكوا شُرَكاءَهُمْ » (سورة النحل / ٥٣) .
و « رَأى ٱلمجرِمُونَ ٱلنَّارَ » (سورة الكهف / ٥٣) .
و « وَلَمَّا رَأى ٱلمُؤمِنُون الأحْزَاب » (سورة الأحزاب / ٢٢) .
(٦) سورة يوسف / من الآية ١٩
(٧) سورة مريم / ١
(٨) سورة سبأ / من الآية ١٨
(٩) سورة البقرة / من الآية ٥٥

٦ – فى سورة يوسف :

يقرأ بالإدغام مع الإشمام فى « تَأْمَنَّا »[١] .

* * *

٤ – قراءة ابن عامر

(ا) رواية هشام من طريق الحلْوانى

١ – **بين السورتين** :

يقرأ بالبسملة بين السُّورتين، إلا فيما بين الأنفال وبراءة ، فيراعى الوقف بينهما بدون بسملة .

٢ **هاء الضمير** :

يقرأ باختلاس كسرة الهاء فى :

« يؤدِّهِ » معا[٢] – « نُؤْتِهِ » معا[٣] – « نُوَلِّهِ »[٤] – « نُصْلِهِ »[٥] – « فَأَلْقِهِ »[٦] - « يَتَّقْهِ »[٧]

ويُقرأ باختلاس الضَّمّ فى :

« يَرْضَهُ لَكُمْ » فى سورة الزُّمر[٨] ، وبإشباع الكسرة فى « يَأْتِهِ مُؤْمِناً » فى سورة طه[٩] .

٣ **الهمزتان فى كلمة** :

(ا) المفتوحتان : يقرأ بتسهيل الثانية ، مع الإدخال بينهما ، نحو : « ءَأَقْرَرْتُمْ »[١٠]

(ب) المفتوحة فمكسورة : يقرأ بوجه التحقيق مع الإدخال ، نحو : « أَئِذَا »[١١] و « أَئِنَّا »[١٢] .

---

(١) من الآية ١١

(٢) سورة آل عمران / من الآية ٧٥ (مرتين)

(٣) سورة آل عمران / من الآية ١٤٥ (مرتين) .

(٤) سورة النساء / من الآية ١١٥ .

(٥) سورة النساء / من الآية ١١٥ .

(٦) سورة النمل / من الآية ٢٨ .

(٧) سورة النور / من الآية ٥٢ .

(٨) من الآية ٧ .

(٩) سورة الآية ٧٥ .

(١٠) سورة آل عمران من الآية ٨١ .

(١١) من مواضع هذه الكلمة :

سورة الإسراء / من الآيتين ٤٩ و ٩٨ ، وسورة مريم / من الآية ٦٦ ، وسورة المؤمنون / من الآية ٨٢ ، وسورة الصافات / من الآيتين ١٦ و ٥٣ ، وسورة قّ / من الآية ٣ ، وسورة الواقعة / من الآية ٤٧ .

(١٢) سورة الإسراء / من الآيتين ٤٩ و ٩٨ ، وسورة المؤمنون / من الآية ٨٢ ، وسورة الصافات / من الآية ١٦ ، وسورة الواقعة / من الآية ٤٧ .

obeikandl.com

ويقرأ بتحقيق الهمزة الثانية فى « أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ » « من قراءة الدانى على أبى الفتح فارس) .

(حـ) المفتوحة فمضمومة : يقرأ بوجه التحقيق فى الثانية مع الإدخال فى : « أَؤُنَبِّئُكُمْ »(٢) – « أَؤُنزِلَ »(٣) – « أَؤُلْقِيَ »(٤) (من الطريق المذكور) .

٤ – الوقف على الهمز المتطرف :

يتبع فيه المذهب القياسىّ .

٥ – ياءات الزوائد :

يقرأ بإثبات الياء فى : « ثُمَّ كِيدُونِ » ، فى سورة الأعراف(٥) وصلًا ووقفاً .

٦ – أوجه فى بعض السّور :

(ا) فى سورة آل عمران : يُقرأ بوجه الخطاب فى : « وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا »(٦) (من قراءة الدانى على أبى الفتح) .

(ب) فى سورة الأنعام : يقرأ بوجه التخفيف فى نون : « أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ »(٧) (من قراءة الدانى على أبى الفتح أيضاً) .

(حـ) فى سورة يوسف : يُقْرأ بوجه الإدغام ، مع الإشادة فى : « تَأْمَنَّا »(٨) ، وبالهمز وفتح التاء فى « هَيْتَ »(٩) .

(د) فى سورة إبراهيم : يُقرأ بإشباع كسر همزة « أَفْئِدَةً »(١٠) .

(هـ) فى سورة الروم : يقرأ بإسكان السين فى « كِسَفاً »(١١) .

(و) فى سورة الزخرف : يقرأ بوجه التخفيف فى « لَمَّا مَتَـٰعُ »(١٢) .

(ز) فى سورة الحشر : يقرأ بتأنيث الفعل ورفع الاسم فى « يَكُونَ دُولَةً »(١٣) .

(ح) فى سورة الجنّ : يقرأ بضم اللّام فى « لِبَداً »(١٤) .

---

(١) سورة فصّلت / من الآية ٩
(٢) سورة آل عمران / من الآية ١٥
(٣) سورة ص / من الآية ٨
(٤) سورة القمر / من الآية ٢٥
(٥) سورة الأعراف / من الآية ١٩٥ .
(٦) من الآية ١٦٩ .
(٧) من الآية ٨٠ .
(٨) من الآية ١١ .
(٩) من الآية ٢٣ .
(١٠) من الآية ٣٧ .
(١١) من الآية ٤٨
(١٢) من الآية ٣٥
(١٣) من الآية ٧
(١٤) من الآية ١٩

(ب) رواية ابن ذكوان من طريق الأخفش

١ – بين السورتين :

تقرأ البسملة إلا فيما بين الأنفال وبراءة ، فيراعى الوقف من غير بسملة .

٢ – الفتح والإمالة :

يقرأ بوجه الإمالة فى « زاد » مطلقاً [١]، وبالإمالة فى : « هاد » فى سورة التوبة [٢] – « حِمَارِكَ » [٣] – « الْحِمَار » [٤] – « الْمِحْرَابَ » [٥] – « إِكْرَاهِهِنَّ » [٦] – « والإكرام » [٧] – « عمران » [٨] .

٣ – ياءات الزوائد :

يُقرأ بوجه إثبات الياء فى : « فَلاَ تَسْئَلْنِي » فى سورة الكهف [٩].

٤ – أوجه فى بعض السّور :

(ا) فى سورة البقرة : يقرأ بفتح الهاء فى « إبْرَاهِيم » فى هذه السورة [١٠]، وبكسر الهاء وبعدها ياء فى غيرها من السّور [١١]. ويقرأ بالسين فى : « يَبْسُطُ » [١٢] .

(ب) فى سورة الأنعام : يقرأ بوجه الكسر مع الإشباع فى هاء : « اقْتَدِهْ » [١٣].

(حـ) فى سورة الأعراف : يقرأ بالصّاد فى « بصطة » [١٤]

---

(١) فى خمسة عشر موضعا متفرقة فى القرآن

(٢) من الآية ١٠٩

(٣) سورة البقرة / من الآية ٢٥٩

(٤) سورة الجمعة / من الآية ٥

(٥) سورة آل عمران / من الآيتين ٣٨ ، ٣٩ ، وسورة مريم / من الآية ١١ ، وسورة ص / من الآية ٢١

(٦) سورة النور / من الآية ٣٣

(٧) سورة الرحمن / من الآيتين ٢٧ ، ٢٨

(٨) سورة آل عمران / من الآيتين ٣٣ ، ٣٥ ، وسورة التحريم / من الآية ١٢

(٩) سورة الكهف / من الآية ٧٠

(١٠) من الآيات : ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ .

(١١) فى ٥٤ موضعا متفرقة .

(١٢) البقرة / من الآية ٢٤٥ ، وسورة الرعد / من الآية ٢٦ ، وسورة الإسراء / ٣٠ ، وسورة القصص / من الآية ٨٢ ، وسورة العنكبوت / من الآية ٦٢ ، وسورة الروم من الآية ٣٧ ، وسورة سبأ / من الآيتين ٣٦ ، ٣٩ ، وسورة الزمر / من الآية ٥٢ ، وسورة الشورى / من الآية ١٢

(١٣) سورة الأنعام / من الآية ٩٠

(١٤) سورة البقرة / من الآية ٢٤٥ ، وسورة الأعراف / من الآية ٦٩

ويقرأ بكسر التنوين فى : « بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا »[١] – « خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ »[٢] .

(د) فى سورة يونس : يقرأ بفتح « أَدْرَاكُمْ »[٣] .

ويُقرأ بتخفيف النون المشدّدة فى « تَتَّبِعَانِّ »[٤] فقط .

(هـ) فى سورة يوسف : يُقرأ بوجه الإدغام مع الإشمام فى : « تَأْمَنَّا »[٥] .

(و) فى سورة النحل : يُقرأ بوجه الياء فى : « وَلَنَجْزِيَنَّ »[٦] .

(ز) فى سورة مريم : يُقرأ بوجه الإخبار فى : « أَإِذَا مَا مِتُّ »[٧] .

(ح) فى سورة الروم : يُقرأ بالبناء للمعلوم فى : « وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ »[٨] .

(ط) فى سورة الصافات : يُقرأ بهمزة وصل فى : « وَإِنَّ إِلْيَاسَ »[٩] .

(ى) فى سورة الحاقة : يُقرأ : « قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ »[١٠] و « قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ »[١١] بالياء فى الفعلين .

° ° °

٤ – قراءة عاصم

(ا) رواية حفص ، من طريق عبيد بن الصباح

١ – **المدّ المنفصل** :

يُراعى فيه التوسط .

٢ – **المدّ المتّصل** :

يُراعى فيه التوسّط أيضاً .

٣ – **المدّ العارض للسكون** :

يُقرأ بالقصر .

---

(١) سورة الأعراف / من الآية ٤٩
(٢) سورة إبراهيم / من الآية ٢٦
(٣) سورة يونس / من الآية ١٦
(٤) سورة يونس / من الآية ٨٩
(٥) من الآية ١١
(٦) من الآية ٩٦
(٧) من الآية ٦٦
(٨) من الآية ١٩
(٩) من الآية ١٢٣
(١٠) من الآية ٤١
(١١) من الآية ٤٢

obeikandl.com

٤ – أوجه فى بعض الألفاظ :

(أ) « ءآلذَّكَرَيْنِ » وبابه[١] :

يُقرأ بالإبدال مع الإشباع .

(ب) « لاَ تَأْمَنَّا »[٢] .

يُقرأ بالإدغام مع الإشمام .

(حـ) « كٓهيعٓصٓ »[٣] و « عٓسٓقٓ »[٤] :

يُقرأ بإشباع العين .

(د) « فِرْقٍ » فى سورة الشعراء[٥] .

يُقرأ بالتفخيم .

(هـ) « ضَعْفِ »[٦] و « ضَعْفاً »[٧] :

يُقرآن بفتح الضّاد .

(و) « الْمُصَيْطِرُونَ »[٨] :

يُقرأ بالصّاد .

(ز) « أَلَمْ نَخلُقكُّمْ »[٩] :

تُقرأ بالإدغام الكامل .

(ب) رواية شعبة ، من طريق يحيى بن آدم

١ - الفتح والإمالة :

يُقرأ بوجه الفتح فى الهمز فى نحو : « فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ »[١٠]– « فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ »[١١].

٢ – أوجه فى بعض السّور :

(أ) فى سورة البقرة : يُقرا بوجه إسكان العين فى : « نِعِمَّا » ، وكذلك فى موضعها

---

(١) سورة الأنعام / من الآيتين ١٤٣ و ١٤٤

(٢) سورة يوسف / من الآية ١١ .

(٣) سورة مريم / ١ .

(٤) سورة الشورى / ٢ .

(٥) من الآية ٦٣ .

(٦) سورة الروم / من الآية ٥٤ .

(٧) سورة الروم / من الآية ٥٤

(٨) سورة الطور / من الآية ٣٧

(٩) سورة المرسلات / من الآية ٢٠

(١٠) سورة الأنعام / من الآية ٧٧

(١١) سورة الأنعام / من الآية ٧٨

obeikandl.com

فى سورة النساء[١] .

(ب) فى سورة الأعراف : يُقرأ « بِعَذَابٍ بَئِيسٍ »[٢] : « بعَذَابٍ بَيْئَسٍ » .

(حـ) سورة يوسف : يُقرأ بوجه الإدغام مع الإشمام فى : « تَأْمَنَّا »[٣] .

(د) فى سورة الكهف : يُقرأ بوجه الوصل فى : « ءَاتُونِى » فى موضعيها[٤] .

(هـ) فى سورة الرحمن : يُقرأ بكسر الشين فى : « الْمُنْشَئَاتُ »[٥] .

(و) فى سورة المجادَلَة : يُقرأ بكسر الشين فى : « انْشُزُوا » – « فَانشُزُوا »[٦] .

* * *

٦ – قراءة حمزة

(ا) رواية خلف ، من طريق إدريس

١ – السكت على الهمز :

يُقرأ بوجه السّكت على : « أل » ، و « شيء » ، والمفصول . (من طريق أبى الفتح فارس) .

ويُلاحَظ التغيير فى الهمز المتوسّط بزائد فى الوقف . (من الطّريق المذكور) .

٢ – الوقف على الهمز :

يُختار فى الوقف على الهمز المتوسّط والمتطرف بأنواعه المذهبُ القياسىّ

ويُقرأ بوجه المدّ فى الهمز المتوسّط مع التسهيل فى نحو : « جَاءَكُمْ »[٧] و « جَاءُوكُمْ »[٨] و « أُولَئِكَ »[٩] .

---

(١) سورة البقرة / من الآية ٢٧١ ، وسورة النساء / من الآية ٥٨

(٢) من الآية ١٦٥

(٣) من الآية ١١

(٤) من الآية ٦٩ مرتين

(٥) من الآية ٢٤

(٦) الكلمتان من الآية ١١

(٧) وردت فى ٢٦ موضعا من القرآن

(٨) سورة النساء / من الآية ٩٠ ، وسورة المائدة / من الآية ٦١ ، وسورة الأحزاب / من الآية ١٠ .

(٩) وردت فى ٢٠٤ مواضع من القرآن

ويُقرأ بوجه القصر مع الإبدال فى الهمز المتطرف الذى وقع قبله ألف ، نحو : « جَآءَ »[١] – « مِنَ السَّمَاءِ »[٢] « يَشَـُٔوْا »[٣] « الْبَلَـُٔوْا »[٤] – « الضُّعَفَـُٔوْا »[٥] – « وَمِنْ ءَانَاىِٕ »[٦]

وتُنقل حركة الهمز إلى ما قبلها ياءً كان نحو : « شَىْءٌ » ، أو واواً نحو : « سُوٓءَ » ، مع السّكون المحض .

ويُقرأ بالتسهيل بَيْنَ بَيْنَ حيث يقع الهمز متوسّطاً متحركاً وقبله متحرك .

ويُقرأ بوجه ضمّ الهاء وقفاً فى « أَنْبِئْهُمْ »[٧] (وهو مذهب أبى الفتح) .

ويُقرأ بوجه النقل مع السّكون المحض فى نحو : « دِفْءٌ »[٨] – « بَيْنَ الْمَرْءِ »[٩] – « يُخْرِجُ الْخَبْءَ »[١٠].

ويُقرأ بالإبدال ألفاً فى نحو : « يَبْدَؤُا »[١١]، وياءً فى نحو : « يَسْتَهْزِئُ »[١٢]، وواواً فى نحو : « إِنِ امْرُؤٌا »[١٣].

(ب) رواية خلاّد ، من طريق ابن شاذان

١ - **هاء الضمير :**

يُقرأ بكسر الهاء وصلتها فى : « يَتَّقْهِ »[١٤] (من قراءة الدانى على أبى الحسن طاهر ابن غلبون) .

---

(١) وردت فى ٦٨ موضعاً من القرآن

(٢) وردت بالكسر فى ٨٦ موضعا من القرآن

(٣) وردت فى ١١٦ موضعا من القرآن

(٤) سورة الصافات / من الآية ١٠٦

(٥) سورة التوبة / من الآية ٩١ ، وسورة إبراهيم / من الآية ٢١ ، وسورة غافر من الآية ٤٧

(٦) سورة طه / من الآية ١٣٠

(٧) سورة البقرة / من الآية ٣٣

(٨) سورة النّحل / من الآية ٥

(٩) سورة البقرة / من الآية ١٠٢

(١٠) سورة النمل / من الآية ٢٥

(١١) سورة يونس / من الآيتين ٤ , ٣٤ ، وسورة النمل / من الآية ٦٤ ، وسورة الروم / من الآيتين ١١ , ٢٧

(١٢) سورة البقرة / من الآية ١٥

(١٣) سورة النساء / من الآية ١٧

(١٤) سورة النور / من الآية ٥٢

٢ – **السكت على الهمز :**

يُقرأ بالسّكت على : « أل » و « شيء » ، مع مراعاة التحقيق فى المتوسّط بزائد من الهمز وقفا .

٣ – **الوقف على الهمز :**

يُقرأ بنفس الأوجه المختارة آنفا لخلف ، لأن مذهبهما فى الوقف على الهمز واحد .

ولكن إذا وُقف على : « أَنْبِئْهُمْ »(١) – « وَنَبِّئْهُمْ »(٢) ، يُقرأ لخلاّد بوجه كسر الهاء مع الإبدال (وهذا مذهب طاهر بن غلبون) .

٤ – **الإدغام الصغير :**

يُقرأ بالإظهار فى : « بَلْ طَبَعَ » بالنساء(٣) ، وبالإدغام فى : « وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ » فى سورة الحجرات(٤) ، وبالإظهار فى : « ارْكَبْ مَّعَنَا » فى سورة هود(٥) .

٥ – **الفتح والإمالة :**

يُقرأ بوجه الإمالة فى « ضِعَٰفاً » فى سورة النساء(٦) ، و « ءَاتِيكَ » – معا – فى سورة النمل(٧) .

٦ – **أوجه فى بعض السّور :**

(ا) فى سورة البقرة : يُقرأ بالسين فى : « وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ »(٨) .

(ب) فى سورة الأعراف : يُقرأ بالسّين أيضاً فى : « بَصْطَةً »(٩) .

(حـ) فى سورة الطور : يُقرأ بوجه الإشمام فى : « الْمُصَيْطِرُونَ »(١٠) .

(د) فى سورة المرسلات : يُقرأ بالإظهار فى : « فَالْمُلْقِيَٰتِ ذِكْراً »(١١) .

(هـ) فى سورة الغاشية : يُقرأ بوجه الإشمام فى : « بِمُصَيْطِرٍ »(١٢) .

(و) فى العاديات : يُقرأ بالإظهار فى : « فَالْمُغِيرَٰتِ صُبْحاً »(١٣) .

* * *

---

(١) سورة البقرة / من الآية ٣٣

(٢) سورة الحجْر / من الآية ٥١ ، وسورة القمر / من الآية ٢٨ .

(٣) من الآية ١٥٥

(٤) من الآية ١١

(٥) من الآية ٤٢

(٦) من الآية ٩

(٧) من الايتين ٣٩ , ٤٠

(٨) من الآية ٢٤٥

(٩) من الآية ٦٩

(١٠) من الآية ٣٧

(١١) من الآية ٥

(١٢) من الآية ٢٢

(١٣) من الآية ٣

٧ – قراءة الكسائى

(ا) رواية أبى الحارث ، من طريق محمد بن يحيى

١ – هاء التأنيث فى الوقف :

يُقرأ بالإمالة فى الحروف التى يجمعها قولهم : « فَجَئَتْ زينب لذود شمس » وحروف « أكهر » بشرطيها .

ويُقرأ بفتح الباقى

٢ – وجه فى سورة الرحمن :

يُقرأ : « لَمْ يَطْمِثْهُنَّ » فى موضعيها[١] بضم الميم فى الأولى ، وبكسر الميم فى الثانية .

(ب) رواية الدّورى ، من طريق جعفر النّصيبى

١ – الفتح والإمالة :

يُقرأ بالفتح فى : « يُوَٰرِى »[٢] و « فَأُوَٰرِىَ »[٣] .

٢ – هاء التأنيث فى الوقف :

مذهبه هنا كمذهب أبى الحارث ، فيُقرأ على النحو المختار آنفا .

٣ – وجه فى سورة الرحمن :

تُقرأ . « لَمْ يَطْمِثْهُنَّ » فى موضعيها ، بعكس قراءة أبى الحارث ، أى بكسر الميم فى الأولى ، وضمّها فى الثانية .

* * *

---

(١) من الآيتين ٥٦ ، ٧٤

(٢) سورة المائدة / من الآية ٣١

(٣) من الآية السابقة

٨ – قراءة أبى جعفر

(ا) رواية ابن وردان ، من طريق الفضل بن شاذان

١ – الهمز المفرد :

يُقرأ بوجه الإبدال فى : « مَوْطِئاً »(١) ، وبالحذف فى : « الْمُنْشِئُونَ)(٢) .

٢ – الهمزتان فى كلمة وفى كلمتين :

يُقرأ بالتسهيل فى : « أَيِمَّةً (٣) و « يَشَاءُ إِلَىٰ »(٤) .

٣ – أوجه فى بعض السّور :

(ا) فى سورة الأعراف : تُقرأ « وَالَّذِى خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً »(٥) بالوجه الثانى لابن وردان ، أى بفتح الياء وضمّ الراء ، أى بالتسمية للمعلوم . (والوجه الأول الذى لم نختره هو ضم الياء وكسر الراء) .

وتُقرأ : « نَكَدا » بفتح الكاف

(ب) فى سورة التوبة : تُقرأ : « سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ »(٦) : « سُقَاةَ » بضم السّين ، وحذف الياء ، و « وَعَمَرَةَ » ، بفتح العين وحذف الألف بعد الميم .

(حـ) فى سورة الإسراء : تُقرأ : « فَيُغْرِقَكُمْ »(٧) بتخفيف الإدغام .

(د) فى سورة الزُّمَر : تُقرأ : « يَـٰحَسْرَتَىٰ »(٨) بالإسكان مع الإشباع ، أى « يَا حَسْرَتَايْ »

---

(١) سورة التوبة / من الآية ١٢٠

(٢) سورة الواقعة / من الآية ٧٢

(٣) سورة التوبة / من الآية ١٢ ، وسورة الانبياء / من الآية ٧٣ ، وسورة القصص / من الآيتين ٥ ١٤

(٤) سورة البقرة / من الآيتين ١٤٢ ، ٢١٣ ، وسورة يونس / من الآية ٢٥ ، وسورة النور / من الآية ٤٦

(٥) من الآية ٥٨

(٦) من الآية ١٩

(٧) من الآية ٦٩

(٨) من الآية ٥٦

(ب) رواية ابن جمّاز ، من طريق أبى أيوب الهاشمى

١ - **الهمز المفرد** :

يُقرأ بوجه الإبدال فى : « مَوْطِئاً »[١]

٢ - **الهمزتان فى كلمة وفى كلمتين** :

يُقرأ بالتسهيل فى : « أَئِمَّة »[٢] و « يَشَاءُ إِلَى »[٣] .

* * *

٩ – قراءة يعقوب

(ا) رواية رُويس ، من طريق التّمار

١ - **بين السورتين** :

يُراعَى السَّكت .

٢ - **الإشمام** :

يُقرأ بإشمام الصّاد زاياً فى باب « أَصْدَقُ » ، أى حيث تكون الصّاد ساكنة قبل الدال .

٣ - **هاء الضمير** :

يُقرأ بكسر الهاء فى :

« وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ » فى سورة الحجْر[٥] – « يُغْنِهِمُ اللهُ » فى سورة النور[٦] – « وَقِهِمْ

---

(١) سورة التوبة / من الآية ١٢٠

(٢) سورة التوبة / من الآية ١٢ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٧٣ ، وسورة القصص / من الآيتين ٥ و١٤

(٣) سورة البقرة / من الآيتين ١٤٢ و٢١٣ ، وسورة يونس / من الآية ٢٥ ، وسورة النور / من الآية ٤٦

(٤) يعتمد هذا الإختيار والاختيار التّالى له ، وهو الخاص برواية رَوحْ من طريق محمد بن وهب ، على ما رُوى عن كتاب المصباح » لأبى الكرم الشهرزورى . .

وأذكر – شاكراً – أنى أفدت أيضاً فى هذين الاختيارين من آراء عالم القراءات الأستاذ الشيخ عامر السيد عثمان .

(وانظر أسماء الرواه الذين تلقى عنهم صاحب (المصباح) هاتين الروايتين فى : ابن الجزرى : النشر جـ ١ ص ١٨١ و ١٨٣) .

(٥) من الآية ٣

(٦) من الآية ٣٢

عَذَابَ » فى سورة غافر[١] – « وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ » فى سورة غافر أيضاً[٢] .

٤ – الإدغام الكبير :

يُقرأ بالإدغام فى :

« لَذَهَبَ بِسَمْعِهِم » فى سورة البقرة[٣] – « وَجَعَلَ لَكُمْ » فى ثمانية مواضع بسورة النحل[٤] – « لاَ قِبَلَ لَهُمْ » فى سورة النمل[٥] – « وَأَنَّهُ هُوَ » فى أربعة مواضع فى سورة النجم[٦] – « وَأَنْزَلَ لَكُمْ » فى الزُّمر[٧] – « مِن جَهَنَّمَ مِهَادٌ » فى سورة الأعراف[٨] .

٥ – هاء الكناية :

يُقرأ بصلة الهاء فى « يَرَه » فى سورة البلد[٩] ، وفى سورة الزَّلزلة[١٠] .

٦ – المدّ والقصر :

يُقرأ بقصر المنفصل ، وإشباع المتصل .

٧ – الهمزتان من كلمة :

يُقرأ بتسهيل الهمزة الثانية فى جميع القرآن .

٨ – الهمزتان من كلمتين :

يُقرأ بتسهيل الهمزة الأخيرة من الهمزتين المتفقتين من كلمتين ، ومن المختلفتين ، نحو : « تَفِيءَ إِلَىٰ »[١١] – « جَاءَ أُمَّةً »[١٢] – « يَشَاءُ إِلَى »[١٣]

ويُقرأ بإبدال الهمزة الأخيرة واواً فى نحو : « السُّفَهَاءُ أَلاَ »[١٤] ، وبإبدالها ياء فى نحو : « مِنَ السَّمَاءِ أَو ائْتِنَا »[١٥] .

٩ – الهمز المفرد :

كلمة : « الأُولَى » فى قوله تعالى : « وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَىٰ »[١٦] . إذا بدئ بها قرئت بهمزة مفتوحة وضم اللاّم .

---

(١) من الآية ٧ .
(٢) من الآية ٩ .
(٣) من الآية ٢٠ .
(٤) من الآيات ٧٢ (مرتين) و ٧٨ و ٨٠ (مرتين) و ٨١ (ثلاث مرات) .
(٥) من الآية ٣٧ .
(٦) من الآيات ٤٣ و ٤٤ و ٤٨ و ٤٩ .
(٧) من الآية ٦ .
(٨) من الآية ٤١ .
(٩) من الآية ٧ .
(١٠) من الآيتين ٧ و ٨ .
(١١) سورة الحجرات / ٩ .
(١٢) سورة المؤمنون / ٤٤ .
(١٣) سورة البقرة / ١٤٢ و ٢١٣ ، وسورة يونس / ٢٥ ، وسورة النور / ٤٦ .
(١٤) سورة البقرة / من الآية ١٣ .
(١٥) سورة الأنفال / من الآية ٣٢ .
(١٦) سورة النجم / ٥٠ .

obeikandl.com

١٠ - **الإدغام الصغير :**

يُقرأ بالإظهار فى باب : « اتَّخَذْتُمْ » و « أَخَذْتُمْ » .

ويُقرأ بإظهار غنّة النون الساكنة والتنوين عند اللّام فى مثل : « مِن لَّدُنْهُ »(١) - « وَهُدًى لِّلْمُتَّقِينَ »(٢)

١١ - **الوقف على مرسوم الخط :**

يُوقف بهاء السكت على :

(ا) جمع المذكر السالم والملحق به ، مثل : « الْعَٰلَمِينَ » - « الَّذِينَ »

(ب) ذى النُّدبة فى : « يَٰوَيْلَتَىٰ »(٣) - « يَٰحَسْرَتَىٰ »(٤) - « يَٰأَسَفَىٰ »(٥) مع إشباع المدّ .

(حـ) نون النسوة ، نحو : « عَلَيْهِنَّ » - « مِنْهُنَّ » - « أَرْجُلِهِنَّ » .

(د) ما « الاستفهامية » التى دخل عليها حرف من حروف الجرّ ، وهى : « فِيمَ » - « مِمَّ » - « عَمَّ » - « لِمَ » - « بِمَ » ، فتُقرأ : « فِيمَهْ » ، و « مَّمَّهْ » ، و « عَمَّهْ » و « لِمَهْ » ، و « بِمَهْ » .

١٢ - **ياءات الإضافة والزوائد :**

يُقرأ بإثبات الياء ساكنة فى : « يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ » فى سورة الزخرف(٦) - « يَٰعِبَادِ فَاتَّقُونِ » فى الزُّمر(٧) .

١٣ - **فرش الحروف :**

يُقرأ بتشديد « فَتَحْنَا » فى الأنعام(٨) والأعراف(٩) ، والقمر(١٠) .

ويُقرأ بقطع همزة « فَأَجْمِعُوا » فى سورة يونس(١١) .

ويُقرأ بإبدال همزة الفصل مدًّا فى نحو : « ءَالذَّكَرَيْنِ »(١٢) .

---

(١) سورة النساء / ٤٠ ، وسورة الكهف / ٢

(٢) سورة البقرة / ٢

(٣) سورة المائدة / من الآية ٣١ ، وسورة هود / من الآية ٧٢ ، وسورة الفرقان / من الآية ٢٨ .

(٤) سورة الزُّمَر / من الآية ٥٦

(٥) سورة يوسف / من الآية ٨٤

(٦) من الآية ٦٨

(٧) من الآية ١٦

(٨) من الآية ٤٤

(٩) من الآية ٩٦

(١٠) من الآية ١١

(١١) من الآية ٧١

(١٢) سورة الأنعام / من الآيتين ١٤٣ ، ١٤٤ .

ويُقرأ بفتح الياء فى : « لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ » فى سورة إبراهيم(١) – لِيُضِلَّ عَنْ » فى الحجّ (٢) والزُّمَر(٣) .

ويُقرأ بضم الياء فى « لِيُضِلَّ عَنْ » فى سورة لُقْمَـٰن(٤) .

ويُقرأ بنقل حركة الهمزة فى قوله تعالى : « عُيُونٍ ادْخُلُوهَا » فى سورة الحِجْر(٥) إلى تنوين مضموم ، مع كسر الخاء .

ويُقرأ بالغيب فى : « عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا » فى سورة الإسراء(٦) .

ويُقرأ بتأنيث « تُسَبِّحُ » فى الإسراء أيضاً(٧) .

ويُقرأ برفع « عَـٰلِمِ الْغَيْبِ » فى سورة المؤمنون ابتداء(٨) .

ويُقرأ « وَلَا يُنْقَصُ » فى سورة فاطر(٩) بفتح الياء ، وضم القاف .

ويُقرأ بياء الغيب فى : « وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُون » فى سورة الشورى(١٠).

ويُقرأ بتثقيل « وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ » فى سورة الحديد(١١).

ويُقرأ بتخفيف « سُجِّرَتْ » فى سورة التكوير(١٢).

ويُترك تنوين « سَلَـٰسِلَا » فى سورة الدهر(١٣) وصلاً ، ويوقف بسكون اللّام .

ويُقرأ « النَّفَّـٰثَـٰتِ فِى الْعُقَدِ »(١٤) : « النَّافِثَاتِ » .

(ب) رواية روح من طريق محمد بن وهب

١ – **بين السورتين :**

يُراعى السكت .

٢ – **الإدغام السكت .**

يُقرأ كما لأبى عمرو .

---

(١) من الآية ٣٠
(٢) من الآية ٩
(٣) من الآية ٨
(٤) من الآية ٦
(٥) من الآيتين ٤٥ ، ٤٦
(٦) من الآية ٤٣
(٧) من الآية ٤٤
(٨) من الآية ٩٢
(٩) من الآية ١١
(١٠) من الآية ٢٥
(١١) من الآية ١٦
(١٢) من الآية ٦
(١٣) من الآية ٤
(١٤) من الآية ٤

٣ **الإدغام الصغير :**

يُقرأ بغنّة النون الساكنة ، وبالتنوين عند اللّام والراء .

٤ - **الهمز :**

يُقرأ بتحقيقه مطلقاً .

٥ - **المدّ :**

يُقرأ بقصر المنفصل وإشباع المتصل .

٦ - **هاء الضمير :**

يقرأ بصلة الهاءفى « يَرَه » فى سورة البلد[١] ، وفى سورة الزَّلْزَلَة[٢] .

٧ - **الوقوف على مرسوم الخط :**

تترك هاء السكت فى :

(ا) جمع المذكر السّالم والملحق به .

(ب) باب « علىّ » ، وأمثلته : « مُصْرِخِيَّ »[٣] - « بَنِيَّ »[٤] - « لَدَىَّ »[٥] .

ويُقرأ بإثبات هاء السكت فى :

(ا) نون النسوة .

(ب) اسم الاستفهام الذى دخل عليه حرف من حروف الجرّ .

٨ **من فرش الحروف :**

يقرأ بالغيب فى : « كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا »[٦] .

* * *

---

(١) من الآية ٧

(٢) من الآيتين ٧ ، ٨

(٣) سورة إبراهيم / من الآية ٢٢

(٤) سورة البقرة / من الآية ١٣٢ ، وسورة يوسف / من الآيتين ٦٧ ، ٨٧ ، وسورة إبراهيم / من الآية ٣٥ .

(٥) سورة النمل / من الآية ١٠ ، وسورة ق / من الآيات ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ .

(٦) سورة الفجر الآيات ١٧ و١٨ و١٩ و٢٠ .

obeikandl.com

١٠ – قراءة خَلَف البزّار

(ا) رواية إسحاق ، من طريق ابن شاذان

(ب) رواية إدريس ، من طريق المطوّعى

لم ينصّ ابن الجزرىّ فى « الدّرّة المضيّة فى القراءات الثلاث » على خلافٍ بين الراويين الأشهرين لهذه القراءة : إسحاق ، وإدريس ، أو بين أصحاب طرقها .

وخَلَفٌ صاحب هذه القراءة ، هو – كما ذكرنا قبلاً – أحد الراويين الأشهرين لحمزة ، وقد اخترنا – قبلا – لروايته ، من طريق الشاطبية ، ما اخترنا .

لهذا ، رأينا أن نختار لقراءته هنا ما خالف روايته تلك ، وقد نهجنا فى اختيارنا طريق « الدّرّة » و « التّحبير » لابن الجزرى ، وأفدنا كثيراً من كتاب « الوجوه المسفرة فى القراءات الثلاث » ، لمحمد المتولى شيخ القراء بالديار المصرية سابقاً .

١ – « **الصِّرْط** » و « **صِرِط** » **بمختلف مواقعهما من الإعراب** ، و « **صِرَطَك** » و « **صِرَطى** »[١]
تُقرأ بالصّاد الخالصة .

٢ – « **عَلَيْهِمْ** » و « **إِلَيْهِمْ** » و « **لَدَيْهِمْ** » .
تُقرأ بالكسر ، إذا وقع بعدها محرك .

٣ – **الإدغام الكبير** :
يُقرأ بإظهار النونين فى : « أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ »[٢]
وكذا التاء فى : « وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا »[٣] ، وفى : « وَالذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا »[٤] ، وفى : « فَالْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا »[٥] .
وكذا تظهر التاء عند « بيَّت طَّائِفَةٌ »[٦] .

---

(١) وردت مادة هذه الكلمات فى القرآن خمساً وأربعين مرة .
(٢) سورة النمل / من الآية ٣٦
(٣) سورة الصافات / الآيات ١ و ٢ و ٣ .
(٤) سورة الذاريات الآية : ١
(٥) سورة العاديات / الآية ٣
(٦) سورة النساء / من الآية ٨١

٤ – الإدغام الصغير :

يُقرأ بإظهار التاء عند الثاء ، نحو : « كَذَّبَتْ ثَمُودُ »(١) ، و « بَعِدَتْ ثَمُودُ »(٢) .

ويُقرأ بإظهار لام « هَلْ » و « بَلْ » عند التاء والسين

ويُقرأ بإظهار الثاء عند التاء فى : « أُورِثْتُمُوهَا »(٣) ، وكذا فى : « لَبِثْتَ »(٤) بتاء المتكلم وتاء المخاطب .

ويُقرأ بإدغام نون : « يسٓ وَٱلْقُرْءَانِ » ، وكذا « نٓ وَٱلْقَلَمِ » .

ويُقرأ بإدغام نون : « طسٓمٓ » فى الميم (فى أول سورة الشعراء ، وأول سورة القصص)(٧) .

ويُقرأ بإظهار الباء فى : « ارْكَبْ مَعَنَا »(٨) .

٥ – هاء الكناية :

تُشبع حركة الهاء فيما يأتى :

« يُؤَدِّهِ » – معا – بسورة آل عمران(٩) .

« نُوَلِّهِ »(١٠) ، – « وَنُصْلِهِ »(١١) فى سورة النساء .

« نُؤْتِهِ » فى سورة آل عمران(١٢) ، وفى سورة الشورى(١٣) .

« أَلْقِهْ » فى سورة النمل(١٤) .

« وَيَتَّقْهِ » فى سورة النور(١٥) .

« يَرْضَهُ » فى سورة الزُّمَر(١٦) .

« يَأْتِهِ مُؤْمِناً » فى سورة طه(١٧) .

---

(١) سورة الشعراء / من الآية ٤٤١ ، وسورة القمر / من الآية ٢٣ ، وسورة الحاقة / من لآية ٤ ، وسورة الشمس / من الآية ١١

(٢) سورة هود / من الآية ٩٥ .

(٣) سورة الأعراف / من الآية ٤٣ ، وسورة الزخرف من الآية ٧٢

(٤) سورة البقرة / من الآية ٢٥٩ (ثلاث مرات) ، وسورة يونس / من الآية ١٦ ، وسورة طه / من الآية ٤٠ ، وسورة الشعراء / من الآية ١٨

(٥) سورة يس / الآية ١ ومن الآية ٢

(٦) سورة ن / من الآية ١

(٧) الآية الأولى فى كل من السورتين

(٨) سورة هود / من الآية ٤٢

(٩) من الآية ٧٥ (مرتين)

(١٠) من الآية ١١٥

(١١) من الآية ١١٥

(١٢) من الآية ١٤٥ (مرتين)

(١٣) من الآية ٢٠

(١٤) من الآية ٢٨

(١٥) من الآية ٥٢

(١٦) من الآية ٧

(١٧) من الآية ٧٥

obeikandi.com

« أَرْجِهْ » فى سورة الأعراف[١] ، وسورة الشعراء[٢] .

وتُقرأ « لِأَهْلِهِ امْكُثُوا »[٣] بكسر الهاء .

٦ – **المدّان المنفصل والمتصل :**

يُقرآن بالتوسط معاً .

٧ – **الهمزتان من كلمة :**

تُقرأ : « أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ »[٤] بالإخبار .

٨ – **الهمز المفرد :**

تُقرأ « الذِّئْبُ »[٥] بالإبدال ، فتكون « الذِّيبُ » .

٩ – **النقل :**

يُقرأ بنقل حركة الهمزة ، وحذفها من فعل الأمر الدّال على السؤال فى « وَسْئَلِ »[٦] – « فَسْئَلِ »[٧] .

١٠ – **الوقف على الهمز :**

يُقرأ بتحقيق الهمز وقفاً .

١١ – **السكت على الهمز :**

يُقرأ بترك السكت على الهمز مطلقاً .

١٢ – **النون الساكنة والتنوينية :**

تُقرأ بالغنّة عند الواو والياء .

١٣ – **الفتح والإمالة :**

يُقرأ بالفتح فى : « الْقَهَّار »[٨] – « الْبَوَار »[٩] – « ضِعَافاً »[١٠]

---

(١) من الآية ١١١

(٢) من الآية ٣٦

(٣) سورة طه / من الآية ١٠ ، وسورة القصص من الآية ٢٩

(٤) سورة القلم / من الآية ١٤

(٥) سورة يوسف / من الآيات ١٣ ، ١٤ ، ١٧

(٦) سورة يوسف / من الآية ٨٢ ، وسورة الزخرف / من الآية ٤٥

(٧) سورة يونس / من الآية ٩٤ ، وسورة الإسراء / من الآية ١٠١ . وسورة المؤمنون / من الآية ١١٣ ، وسورة الفرقان / من الآية ٥٩

(٨) سورة يوسف / من الآية ٣٩ ، وسورة الرعد / من الآية ١٦ ، وسورة إبراهيم / من الآية ٤٨ ، وسورة ص / من الآية ٦٥ ، وسورة الزمر / من الآية ٤ ، وسورة غافر / من الآية ١٦

(٩) سورة إبراهيم / من الآية ٢٨

(١٠) سورة النساء / من الآية ٩

obeikandi.com

ويقرأ بالفتح أيضاً فى « خاب »[١] — « خَافُوا »[٢] — « طَابَ »[٣] — « ضَاقَ »[٤] « حَاقَ »[٥] — « زَاغُوا »[٦] — « زَادَ »[٧] .

ويُقرأ بالإمالة فى : « الأبرار »[٨] – إذا كان مجروراً – و « الرُّءْيَا » المحلّى باللّام .

١٤ – الوقف على المرسوم :

تُثبت هاء السكت فى : « مَالِيَهْ »[١٠] — « سُلْطَانِيَهْ »[١١] — « مَاهِيَهْ »[١٢].

١٥ – ياء الإضافة :

يُقرأ بفتح ياء الإضافة فى :

« عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ فى سورة البقرة .

« سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَاتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ » فى سورة الأعراف[١٤].

---

(١) سورة إبراهيم / من الآية ١٥ ، وسورة طه / من الآيتين ٦١ و ١١١ ، وسورة الشمس / من الآية ١٠ .

(٢) سورة النساء / من الآية ٩

(٣) سورة النساء / من الآية ٣

(٤) سورة هود / من الآية ٧٧ ، وسورة العنكبوت / من الآية ٣٣

(٥) سورة الأنعام / من الآية ١٠ ، وسورة هود / من الآية ٨ ، وسورة النحل / من الآية ٣٤ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٤١ ، وسورة الزمر / من الآية ٤٨ ، وسورة غافر من الآيتين ٤٥ و ٨٣ ، وسورة الجاثية / من الآية ٣٣ . وسورة الأحقاف / من الآية ٢٦ .

(٦) سورة الصف / من الآية ٥

(٧) زادته : (سورة التوبة / من الآية ١٢٤)

زَادَتْهم : (سورة الأنفال / من الآية ٢ ، وسورة التوبة / من الآيتين ١٢٤ و ١٢٥) .

زادكم (سورة الأعراف / من الآية ٦٩)

زادهُ (سورة البقرة / من الآية ٢٤٧)

زادهُمْ (سورة البقرة / من الآية ١٠ ، وسورة آل عمران / من الآية ١٧٣ ، وسورة الفرقان / من الآية ٦٠ . وسورة الأحزاب من الآية ٢٢ ، وسورة فاطر / من الآية ٤٢ ، وسورة محمد / من الآية ١٧) .

زادوكم (سورة التوبة / من الآية ٤٧) .

زَادُوهُمْ (سورة هود . من الآية ١٠١ ، وسورة الجن / من الآية ٦)

(٨) سورة آل عمران / من الآيتين ١٩٣ و ١٩٨ ، وسورة المطففين / الآية ١٨

(٩) سورة الإسراء / من الآية ٦٠ ، وسورة الصافات / من الآية ١٠٥ ، وسورة الفتح / من الآية ٢٧

(١٠) سورة الحاقة / من الآية ٢٨

(١١) سورة الحاقة / من الآية ٢٩

(١٢) سورة القارعة / من الآية ١٠

(١٣) من الآية ١٢٤

(١٤) من الآية ١٤٦

« قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا » فى سورة إبراهيم (١) .
« ءَاتَانِيَ ٱلْكِتَـٰبَ » فى سورة مريم (٢) .
« حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَٰحِشَ » فى سورة الأعراف (٣) .
« رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ » فى سورة البقرة (٤) .
« مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ » فى سورة الأنبياء (٥) .
« عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ » فى سورة الأنبياء (٦) .
« مَسَّنِيَ الشَّيْطَـٰنُ » فى سورة ص (٧) .
« إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ » فى سورة الزُّمَر (٨) .
« مِنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ » فى سورة سبأ (٩) .
« أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ » فى سورة الملك (١٠) .

١٦ – **ياءات الزوائد :**

تُحذف الياء فى : « دُعَاءِ » فى سورة إبرهيم (١١)، وفى : « أَتُمِدُّونَنِ » فى سورة النمل (١٢).

١٧ – **الساكن الأول تنويناً كان أو غير تنوين :**

يُقرأ بالضمّ ، نحو : « خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ » (١٣)– « قُلِ ٱدْعُوا » (١٤).

١٨ – **فعل « يَحْسَبُ » (١٥) مضارعاً فى مختلف صوره :**

يُقرأ بكسر السّين .

١٩ – **لفظ « أُمّ » :**

يقرأ : تُقرأ هذه الكلمة – فى الإفراد والجمع – كالآتى :

بضم الهمز وتحريك الميم الحركة المناسبة كـ (حفص) ، وذلك فى الآيات الآتية :

(١) من الآية ٣١
(٢) من الآية ٣٠
(٣) من الآية ٣٣
(٤) من الآية ٢٥٨
(٥) من الآية ٨٣
(٦) من الآية ١٠٥
(٧) من الآية ٤١
(٨) من الآية ٣٨
(٩) من الآية ١٣
(١٠) من الآية ٢٨
(١١) من الآية ٤٠
(١٢) من الآية ٣٦
(١٣) سورة إبراهيم / من الآية ٢٦
(١٤) سورة الأعراف / من الآية ١٩٥ ، وسورة الإسراء / من الآيتين ٥٦ ، ١١٠ وسورة سبأ / من الآية ٢٢
(١٥) ورد هذا الفعل ٣٢ مرة فى القرآن .

obeikandl.com

« فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ » (١) — « فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ » (٢) — « أُمَّهَا » فى سورة القصص (٣) — « فى أُمِّ الْكِتَابِ » (٤) — وبضم الحمز وفتح الميم فى : « أُمَّهَٰتِكُمْ » فى سورة النحل (٥) ، وسورة النور (٦) ، وسورة الزُّمَر (٧) ، وسورة النجم (٨)

٢٠ – فاء الكلمة فى بعض الألفاظ .

يُقرأ بضم غين « الغُيُوبِ » (٩) ، وعين « عُيُون » (١٠) ، وجيم « جُيُوبِهِنَّ » (١١) وشين « شُيُوخا » (١٢)

٢١ – « ثمود » :

تُقرأ بالتنوين فى سُوَرِ : هود (١٣) ، والفرقان (١٤) ، والعنكبوت (١٥) ، والنجم (١٦) .

٢٢ – لفظ « لَمَّا » .

يُقرأ بالتخفيف فى سُوَر : هود (١٧) ، ويس (١٨) ، والزخرف (١٩) والطارق (٢٠)

٢٣ – لفظ « ولداً » :

يُقرأ بالفتح فى الواو واللام فى : سورة مريم (٢١) ، وسورة « الزخرف » (٢٢)

٢٤ – لفظ « يُبشِّرُ » مطلقا :

يُقرأ كحفص

٢٥ لفظ « يَقْنَطُ » :

يُقرأ « يَقْنَطُ » (٢٣) و « يَقْنَطُونَ » (٢٤) و « لاَ تَقْنَطُوا » (٢٥) بكسر النون .

---

(١) سورة النساء / من الآية ١١
(٢) سورة النساء / من الآية ١١
(٣) من الآية ٥٩
(٤) سورة الزخرف / من الآية ٤
(٥) من الآية ٧٨
(٦) من الآية ٦١
(٧) من الآية ٦
(٨) من الآية ٣٢
(٩) سورة المائدة / من الآيتين ١٠٩ و١١٦ ، وسورة التوبة / من الآية ٧٨ ، وسورة سبأ / من الآية ٤٨
(١٠) سورة الحجر / من الآية ٤٥ ، وسورة الشعراء / من الآيات ٧ و١٣٤ و١٤٧ ، وسورة يس / من الآية ٣١ ، وسورة الدخان / من الآيتين ٢٥ و٥٢ ، وسورة الذاريات / من الآية ١٥ ، وسورة المرسلات / من الآية ٤١ ، ويقرأ أيضا بضم العين فى « عيون » (سورة القمر / من الآية ١٢)
(١١) سورة النور / من الآية ٣١
(١٢) سورة غافر / من الآية ٦٧
(١٣) من الآية ٦٨
(١٤) من الآية ٣٨
(١٥) من الآية ٣٨
(١٦) من الآية ٥١
(١٧) من الآية ١١١
(١٨) من الآية ٣٢
(١٩) من الآية ٣٥
(٢٠) من الآية ٤
(٢١) من الآيات ٧٧ و٨٨ و٩١ و٩٢
(٢٢) من الآية ٨١
(٢٣) سورة الحجر من الآية ٥٦
(٢٤) سورة الروم من الآية ٣٦
(٢٥) سورة الزُّمر من الآية ٥٣

obeikandl.com

٢٦ – أوجه فى بعض السّور :

سورة البقرة :

تُقرأ « لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ »[١] بتاء الخطاب

وتُقرأ بالغيب : « وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ أُولَـٰئِكَ[٢] . . . – وَمَا اللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۝ وَلَئِنْ أَتَيْتَ . . . »[٣]

وتُقرأ « أُسَـٰرَىٰ »[٤] بضم الهمزة وألف بعد السّين .

ويُقرأ برفع الراء فى « لَيْسَ الْبِرَّ »[٥]

ويُقرأ « فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ »[٦] بالباء .

ويُقرأ « إِلاَّ أَنْ يَخَافَا »[٧] بفتح الياء .

ويُقرأ برفع « وَصِيَّةً » فى : « وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً »[٨]

ويُقرأ بهمزة قطع فى : « قَالَ أَعْلَمُ »[٩]

وتُقرأ « فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ »[١٠] (كحفص)

ويُقرأ بفتح همزة « أَن تَضِلَّ »[١١]

ويُقرأ بنصب « فَتُذَكِّرَ »[١٢]

سورة آل عمران :

يُقرأ « وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ »[١٣] (كحفص)

ويُقرأ « أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ »[١٤] بفتح الهمزة

ويُقرأ « لَمَا ءَاتَيْتُكُم »[١٥] بفتح اللّام

ويُقرأ بالغيب فى « يَحْسَبَنَّ » المجاورة للكفر والبخل[١٦]

وتُقرأ « سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ »[١٧] (كحفص) .

---

(١) من الآية ٨٣
(٢) من الآيتين ٨٥ و ٨٦
(٣) من الآيتين ١٤٤ و ١٤٥
(٤) من الآية ٨٥
(٥) من الآية ١٧٧
(٦) من الآية ٢١٩
(٧) من الآية ٢٢٩
(٨) من الآية ٢٤٠
(٩) من الآية ٢٥٩
(١٠) من الآية ٢٧٩
(١١) من الآية ٢٨٢
(١٢) من الآية ٢٨٢
(١٣) من الآية ٢١
(١٤) من الآية ٣٩
(١٥) من الآية ٨١
(١٦) من الآيتين ١٧٨ و ١٨٠
(١٧) من الآية ١٨١

obeikandl.com

سورة النساء :

يُقرأ : « وَالْأَرْحَامَ »[١] بالنصب

ويُقرأ « غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ »[٢] بنصب « غَيْرُ »

وتُقرأ « وإن تَلْوُا »[٣] بواو مضمومة بعدها واو ساكنة (كحفص)

سورة المائدة :

تُقرأ ألفاظ : « قَسِيَةً »[٤] ... « عَبَدَ الطَّاغُوتَ »[٥] – « وَلْيَحْكُمْ »[٦] (كحفص فى الجميع) .

سورة الأنعام :

تُقرأ « ثُمَّ لَمْ تَكُنْ »[٧] بتاء التأنيث .

ويُقرأ برفع « وَلاَ نُكَذِّبَ . . . وَنَكُونَ »[٨] معاً .

وتُقرأ « تَوَفَّتْهُ »[٩] ، و « اسْتَهْوَتْه »[١٠] هكذا (كحفص)

ويُقرأ بكسر الهمزة فى : « أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ »[١١] .

ويُقرأ بالغيب فى : « لاَ يُؤْمِنُونَ » .

ويُقرأ « إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً »[١٢] بتذكير الفعل .

وتُقرأ « فَرَّقُوا »[١٤] معاً بالتشديد .

سورة الأعراف :

تُقرأ « حُلِيِّهِمْ »[١٥] بضم الحاء .

وتُقرأ « يُلْحِدُونَ »[١٦] بضم الياء وكسر الحاء .

سورة الأنفال :

تُقرأ « مَنْ حَىَّ »[١٧] بالإظهار هكذا « حَيِىَ » .

---

(١) من الآية ١
(٢) من الآية ٩٥
(٣) من الآية ١٣٥
(٤) من الآية ١٣
(٥) من الآية ٦٠
(٦) من الآية ٤٧
(٧) من الآية ٢٣
(٨) من الآية ٢٧
(٩) من الآية ٦١
(١٠) من الآية ٧١
(١١) من الآية ١٠٩
(١٢) نفس الآية
(١٣) من الآية ١٤٥
(١٤) من الآية ١٥٩ (مرتين)
(١٥) من الآية ١٤٨
(١٦) من الآية ١٨٠
(١٧) من الآية ٤٢

obeikandl.com

وتُقرأ « وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا »[١] بتاء الخطاب .

وتُقرا « مِنْ وَلَيْتِهِمْ »[٢] بفتح الواو .

سورة التوبة :

تُقرأ : « وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا »[٣] بالرفع فى « رحْمَةٌ » .

وتُقرأ : « إِلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ »[٤] بضم التاء .

وتُقرأ : « مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ »[٥] بتاء التأنيث .

وتُقرأ : « أَوَ لاَ يَرَوْنَ »[٦] بياء الغيب .

سورة هود :

يُقرأ بفتح همزة : « إِنَّنِى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ »[٧] .

ويُقرأ بتنوين « إِنَّ ثَمُودَاْ »[٨] .

وتُقرأ « قالَ سَلَـمٌ »[٩] (كحفص) .

سورة إبراهيم :

تُقرأ « بِمُصْرِخِىَّ »[١٠] بفتح الياء

سورة الكهف :

يُقرأ بالياء فى « وَيَوْمَ يَقُولُ »[١١].

وتُقرأ « ءَاتُونِى » معاً بهمزة قطع محدودة (كحفص) .

وتُقرأ « فَمَا اسْطَـعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ »[١٢] بتخفيف الطاء .

سورة مريم :

تُقرأ « عِتِيًّا »[١٤]– « وَبُكِيًّا »[١٥]– « صِلِيًّا »[١٦]– « جِثِيًّا »[١٧] بالضمّ فى الحرف الأول .

وتُقرأ « خَلَقْتُكَ »[١٨] (كحفص)

---

(١) من الآية ٥٩
(٢) من الآية ٧٢
(٣) من الآية ٦١
(٤) من الآية ١١٠
(٥) من الآية ١١٧
(٦) من الآية ١٢٦
(٧) من الآية ٢٥
(٨) من الآية ٦٨
(٩) من الآية ٦٩
(١٠) من الآية ٢٢
(١١) من الآية ٥٢
(١٢) من الآية ٩٦ (مرتين)
(١٣) من الآية ٩٧
(١٤) من الآيتين ٨ و ٦٩ .
(١٥) من الآية ٥٨
(١٦) من الآية ٧٠
(١٧) من الآيتين ٦٨ و ٧٢ .
(١٨) من الآية ٩

obeikandl.com

وتُقرأ « نَسِيًّا » [١] بكسر النون

وتُقرأ « تُسَقِّطْ » [٢] بالتشديد ، وبالتاء (على التأنيث) .

سورة طه :

تُقرأ « وَأَنَا اخْتَرْتُك » [٣] (كحفص) .

ويُقرأ بالفعل المضارع فى « لَا تَخَفْ دَرَكًا » [٤] بالألف والرفع .

سورة الأنبياء .

تُقرأ « وَحَرَمٌ » [٥] بالفتح والألف ، (كحفص) .

سورة المؤمنون :

تُقرأ « أَنَّهم هُمُ الفَائِزُونَ » [٦] بفتح همزة أنهم .

وتُقرأ « قَلَ كَمْ لَبِثْتُمْ » ، و « قَلَ إِنْ لَبِثْتُمْ » [٧] بصيغة الماضى فى « قَلَ »

سورة النور :

تُقرأ « دُرِّىٌّ » [٨] (كحفص) .

سورة الفرقان :

تُقرأ « لِمَا تَأْمُرُنَا » [٩] بتاء الخطاب .

سورة النمل :

تُقرأ « بِهَادِى العُمْىِ » [١٠] (كحفص) .

سورة القصص :

تُقرأ « يُصَدِّقُنِى » [١١] بالجزم فى القاف .

سورة العنكبوت :

تُقرأ « مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ » [١٢] بنصب « مَوَدَّةَ » منوناً ، ونصب « بَيْنَكُم » .

---

(١) من الآية ٦٤
(٢) من الآية ٢٥
(٣) من الآية ١٣
(٤) من الآية ٧٧
(٥) من الآية ٩٥
(٦) من الآية ١١١
(٧) من الآيتين ١١٢ ، ١١٤
(٨) من الآية ٣٥
(٩) من الآية ٦٠
(١٠) من الآية ٨١
(١١) من الآية ٣٤
(١٢) من الآية ٢٥

obeikandl.com

سورة الروم :

تُقرأ : « ضَعْفٍ » و « ضَعْفاً »[١] بضم الضاد .

تُقرأ : « بِهَادِ الْعُمْيِ »[٢] . (كحفص) .

سورة لقمان :

تُقرأ « هُدًى وَرَحْمَةً »[٣] بنصب رحمة .

سورة السجدة :

تُقرأ « لَمَّا صَبَرُوا »[٤] بفتح اللام وتشديد الميم فى « لَمَّا » .

سورة الأحزاب :

تُقرأ : « الظُّنُونَا[٥] – الرَّسُولَا[٦] – السَّبِيلَا[٧] » بالألف وقفاً .

سورة سبأ :

تُقرأ : « عَالِمِ الْغَيْبِ »[٨] بصيغة اسم الفاعل (كحفص) .

وتُقرأ : « فى مَسْكَنِهِمْ »[٩] بكسر الكاف .

وتُقرأ : « وَهُمْ فِى الْغُرُفَاتِ »[١٠] بالجمع هكذا .

سورة فاطر :

تُقرأ « وَمَكْرَ السَّيِّئِ »[١١] بكسر الهمزة .

سورة يس :

تُقرأ « يَخِصِّمُونَ »[١٢] (كحفص) .

وتُقرأ « نُنَكِّسْهُ »[١٣] بضم الكاف والتخفيف ، أى « نَنْكُسْهُ » .

سورة الصافات .

تُقرأ : « بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ »[١٤] بحذف تنوين « زِينَةٍ » .

وتُقرأ : « يَزِفُّونَ »[١٥] بضمّ الياء .

---

(١) من الآية ٥٤
(٢) من الآية ٥٣
(٣) من الآية ٣
(٤) من الآية ٢٤
(٥) من الآية ١٠
(٦) من الآية ٦٦
(٧) من الآية ٦٧
(٨) من الآية ٣
(٩) من الآية ١٥
(١٠) من الآية ٣٧
(١١) من الآية ٤٣
(١٢) من الآية ٤٩
(١٣) من الآية ٦٨
(١٤) من الآية ٦
(١٥) من الآية ٩٤

obeikandl.com

سورة الزُّمَر :

تُقرأ : « أَمَّنْ هُوَ »[١] بتشديد الميم

سورة فصّلت :

تُقرأ : « يُلْحِدُونَ »[٢] بضم الياء وكسر الحاء .

سورة الزخرف

تُقرأ : « سَلَفاً »[٣] بفتح السين واللام

وتُقرأ : « يَصِدُّونَ »[٤] بضم الصّاد

وتُقرأ : « وَقِيلِهِ يَـٰرَبِّ »[٥] بنصب اللام

سورة الجاثية :

تُقرأ : « ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ »[٦] – « ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ »[٧] برفع « آيات » فى الموضعين (كحفص) .

وتُقرأ : « وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا »[٨] – برفع الساعة .

سورة الطور :

تُقرأ : « الْمُصَيْطِرُونَ »[٩] بالصّاد .

سورة القمر :

تُقرأ : « سَيَعْلَمُونَ غَداً »[١٠] بياء الغيب .

سورة الرحمن

تُقرأ « الْمُنْشَـَٔاتُ »[١١] بفتح الشين

سورة الواقعة :

تُقرأ « وَحُورٌ عِينٌ »[١٢] برفعهما

ويُقرأ « شُرْبَ الْهِيمِ »[١٣] بفتح الشين

---

(١) من الآية ٩
(٢) من الآية ٤٠
(٣) من الآية ٥٦
(٤) من الآية ٥٧
(٥) من الآية ٨٨
(٦) من الآية ٤
(٧) من الآية ٥
(٨) من الآية ٣٢
(٩) من الآية ٣٧
(١٠) من الآية ٢٦
(١١) من الآية ٢٤
(١٢) الآية ٢٢
(١٣) من الآية ٥٥

obeikandl.com

سورة الحديد .

تُقرأ « انظُرُونَا نَقْتَبِسْ »[١] بهمزة وصل مضمومة ، وضمّ الظاء

سورة المجادلة :

تُقرأ « ويَتَنَـجَوْنَ »[٢] (كحفص) .

سورة الملك :

تُقرأ « تَفَـوُتٍ »[٣] بالمدّ والتخفيف (كحفص) .

سورة الجنّ :

تقرأ « قُلْ إِنَّمَا »[٤] بصيغة الماضى

سورة الإنسان :

تُقرأ « قَوَارِيرَا »[٥] الأولى بتنوين ، وبالألف وقفاً

وتُقرأ « عَـلِيَهُمْ »[٦] بفتح الياء

سورة النبأ :

تُقرأ « لَـبِثِينَ »[٧] بالمدّ

سورة الغاشية :

تُقرأ « بِمُصَيْطِرٍ »[٨] بالصّاد

سورة القدْر :

تُقرأ « مَطْلَعِ الْفَجْرِ »[٩] بكسر اللام فى « مَطْلَعِ » .

١٥

وقد كان بعضهم[١٠] يرى – بالنسبة لبعض القراءات – أنه لا يصح استعمالها وقراءتها ، « حتى إذا صح سندها وحسنت روايتها » ، « فقد مات أهلها ومن ينطقون بها ، وإذا كان أهلها على قيد الحياة ، فليس هذا مكانهم ، وليست هذه البلاد أوطانهم » .

---

(١) من الآية ١٣
(٢) من الآية ٨
(٣) من الآية ٣
(٤) من الآية ٢٠
(٥) من الآيتين ١٥ , ١٦
(٦) من الآية ٢١
(٧) من الآية ٢٣
(٨) من الآية ٢٢
(٩) من الآية ٥
(١٠) ابن الخطيب فى كتابه « الفرقان » ص ١٠٣

obeikandl.com

ولا نقف عند هذا القول فهو واضح السَطحيّة ، ولعلّه اجتراء من صاحبه على ما لم يدرس ، والظن أنّ فيما ذكرناه آنفا ما يعصف بهذا الرأى عصفاً .

١٦

وكان بعض القراء المشاهير ، إذا دعوتهم إلى الاشتراك فى الجمع الصوتى للقرآن يبدون أنهم يُؤْثِرُون التسجيل أولا برواية حفص عن عاصم .

وكنت وما زلت أرى أنّ الجمع الصوتى للقرآن يقتضى تسجيل كل الروايات المتواترة والمشهورة وغير الشاذة ، وأنّ تكرار تسجيل الرواية الواحدة يجب أن يُؤَخَّر إلى ما بعد تسجيل الروايات كلّها . وبالفعل كنت وضعت التخطيطات آنفا لتسجيل هذه الروايات ، ومضيت – بالفعل – فى التسجيل ، ولكن العمل ما لبث أن توقف مع الأسف .

* * *

على أن وزارة الأوقاف المصرية رغبَتْ إلىّ فى أواخر سنة ١٩٦٣ [١] أن أفاوض عدداً من كبار القراء ليسجّل كلٌّ منهم المصحف برواية حفص ، واحتجّت الوزارة بما كان نمى إليها من صدوف بعض هؤلاء القراء عن تسجيل ما عدا هذه الرواية ، واحتجّت أيضاً بأن تسجيل باقى الروايات عمل « أكاديمىّ » مقصود به حفظها من الاندثار ، فهو يحتمل بعض التأخير .

ومع معارضتنا الدائمة لهذا الاتجاه ، وإيثارنا جمع الروايات كلّها بأصوات الحاذقين ولو كانوا من غير المشاهير ، فقد وجدنا أنّ هذا الاتجاه الذى هو خلاف الأَوْلَى لا يخلو من نفع للمشروع ، فخطّطنا لتسجيلات حفص ، بما يكفل عدم خلط الطرق بعضها ببعض :

فمثلاً ، كان التسجيل الأول قد التزم – عن تراضٍ منا وتشاور بيننا وبين زملائنا فى لجنة التسجيل – طريق أحمد بن محمد بن حميد أبى جعفر البغدادى الملقب بالفيل ، عن عمرو ابن الصّباح ، على ما أوضحه أبو إسماعيل موسى بن الحسين بن إسماعيل بن موسى المعدل فى كتاب « الروضة » ، فقرأ :

١ – بالقصر : فى المدّ المنفصل ، وبالتوسّط فى : المدّ المتصل ، وبالقصر فى : المدّ العارض للسكون .

---

(١) بسان وكيلها لشؤون الخدمات وقتئذ السيد الأستاذ يوسف عز الدين القرمانى

٢ – وبالسين فى : « واللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ »[١] ، وفى : « وَزَادَكُمْ فى الْخَلْقِ بَصْطَةً »[٢] وفى : « أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ »[٣] .

٣ – وبالصّاد فى : « لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ »[٤] .

٤ – وبالإبدال مع الإشباع فى باب : « آلذَّكَرَيْنِ »[٥] .

٥ – وبالإدغام فى : « يَلْهَثْ ذَّلِكَ »[٦] ، وفى : « ارْكَب مَّعَنا »[٧] ، وفى : « أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ »[٨] .

٦ – وبالإشمام فى : « لاَ تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ »[٩] .

٧ – وبعدم السكت فى : « عِوَجاً »[١٠] ، وبابه – « مِن مَّرْقَدِنَا »[١١] « وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ »[١٢] – « بَلْ رَانَ »[١٣] .

٨ – وبالقصر فى عين « كهيعص »[١٤] و « عسق »[١٥] .

٩ – وبالتفخيم فى « فِرْقٍ »[١٦] .

١٠ – وبالفتح فى « مِنْ ضَعْفٍ » و « ضَعْفاً » فى الآية : « اللهُ الَّذى خَلَقَكُم مِّنْ ضَعْفٍ ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ، ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً »[١٧] .

* * *

التزم التسجيل الأول هذا ، فرأينا أن نختار طريقاً آخر فيما لو سُجِّلت رواية حفص على ما فى « الرّوضة » للمعدّل أيضاً ، فيؤخذ من طريق زرعان بن أحمد بن عسى أبى الحسن الطحان الدقاق البغدادى ، فيقرأ المسجِّلُ :

١ – بالطرق السّابقة فى المدّ

٢ – وبالصّاد فى : « وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ » ، وفى « وَزَادَكُم فِى ٱلْخَلْقِ بَصْطَةً »[١٨][١٩]

---

(١) سورة البقرة / ٢٤٥
(٢) سورة الأعراف / ٦٩
(٣) سورة الطور / ٣٧
(٤) سورة الغاشية / ٢٢
(٥) سورة الأنعام / الآية ١٤٣ .
(٦) سورة الأعراف / من الآية ١٧٦ .
(٧) سورة هود / من الآية ٤٢ .
(٨) سورة المرسلات / ٢٠ .
(٩) سورة يوسف / من الآية ١١ .
(١٠) سورة الكهف / من الآية ١ .
(١١) سورة يس / من الآية ٥٢ .
(١٢) سورة القيامة / من الآية ٢٧ .
(١٣) سورة المطففين / من الآية ١٤ .
(١٤) سورة مريم / ١ .
(١٥) سورة الشورى / ٢ .
(١٦) سورة الشعراء / من الآية ٦٣ .
(١٧) سورة الروم / ٥٤
(١٨) سورة البقرة / ٢٤٥
(١٩) سورة الأعراف / ٦٩

٣ – وبالسين فى : « لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ » (١) ، وفى « أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرونَ »(٢)

٤ – وبالضم فى « ضَعْف » و « ضَعْفًا » فى الآيات : « اللهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وشَيْبَةً »(٣) .

* * *

وأخذنا – فيما لو سجّلت نفس رواية حفص تسجيلا ثالثاً – طريق الهاشمى ، عن عبيد بن الصّبّاح ، على ما فى الشاطبية ، فيلتزم المسجل :

١ – التوسّط فى المدَّيْن : المنفصل والمتصل ، والقصر فى المدّ العارض للسكون .

٢ – الإبدال مع الإشباع فى باب « آلذَّكَرَيْنِ »(٤) .

٣ – الإشمام فى « لاَ تَأْمَنَّا »(٥) .

٤ – الإشباع فى عين « كهعص » (٦) و « عسق » (٧) .

* * *

وبعد ، فليست هذه الاختيارات – على كثرتها – هى كل ما يجب التخطيط لتسجيله ، وإنما هى – كما أسلفت – مجرد نبراس لمن سوف يُتمون – بإذن الله – تسجيل القرآن بكل رواياته العشرين .

ولعلّى – بتوفيق من الله – أنْ أجمع يوماً ، فى استقصاء أوسع ، وفى كتاب قائم برأسه ، كلّ اختياراتى فى ذلك الشأن ، أصولا ، وفرشا ، وطُرُقاً ، وَأَوْجُهًا .

١٧

وبرغم ما جوّزه علماء القراءات من الجمع – أثناء القراءة – بين الروايات بقيود معيّنة (٨) ، رأيت – منذ بدء المشروع ، وعلى نحو ما ذكر شيخ الأزهر فى بيانه الصّادر فى رمضان سنة ١٣٧٨ (أبريل ١٩٥٩) ، والذى أوردنا نصّه قبلا – وجوبَ الإفراد فى قراءة المصاحف

---

(١) سورة الغاشية / ٢٢
(٢) سورة الطور / ٣٧
(٣) سورة الروم / ٥٤
(٤) سورة الأنعام / ١٤٣
(٥) سورة يوسف / ١١
(٦) سورة مريم / ١
(٧) سورة الشورى / ٢
(٨) انظر : الصفاقسى : غيث النفع ص ١١ و ١٢ .
وعبد الفتاح بن هنيدى بن أبى المجد : الأدلة العقلية فى حكم جمع القراءات النقلية ص ١٣ وما بعدها .

المرتلة ، بمعنى التزام رواية واحدة فى تلاوة كل مصحف من أوله إلى آخره ، ونصصت على هذا فى كلّ ما ذكرته عن المشروع كتابةً أو شفاهاً .

* * *

وقصدت بهذا منع اختلاط الروايات بعضها ببعض ، ومنع التلفيق بينها ، وهو ما نعاه علماء القرآن على فاعليه وحذّروا منه :

يقول ابن حجر العسقلانى : « القارئ متى خلط رواية بأخرى كان كاذباً على القارئ الذى شرع فى إقراء روايته ، فمن قرأ رواية لم يَحْسن أن ينتقل عنها إلى رواية أخرى – كما قال الشيخ محيى الدين – وذلك من الأَوْلويّة لا على الحتم . أما المنع على الإطلاق فلا [١] »

وقد سئل أبو يحيى زكريا بن محمد الأنصارى المتوفى سنة ٩٢٦ هـ ، عن :

« شخص زعم أن خلط القراءات بعضها ببعض خطأ لا يجوز ، فهل كما زعم أو لا ؟ » .

وقيل فى السؤال : « وإذا قلتم بالأول ، فما معنى قول النووى فى كتابه المسمى بـ« التبيان » : إذا ابتدأ بقراءة أحد القراء ، فينبغى أن لا يزال على القراءة بها ما دام الكلام مرتبطاً ؟ هل معنى قوله : « فينبغى كذا » أنه يحرم أوْ لا ؟ » .

فأجاب زكريا الأنصارى :

« إن ما قاله الشخص المذكور من أنّ ذلك خطأ لا يجوز صحيح ، بشرط أن يكون ما قرأه بالقراءة الثانية مرتبطاً بالأولى .

وقول النووى : « ينبغى » معناه : يحرم ، بدليل قوله ، بعد ما ذكر فى « التبيان » : « وإذا انقضى ارتباطه ، فله أن يقرأه بقراءة أخرى » ، فإنه يدل على أنه ما دام الكلام مرتبطا ، ليس له ذلك ، فيحرم عليه .

ويدلّ له أيضاً قوله فى : « شرح المهذّب » : وإذا قرأ بقراءة من السَّبْع استُحبّ أن يتم القراءة بها ، فلو قرأ بعض الآيات بها ، وبعضها بغيرها من السبع ، جاز ، بشرط أن لا يكون ما قرأه بالثانية مرتبطاً بالأولى .

ودليل التحريم أن القراءة بذلك تستلزم فوات ارتباط إحدى القراءتين بالأخرى ، والإتيان بهيئة لم يقرأ بها أحد . والله أعلم »[٢] .

* * *

---

(١) فتح البارى جـ ٩ ص ٣١

(٢) الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام أبى يحيى زكريا الأنصارى ص ٤٢٣ و ٤٢٤ .

وإذا كان العلماء قد كرهوا أن يشمل المصحف المكتوب أكثر من قراءة ، ومنعوا من ذلك ، وعدّوه من « أعظم التخليط وأشدّ التغيير للمرسوم »[١] ، فأوّل – عندى – فى المصحف المرتّلة أن يُمنَع جمع القراءات فى مصحف واحد .

وقد كتب – فيما بعد[٢] – أحد الكتاب الدينيين[٣] يشكو من تعمّد القراء الجمع بين الروايات فى المجلس الواحد ، ويقول : « إنّ الغاية المتوخّاة من تلاوة آى الذكر الحكيم – وهى العظة البالغة وإدخال الطمأنينة على القلوب – قد تخفى تماماً ، وتحلّ محلّها غاية أو غايات أخرى لا تنسجم معها ولا تمتّ إليها بصلة ، إذا ما أُديت التلاوة على هذا النحو من تكرار الكلمة الواحدة أو الآية الواحدة بضع مرات ، كلّ واحدة بزيادة حرف أو نقصه ، وبنغم مختلف عن غيره ، وتطريب مغاير لما قبله » .

ودعا الكاتب إلى منع هذا ، وقال متحدثاً عن شيخ الأزهر[٤] : « وإنى لأرجو أن يقرن اسمه بهذا الإصلاح ، وما أعتقد أن فضيلته يتقرب إلى الله بعمل أفضل من ذلك » .

ويظهر أن الجمْع بين القراءات كان يثير المسؤولين وقتئذ ، إلى حدٍّ التفكير فى حظره ومعاقبة فاعله ، فقيل إنه صدر قرار حكومىّ بهذا[٥] .

ويُذكر فى هذا المقام أن الجمع بين القراءات فى التلاوة الواحدة لم يكن يظفر بالرضى من بعض علماء المسلمين منذ قديم ، فقد نعى الشعرانى المتوفى سنة ٩٧٣ هـ – ١٥٦٥ م على قراء زمانه أنهم يعمدون إلى هذا الجمع[٦] .

* * *

هذا ، وأستعين الله وحده ، وأبرأ إليه – سبحانه – من كل حَوْل وقوّة .

---

(١) أبو عمرو الدانى : المحكم فى نقط المصاحف ص ٢٠

(٢) انظر : جريدة الجمهورية ع ١٦ يونيو سنة ١٩٦٠

(٣) محمد خالد

(٤) وكان هو المرحوم الشيخ محمود شلتوت

(٥) نشرت الأهرام فى ٢٩ أغسطس سنة ١٩٦٠ خبرا بعنوان : قراءة واحدة لتلاوة القرآن الكريم فى الإقليم الجنوبى. ونصّه :

« أصدر السيد أحمد عبد الله طعيمه وزير الأوقاف قرارا وزاريا يحظر تلاوة القرآن إلا بتلاوة واحدة . ينفذ هذا القرار على جميع المقرئين فى الإقليم الجنوبى ، ابتداء من اليوم ، ويحال كل قارئ مخالف إلى مجلس تأديب .

(٦) انظر : الشعرانى : الدرر المنثورة فى زبد العلوم المشهورة ص ٨ .

الفصل الثالث

المنع من القراءة بالروايات الشواذ

١

القراءات الشّواذّ – فى مصطلح علماء القرآن – هى التى تُرْوَى آحاداً ، وتخالف خطَّ المصحف العثمانى الإمام ، ولا يمنع من وصفها بالشذوذ أن تكون صحيحة السّنَد ومُوافقةً للعربية [١].

ومن أمثلة هذه القراءات :

(ا) القراءات المنسوبة إلى ابن عباس : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِن رَّبِّكُمْ » (فى مواسم الحج)[٢] .

(ب) والقراءة المنسوبة إلى أُبَىّ : « لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُو » (فيهن)[٣] .

(ح) والقراءة المنسوبة إلى عائشة وحفصة : « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ » (صلاة العصر)[٤] .

(د) والقراءة المنسوبة إلى ابن الزبير : « وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » (ويستعينون بالله على ما أصابهم)[٥] .

(هـ) والقراءة المنسوبة إلى سعد بن أبى وقّاص : « وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ » « من أمّ »[٦] .

---

(١) انظر : محمد بخيت المطيعى : الكلمات الحسان ص ٢٠

(٢) قراءة المصحف العثمانى الإمام بحذف « مواسم الحج » – سورة البقرة / ١٩٨

(٣) قراءة المصحف العثمانى الإمام بحذف « فيهن » – سورة البقرة / ٢٢٦

(٤) قراءة المصحف العثمانى الإمام بحذف « صلاة العصر » – سورة البقرة / ٢٣٨

(٥) قراءة المصحف العثمانى الإمام بحذف « ويستعينون بالله على ما أصابهم » – سورة آل عمران / ١٠٤

(٦) قراءة المصحف العثمانى الإمام بحذف « من أمّ » – سورة النساء / من الآية ١٢

(و) والقراءة المنسوبة إلى أبيّ : « فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا » (كالمسجونة)[١] .

(ز) والقراءة المنسوبة إلى ابن مسعود : « فَاقْطَعُوا » (أيمانهما)[٢] .

(ح) والقراءة المنسوبة إلى ابن عباس : « وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ (صالحة) غَصْباً ، وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ (كافراً)[٣] .

(ط) والقراءة المنسوبة إلى الحسن : « وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا » (الورود الدخول)[٤] .

(ى) والقراءة المنسوبة إلى جابر : « فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ (لهن) غَفُورٌ رَّحِيمٌ »[٥]

(ك) والقراءة المنسوبة إلى عبد الله بن مسعود : « إِنْ كَانَتْ إِلاَّ (زقية) وَاحِدَةً »[٦] .

(ل) والقراءة المنسوبة إلى ابن عباس : « (وأيقن) أَنَّهُ الْفِرَاقُ »[٧] .

(م) والقراءة المنسوبة إلى ابن مسعود وأبى الدرداء : وَاللَّيْلِ إذا يَغْشَى ، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجلَّى (والذكر والأنثى)[٨] » .

وتَرِدُ فى بعض كتب التفسير ، والحديث ، والنحو ، والأدب ، والتاريخ إشارات إلى القراءات الشّاذّة . ولعلّ من أشهر المفسّرين الذين عُنُوا بإيراد هذه القراءات : الزمخشرى فى (كشاف) ه ، وأبو حيان فى تفسيره : « البحر المحيط » ، والشّوْكانى فى تفسيره : « فتح القدير » ، ومن النُّحاة : سيبويه ، وابن جنّى ، وابن الأنبارى[٩] .

٢

وقد اختُلِف فى حكم القراءات الشّواذّ الخارجة عن رسم المصحف العثمانى : هل تجوز القراءة بها ؟

---

(١) قراءة المصحف العثمانى « كالمُعَلَّقةِ » – سورة النساء / ١٢٩

(٢) نصّها فى المصحف العثمانى الإمام : « فَاقْطَعُوا أيدِيَهُمَا » – سورة المائدة / ٣٨

(٣) قراءة المصحف العثمانى الإمام : « وَكَانَ وَرَاءهم مَلِكٌ يَأخذُ كلَّ سَفِينةٍ غَصباً ، وأمّا الغلامُ فكانَ أبَوَاه مُؤمِنَيْن » سورة الكهف / ٧٩ ، ٨٠

(٤) قراءة المصحف العثمانى الإمام : بحذف « الورود الدخول » – سورة مريم / من الآية ٧١

(٥) قراءة المصحف العثمانى الإمام بدون « لهن » – سورة النور / ٣٣

(٦) فى المصحف الإمام : « إِنْ كانتْ إلا صَيْحةً وَاحدَةً » – سورة يس / ٥٣

(٧) قراءة المصحف الإمام : « وَظَنَّ أنهُ الفِرَاقُ » – سورة القيامة / ٢٨

(٨) فى المصحف الإمام : « وَمَا خَلَقَ الذكر والأنْثَى » – سورة الليل ١ ، ٢ ، ٣

(٩) نظر : آرثر جفرى : مقدمته لكتاب « القراءات الشاذة لابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ هـ » ، والذى عُنى بنشره وتصحيحه ج . برجستراسر ص ٤

١ – نقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشّواذّ ولا يُصَلَّى خَلْفَ من يصلّى بها[١] .

٢ – وعند ابن الصلاح شيخ الشافعية فى الشّام : « أن ما خلا القراءات العشر المتواترة والمستفيضة يقيناً وقطعاً – على ما تقرر وتمهد فى الأصول – ممنوع – على العالم ، وغير العالم – القراءة به مَنْعَ تحريم لا منع كراهة ، فى الصلاة وخارج الصلاة ، وواجبٌ على من قدر على الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر أن يقوم بواجب ذلك . ويجب منع القارئ بالشّواذّ وتأثيمه بعد تعريفه ، وإن لم يمتنع عُزِّر[٢] . »

٣ – وعلى هذا الرأى أصحاب الشّافعى ، لأنهم يرون القراءات الشاذّة ليست قرآنا ، لأن القرآن لا يثبت إلاّ بالتواتر ، والقراءة الشّاذة ليست متواترة . وعندهم أنّ مَنْ قال غير هذا غالِطٌ أو جَاهِلٌ ، ويجب الإنكار على القارئ بالشّواذّ فى الصلاة ، وغيرها[٣] .

٤ – وفقهاء بغداد متفقون على اعتبار القراءة بالشواذّ إثْماً يستتاب منه[٤] .

٥ – وفى مدونة مالك : أنّ من صلّى خلف من يقرأ بالشواذ فليخرج ، وليترك الإمام ، وأنه إنْ صلّى خلفه وَجَب عليه أن يعيد أبداً[٥]

وعند ابن الحاجب شيخ المالكية أن القراءة بالشّواذّ لا تجوز فى صلاة ولا غيرها ، فإذا كان القارئ جاهلًا بالتحريم عُرِّف به وأُمِر بتركها ، وإذا كان عالماً أُدّب ، فإنْ أَصرّ حبس حتى يَرْتدع[٦] .

وعنده أيضاً أنّ من يقرأ بالشواذّ فى الصلاة يعيد أبداً[٧] .

ويقول ابن شاس : ومن قرأ بالقراءات الشاذة (يعنى فى الصلاة) لم تُجزْه : ومن ائتمّ به أعاد أبداً[٨] .

---

(١) انظر : الزركشى : البرهان جـ١ ص ٣٣٢ , ٣٣٣
والسيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٠٩
ومحمد راغب : سفينة الراغب ودفينة المطالب ص ٦٦ و ٦٧

(٢) انظر : الزركشى : المرجع السابق

(٣) نفس المرجع

(٤) نفس المرجع

(٥) انظر مثلا : الصفاقسى : غيث النفع ص ٧

(٦) انظر : الزركشى : المرجع السابق

(٧) الصفاقسى : غيث النفع ص ٨

(٨) نفس المرجع ٧ , ٨

٦ – وعن أحمد بن حنبل روايتان :

إحداهما : تجيز القراءة بهذه القراءات .

والثانية : لا تجيزه ، ويقول ابن تيمية فى شأن هذه الرواية الثانية : « وهو قول العلماء لأن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبى – صلى الله عليه وسلم – ، وإن ثبتت فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة[١] .

٧ – وذهب مكّىّ بن أبى طالب ، وابن الجزرى – وهما من كبار علماء القراءات – إلى قبول هذه القراءات ، وصحّة القراءة بها ، بشرط اشتهارها واستفاضتها ، أما إذا لم تبلغ حدّ الاشتهار فيمنع من القراءة بها .

وابن الجزرى – فى تحبيذه القراءة بالشواذّ بذلك الشرط – ينقل أن بعض أئمته كان يقول : « وعلى قول من حرَّم القراءة بالشاذّ يكون عالَم من الصحابة وأتباعهم قد ارتكبوا محرَّماً بقراءتهم الشّواذّ ، فيسقط الاحتجاج بخبر من يرتكب المحرَّم دائماً ، وهم نقلة الشريعة الإسلامية ، فيسقط ما نقلوه ، فيفسد – على قول هؤلاء – نظام الإسلام ، والعياذ بالله ؛ ويلزم أيضاً أن الذين قرأوا بالشواذ لم يصلّوا قط ، لأن تلك القراءة محرّمة ، والواجب لا يتأتى بفعل المحرم[٢] » .

٨ – ورأى بعضهم أن القارئ بالشّواذّ يكتفى فيه بأن لا يُصَلّى وراءه[٣] .

٩ – وروى ابن الجزرى أنه ورد فى أحد القولين لأصحاب الشافعى وأبى حنيفة . وفى إحدى الروايتين عن مالك وأحمد جواز القراءة بها فى الصّلاة[٤] .

وذكر النووى فى « الروضة » – تبعاً للإمام الرافعى – : « وتستوى القراءة بالسبع ، وكذا القراءة الشاذة إن لم يكن فيها تغيير معنى ولا زيادة حرف ولا نقصانه »[٥] .

ونقل صاحب « المهمات » عن بعض الفقهاء أنه تجوز القراءة بالشّواذّ إلاّ فى الفاتحة للمصلّى[٦] .

---

(١) ابن تيمية : فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : نزل القرآن على سبعة أحرف ، وما المراد بهذه الأحرف السبعة ؟ ص ٥٠ .

(٢) النشر ج ١ ص ١٥

(٣) الزركشى : البرهان ج ١ ص ٢٢٢

(٤) النشر ج ١ ص ١٤

(٥) انظر : محمد راغب : سفينة الراغب ودفينة المطالب ص ٦٦ ، ٦٧

(٦) نفس المرجع .

والذى نراه أوْلى ، وأرْجى ، وأوْفق ، وأوْثق هو رأى ابن الصلاح آنفاً ، وما أطبق عليه جمهور العلماء سلفاً وخَلَفًا ، وهو أنّ القراءة الشاذة ليست بقرآن قطعاً، فلا محل لتجويز الصّلاة بها ، والخير هو فى إغلاق كلّ أبوابها .

٣

هذه القراءات الشاذة التى انتهت جمهرة العلماء – فى شأنها – إلى اعتبارها مجرد وسيلة من وسائل تفسير القرآن ، وتبيين معانيه ويستنبط منها صحة التأويل ، ولا تُذكر – كما يقول موفق الدين الكواشي – إلا « لتكون دليلاً على حسب المدلول عليه أو مرجِّحاً[١] . . . »

هذه القراءات التى أُدخل الكثير منها لمجرّد الإيضاح والبيان ، وكان مُدْخلوها محققِّين لما تلقَّوْه عن النبى (ص) قرآناً ، فكانوا آمنين من الالتباس[٢] . . .

هذه القراءات التى خالفت ما أجمعت عليه الأمة[٣] ، والتى نُقلت إلينا نقلاً لا يثبت بمثله القرآن ، والتى إن ثبتت بالفعل فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة . . .

هذه القراءات التى أحدثت – على عهد عثمان – ما أحدثت من اختلاف وبلبلة وفتنة ، ودعت المسلمين وقتئذ فيما وراء الجزيرة مهدِ الإسلام إلى أن يكفّر بعضهم بعضاً على نحو ما فصّلناه قبلا . . .

هذه القراءات دافعت عنها قلة من العلماء ، كما أسلفنا ، وتمسك بها بعض القراء تمسّكاً لم يُنْهِهْ منه أنّهم عُوقبوا وأُهينوا ، وتوسّع فى القراءة بها ناسٌ بحسن نيّة أو بسوء نية .

* * *

ولا شكّ عندنا أنّ بقاء هذه القراءات مسموعةً مقروءةً ، مع تجاوز ما سمح به جمهور الفقهاء من تدوين أوْجُهِها لغةً وإعراباً ومعنى ، والاستعانة بها على التفسير ، قد يؤدّى إلى فتح بابٍ ذى ضرر وبيل تدخل منه المطاعن إلى التواتر القرآنى ، وينفذ منه المتهجمون على الكتاب الذى تشهد الاستقراءات المنصفة أنه – كما أوضحنا قبلا – ظفر بمحافظة لم يظفر بمثلها أىّ كتاب سماوىّ أو غير سماوىّ منذ كانت البشرية .

(١) انظر : الزركشى : البرهان جـ ١ ص ٣٣١ و ٣٣٦ و ٣٣٨ .
والقاسمى : محاسن التأويل جـ ١ ص ٣٨
(٢) السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٧٧
(٣) أبو حيان الأندلسى : البحر المحيط جـ ٢ ص ٩٤

وقد فطن السَّلف إلى هذا ، فكان ما كان من جَمْع الناس على مصحف واحد . مع استبعاد كلّ مالا تثبت قرآنيته ، وفقاً لمناهج متحرّزة أسلفنا ذكرها .

ومن قبلِ هذا الجمع ، وفى صدر الإسلام ، دعا عمر بن الخطاب إلى إقفال باب يفضى إلى سبب من أسباب الشذوذ فى القراءة ، فقد كان ابن مسعود يقرئ الناس بلغة هُذَيل ، فكتب إليه عمر : إن القرآن نزل بلسان قريش . فأقرئ الناس بلغة قريش لا بلغة هُذَيْل [١] .

* * *

والرأى أن علينا – نحن الخلفَ – أن نقوى ما فعل الأوّلين ، وأن نجعل – كما جعلوا – سدوداً بين القرآن وبين أسباب التشكك فيه . وقد تمثلنا واحداً من هذه السّدود فى جمع القرآن جمعاً صوتيًّا بكلّ الروايات المقطوع بقرآنيتها وورودها عن النبى نفسه (ص) ، فيتأكدُ لدى البشر أنّ ما عدا هذه التسجيلات الصوتية الجامعة ليس من القرآن المأمور بتلاوته والصّلاة به

٤

ويؤيّد وجوب العناية بهذا الأمر أنه يظهر ، بين حين وحين ، من يقرأ بالشواذّ ، ويُقرئ بها ، ويصرّ عليها [٢] .

١ – فى القرن الثانى الهجرى ، كان لابن محيصن المتوفى بمكة سنة ١١٣ هـ اختيار فى القراءة خرج به عن إجماع أهل بلده ، وقد رغب الناس عن قراءته ، وقيل إن فيها ما يُنكر ، وسندها غريب [٣] . وكان يُظن به الميل إلى المعتزلة [٤] .

ولكن الروايات تحكى – مع هذا – أن ابن محيصن كان أعلم بالعربية وأقوى عليها من زميليه إمامَى القراءة : عبد الله بن كثير ، وحميد بن قيس [٥] ، وأن مسلم بن الحجاج صاحب (الجامع الصحيح) ، والترمذى ، والنّسائى ، رَوَوْا عنه [٦] .

(١) أخرجه أبو داود ، وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ٩ ص ٧ (ط . البهية) .

(٢) انظر أسماء كثير من أهل الشّواذّ فى عديد من الأمصار فى : ابن النديم : الفهرست ص ٣٠ – ٣٣ (ط . ليبزج ١٨٧٢)

(٣) الصفدى : الوافى بالوفيات جـ ٣ ص ٢٣٣ (ط . دمشق ١٩٥٣)

(٤) ابن الجزرى : غاية النهاية ٣١١٨ جـ ٢ ص ١٦٧

(٥) نفس المرجع

(٦) انظر : الصفدى : الوافى بالوفيات جـ ٣ ص ٧٢٣

ومثل هذه الأقوال قد تحدو ببعض الناس إلى الأخذ بروايته فى القرآن وعدم الإنكار عليه .

* * *

٢ – وفى البصرة ، ظهر من القراء عيسى الثقفى النحوى البصرىّ المتوفى سنة ١٤٩ هـ ، وكان له اختيار فى القراءة – على مذاهب العربية – يفارق قراءة الجماعة ، ويستنكره الناس[١] ، ولكنه كان صاحب كتابين فى النحو هما : « الجامع » و « الإكمال » مما يحتمل معه أن يكون لرأيه – عند بعض النّاس – وزن كبير .

* * *

٣ – وفى القرن الرّابع الهجرى ، كان المقرئ ابن شَنَبُوذ ، أو ابن شَنَّبُوذ (بنون مشدّدة ، وباء مضمومة ودال ، كما ضبطها ابن تغرى بردى صاحب النجوم الزاهرة[٢]) ، قد « تحيّر لنفسه حروفاً من شواذّ القراءات ، فقرأ بها ، فصنّف أبو بكر الأنبارى وغيره كتباً فى الرّدّ عليها »[٣]

وكان ابن شنبوذ يقرئ الناس ، ويقرأ فى المحراب بهذه الحروف التى كان يتتبعها ، والتى تخالف المصحف ، والتى تُروى عن عبد الله بن مسعود وأبىّ بن كعب وغيرهما ، مما كان يُقْرأ به من قبل المصحف الذى جمعه عثمان[٤] حتى عظم أمره وفَحُشَ ، وأنكره الناس[٥] .

وكان مما خالف فيه ابن شنبوذ قراءاتِ الجمهور ، واعترف به فى التحقيق الذى أُجرى معه[٦] :

(ا) « إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ (فامضوا) إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ » .

(ب) « وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ (صالحة) غَصْباً »[٨]

(حـ) « كَ (الصّوف) الْمَنْفُوش »[٩]

---

(١) ابن الجزرى : غاية النهاية حـ ١ ص ٦١٣

(٢) جـ ٣ ص ٢٤٨

(٣) انظر : ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ١٧ ص ١٦٧ (ط . فريد رفاعى) .

(٤) نفس المرجع ، وانظر : الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ١ ص ٢٨٠

(٥) انظر : ابن تيمية : فى قول النبى – صلى الله عليه وسلم – أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وما المراد بهذه السبعة هامش ٤٨ ، ٤٩

(٦) الذهبى : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار حـ ١ ص ٢٢٣ و ٢٢٤ .
وياقوت : معجم الأدباء ١٧ ص ١٦٨ و ١٦٩ .

(٧) وهى فى المصحف العثمانى الإمام : « فاسْعَوْا » (سورة الجمعة / ٩)

(٨) وفى المصحف العثمانى الإمام بحذف « صالحة » (سورة الكهف / ٧٩)

(٩) وهى فى المصحف العثمانى الإمام : « كالعِهْن المنفوش » (سورة القارعة / ٥)

(د) « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ (قد) تَبَّ »(١)

(هـ) « فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ (بيديك) لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً »(٢)

(و) « وَتَجْعَلُونَ (شُكركم) أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ »(٣)

(ز) « وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (والذكر والأنثى)(٤)

(ح) « (فقد كذب الكافرون) فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً »(٥)

(ط) « إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ (عريض)(٦)

(ى) « فَلَمَّا خَرَّ (تيقنت الإنس أن الجن) لَوْ كَانُوا يَعلمونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا (حولا) فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ »(٧)

(ك) وقد قال القاضى أبو يوسف : كنتُ قد سمعت من مشايخنا بالرِّىّ ، ثم ببغداد ، أنّ سبب الإنكار على ابن شنبوذ أنه قرأ أو قرئ عليه – فى آخر سورة المائدة عند حكاية قول عيسى(٨) – : « وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ (الغفور الرحيم) ، بدلا من (الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »(٩) .

* * *

وقد قُبِض على ابن شنبوذ ، فى أول شهر ربيع الآخر سنة ٣٢٣ هـ ، واعُتقل أيّاماً ، فلما كان يوم الأحد ٧ من ذلك الشهر ، عَقد الوزير أبو على محمد بن مقلة مجلساً لمساءلة ابن شنبوذ ، حضره القضاة والفقهاء والقرّاء(١٠) ، وكان فيهم المفتى أبو بكر الأبهرى(١١) ،

---

(١) وهى فى المصحف العثمانى الإمام : « تَبَّتْ يدَا أبِي لَهَبٍ وَتَبَّ » (سورة المسد / ١)

(٢) وقراءة المصحف العثمانى الإمام : « بِبَدَنِكَ » (سورة يونس / ٩٢)

(٣) وهى فى المصحف العثمانى الإمام : « وتجعلونَ رِزْقَكُم أنكمْ تُكذِّبونَ » (سورة الواقعة / ٨٢)

(٤) وهى فى المصحف العثمانى الإمام : « وما خَلَقَ الذكرَ وَالأنثى » (سورة الليل / ٣)

(٥) فى المصحف العثمانى والإمام : (فَقَدْ كَذَّبَتْمْ . . . » (سورة الفرقان / ٧٧)

(٦) وهى فى المصحف العثمانى الإمام : « إلا تفعلوه . . وَفسادٌ كبيرٌ » (سورة الأنفال ٧٣)

(٧) وهى فى المصحف العثمانى الإمام : فلما خرَّ تبينتْ الجن أنْ لو كانوا يعلمون الغيبَ ما لبثُوا فى العذاب المهين » (سورة سبأ / ١٤)

وانظرْ : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٢٤٩

(٨) الآية ١١٨

(٩) معجم ياقوت جـ ١٧ ص ١٧٣

(١٠) انظر : الذهبى : معرفة القراء الكبار جـ ١ ص ٢٢٤ و ٢٢٥ .

وابن خلكان : وفيات الأعيان (ط . محيى الدين عبد الحميد) جـ ٣ ص ٣٢٦ .

(١١) انظر : عياض : الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى جـ ٢ ص ٢٦٥ .

وعمر بن محمد بن يوسف القاضى ، وابن مجاهد[١] ، ولكن ابن شنبوذ ظل على رأيه ، وأغلظ الخطاب لمناظريه ، ونسبهم إلى قلة المعرفة ، وعَيَّرهم بأنهم ما سافروا فى طلب العلم كما سافر[٢] . واستصْبى أحدهم ، وهو القاضى عمر بن محمد بن يوسف .

ولم يذعن ابن شنبوذ بالرجوع والتوبة إلا بعد أن جُرِّد من ثيابه ، وضُرب بالدرّة على قفاه ضرباً شديداً .

وفى نسخة المحضر « المعمول على ابن شنبوذ بخط ابن ميمون »[٤] .

« يقول محمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ :

« . . . وقد كنت أقرأ حروفاً تخالف ما فى مصحف عثمان بن عفان – رضى الله عنه – المجمع عليه ، والذى اتفق أصحاب النبى – صلى الله عليه وسلم ، ورضى عنهم – على تلاوته ، ثم بان لى أن ذلك خطأ ، فأنا منه تائب ، وعنه مُقْلِع ، وإلى الله – عزّ وجلّ – برىء ، إذ كان مصحف عثمان هو الحق الذى لا يجوز خلافه ، ولا أن يُقرأ بغير ما فيهِ[٥] »

أما نسخة خط ابن شنبوذ فى هذا المحضر فهى :

« يقول محمد بن أحمد بن أيوب بن شنبوذ :

ما فى هذه الرقعة صحيح ، وهو قولى واعتقادى ، وأُشهد الله – عزّ وجلّ – وسائر من حضر على نفسى بذلك »[٦] .

وكتب بخطه :

« فمتى خالفتُ ذلك أو بان عنى غيره ، فأمير المؤمنين – أطال الله بقاءه – فى حِلٍّ وَسَعَة من دمى ، وذلك فى يوم الأحد لتسع خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، فى مجلس الوزير أبى على محمد بن على – أدام الله توفيقه – وحسبى الله وحده ، وصلاته على سيدنا محمد وآله »[٧] .

= وعلى القارى : شرح الشفا جـ ٢ ص ٥٥٤

والأبهرى نسبة إلى بلد بين قزوين وزنجان ، وبليدة بنواحى أصفهان ، وجبل بالحجاز .

(١) الذهبى : المرجع السابق
(٢) المراجع السابقة
(٣) معجم ياقوت جـ ١٧ ص ١٧١
(٤) نفس المرجع
(٥) نفس المرجع
(٦) نفس المرجع ص ١٧٢
(٧) انظر : نفس المرجع

وابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤٠٧ (ط . محيى الدين عبد الحميد) .

وجاء فى كتاب الأوراق ، أو أخبار الراضى بالله والمتقى بالله ، لأبى بكر الصولى ص ٦٣ (ط هيورث) : أنَّ تاريخ هذه الكتابة هو سبع خلون من شهر ربيع الآخر .

وكتب ابن مجاهد(١) وغيره من علماء القرآن الذين حضروا المحاكمة أن ابن شنبوذ اعترف بما فى المحضر ، وشهدوا بذلك .

وتذكر الرواية أن الوزير ابن مقلة أطلق ابن شنبوذ ، وأنفذه إلى داره ، مع أعوانه بالليل ، خشية أن يقتله العامَّة ، ثم وجَّهه إلى المدائن سرًّا ، مدة شهرين ، ثم أعيد إلى بغداد ، فدخل بيته ، وهو مستخفٍ من العامَّة(٢)

* * *

والقصة – إلى هنا – قد لا تحمل مساساً بالجمع العثمانى ، ولكن ثمّة خبراً يُوشك أن يلبس الحق بالباطل ، ويجعل ابنَ شنبوذ مظلوماً يدعو على الوزير ابنِ مقلة الذى رَأس المحاكمة ، والذى ضربه حين الاستتابة . . يدعو عليه بقطع اليد ، فلا تُردّ الدعوة ، وتُقطع يد الوزير من قريب .

يقول ابن تيمية : « وقرأت فى تاريخ هرون بن المأمون ، قال : وفى أيام الراضى ، ضَربَ ابنُ مُقْلة ابْنَ شنبوذ سبعَ درِر ، لأجل قراءات أُنكرت عليه ، ودعا عليه بقطع اليد وشتّ الشمل ، فقُطعت يده ولسانه »(٣) .

ثم يقول : « وعُزل ابن مقلة ، ونُكب فى سنة ٢٤ ، بعد نكبته (يقصد ابن شنبوذ) بسنة واحدة ، فجرى عليه من الإهانة بالضرب والتعليق والمصادرة أمر عظيم ، ثم آل أمره إلى قطع يده ولسانه ، نسأل الله العافية »(٤) .

---

(١) من كبار علماء القراءات ، وهو أول من اقتصر على أئمة القراءات السّبع ، وقد تابعه الناس ، وكان بينه وبين ابن شنبوذ خصومة .

(٢) انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان حـ ٣ ص ٤٢٧ (ط . محيى الدين عبد الحميد)

(٣) فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف هامش ٤٧ ، ٤٩

(٤) نفس المرجع

وقد أورد أبو الفـــدا صاحب حماة ما خلاصته أنّ ابن مقلة سعى فى القبض على ابن رائق وإقامة آخر موضعه اسمه بحكم ، وكان بين الخليفة الراضى وابن رائق صلة ، فحبّس من أجله ابنَ مقلة ، ثم – بعد حين – قطع يده . وعولج ابنَ مقلة ، فبرئ ، وعاد يسعى فى الوزارة ، وكان يشدّ القلم على يده المقطوعة ، ويكتب ، ثم – بعد حين – أمر بقطع لسانه فقطع ، ثم سُجن ، ولحقه مرض مرهق ، ولم يكن ثمة من يخدمه ، فقاسى شدّة إلى أن مات سجيناً ، فى شوال سنة ٣٢٨ (ملخصاً من كتاب : المختصر فى أخبار البشر حـ ٢ ص ٨٥) .

وذكر المؤرخون أنه – فى أخريات أيامه – كان يستقى الماء لنفسه من البئر ، فيجذب بيده اليسرى جَذْبة ، وبفمه أخرى (ابن خلكان : وفيات الأعيان حـ ٤ ص ١٩٨ – ٢٠٣) .

وابن مقلة صاحب شأن كبير فى الخطوط العربية ؛ وينقل الثعالبى عن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرّة أنه سمع ابن مقلة ينوح على نفسه، ويبكى على يده لما قطعت ويقول ، يدٌ خدمتْ بها الخلافة ثلاث دفعات ، وكتبت بها القرآن دفعتين تُقطع كما تقطع أيدى اللصوص (ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ص ٢١١) .

ويقول ابن الجزرى : « وقد استجيب دعاؤه (يعنى ابن شنبوذ) على الوزير فقُطعت يده ، وخَربت داره ، وذاق الذلّ ، ولبث فى الحبس مدّةً على شرّحال »[١] .

وتقول الرواية أيضاً إن ابن مجاهد الذى دعا إلى هذه المحاكمة ، وشَهدها ، كان خصماً لابن شنبوذ ، حتى كان هذا الأخير لا يقرئ من يقرأ على ابن مجاهد ، وكان يقول : هذا العطشى — يعنى : ابن مجاهد — لم تغبّر قدماه فى هذا العلم[٢] ، وكان — فيما ذكر الرواة — يناوئ ابن مجاهد ، ولا يعشره (أى يراه لا يساوى منه واحداً من عشرة)[٣] .

ولا يبعد أن تعطى هذه الرواية لابن شنبوذ صورة صاحب الرأى السليم الذى يقع عليه الانتقام والتحدى من حاسديه ، كما لا يبعد أن تُصَوِّر المحاكمة نفسها كأنما كانت ظالمة وبغير حق .

ومع أنّ بعض معاصرى ابن شنبوذ قالوا إنه كان « فيه سلامة وحمق » ، وقالوا إنه « كان كثير اللحن قليل العلم »[٥] ، فقد تضمنتْ أوصاف الواصفين له أنه كان « ديّنا » ، وكان من « المتنسكين » ، و « يرجع إلى ورع » ، وأنه « كان أستاذاً كبيراً ، مع الثقة ، والخير ، والصلاح ، والعلم »[٨] . وقد عدّ له ابن الجزرى ثمانى طرق فى رواية قالون عن

= ويقول الثعالبى إنّ خطّ ابن مقلة يضرب به المثل فى الحُسْن ، « لأنه أحسن خطوط الدنيا ، وما رأى الراؤون ، بل ما روى الراوون مثله فى ارتفاعه عن الوصف وجرْيه مجرى السِّحْر . . . » إلى أن يقول : « ومن نكد الدنيا أن مثل تلك اليد النفيسة تقطع ! » (المرجع السابق ص ٢١١) .

(١) غاية النهاية جـ ٢ ص ٥٢ — ٥٦

(٢) انظر : نفس المرجع جـ ١ ص ١٣٩ و جـ ٢ ص ٥٢ — ٥٦
والصولى : أخبار الراضى والمتقى بالله ص ٦٢ و ٦٣
والعطشىّ نسبة إلى سوق العطش من بغداد ، حيث وُلد ابن مجاهد (انظر : الذهبى : معرفة القراء الكبار جـ ١ ص ٢١٦)

(٣) معجم ياقوت جـ ١٧ ص ١٦٩

(٤) انظر : ابن النديم : الفهرست ص ٣١ (ط . خياط ببيروت)

(٥) قال ابن النديم : قال لى الشيخ أبو محمد يوسف بن الحسن السيرافى أيّده الله ، عن أبيه : إنه — يريد ابن شنبوذ — كان كثير اللحن قليل العلم . (نفس المرجع) .

(٦) نفس المرجع ص ١٦٧

(٧) نفس المرجع ص ١٧١

(٨) انظر : ابن الجزرى : غاية النهاية جـ ٢ ص ٥٢ — ٥٦
ونحن لا نقرّ بهذه الصفات لمن خرج على إجماع المسلمين ، وخالف مصحفهم الإمام .

نافع[١] ، وأربع عشرة طريقاً فى رواية قُنْبُل عن ابن كثير[٢] .

وكذلك ذكروا أن له كتباً مصنّفة فى القراءات[٣] ، منها :

كتاب : « ما خالف فيه ابن كثير أبا عمرو » .

وكتاب : « قراءة علىّ عليه السلام » .

وكتاب : « اختلاف القراء » .

وكتاب : « شواذ القراءات » .

وكتاب : « الانفرادات » .

وذكر ابن الجزرى أنه لم يعدّ أحدٌ محاكمةَ ابنِ شنبوذ « قادحاً فى روايته ولا وصمة فى عدالته »[٤] .

ولا يخفى أن هذا كلّه أيضاً قد يُكسب مسلك ابن شنبوذ تأييداً ممن يأخذون الأمور أخذاً سطحيًّا ، وقد يعطى لقراءته وقراءة غيره بما يخالف مصحف عثمان شيئاً من الإقرار .

وعندى أن لا علاقة بين عزل ابن مقلة وما جرى عليه من النكبات وبين دعوات ابن شنبوذ الخارج على الإجماع ، والذى كان يمكن أن يُحدث فتنة فى كتاب الإسلام ؛ وقد حضر محاكمة ابن شنبوذ قراء وفقهاء شهدوا ضربه ، وربما كانوا هم الذين أوحوا به ؛ ومع ذلك لم يمسسهم سوء .

ولعل ابن مقلة – فى تصرّفه الحازم – أن يكون قد عمل فى حفظ القرآن ما كانت توجبه عليه ولايته الأمر . وابن مقلة كان رجل سياسة ، والسياسة – وخاصّة فى ذلك العهد – تتداول أهلَها – غالباً – بالرفع والخفض ، وتجدّ بهم حينا وتهزل حينا ، وتريّشهم تارة ، وتهيضهم تارة أخرى . وآية ذلك أن ابن مقلة نفسه كان قد تقلّد الوزارة للخليفة « المقتدر » ، فى سنة ٣١٦ هـ[٥] ، أى قبل محاكمة ابن شنبوذ بسبع سنين ، وفُوِّضت إليه أمور الخليفة ، فما لبث ابن مقلة أن عُزِل وحُبس فى داره بعد شهرين اثنين[٦] ، ثم أصابته مصيبة مالية كبيرة فى سنة ٣١٨ هـ ، حيث

---

(١) النشر جـ ١ ص ١٠٣ (٣) معجم ياقوت جـ ١٧ ص ١٦٩

(٢) نفس المرجع ص ١٠٢ (٤) النشر جـ ١ ص ١٢٣

(٥) كان ذلك فى يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول (عريب بن سعد القرطبى : صلة تاريخ الطبرى جـ ١٢ ص ٦٩)

(٦) وذلك فى يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى (المرجع السّابق)وتنص رواية ابن خلكان على أنّ القبض على ابن شنبوذ كان سنة ٣١٨ هـ (وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤٢٨)

حرقت داره التى كان بناها بالزّاهر ، على شاطئ دجلة ، وكان أنفق فيها مائتى ألف دينار ، واحترقت معها دور قديمة كان يسكنها قبل الوزارة ، وانتهب الناس ما بقى من الخشب والحديد والرّصاص [١] .

وقد سجّل ابن مقلة نفسه تجربة من هذا القبيل ، فى شعرٍ سيّار أومأ فيه إلى تقلّب الزمان بمن كان يتّصل بالسلطان ، فقد غضب عليه الخليفة مرّة ، وكان من النتائج أن أعرض عن ابن مقلة مَنْ كانوا قبلا ينشدون وصله ، ولم تطل هذه المحنة ، فقد عاد الخليفة — من قريب — فأدناه ، فهناك قال ابن مقلة :

تحالف النـاس والـزمان ... فحيث كان الزمان كانوا
عـــادانى الدهر نصف يوم ... فانكشف النـاس لى وبانوا
يأيهـــا المعرضـــون عنّى ... عـــودوا فقد عاد لى الزمان

وربما ظاهَرَ ما أدّعيه من أنّ نكبات ابن مقلة ليست استجابة لدعوات ابن شنبوذ ، وإنما هى غالباً قَدَر السياسيين فى ذلك العهد ، ولا سيّما أمثال ابن مقلة الطامح الجرىء الحريص على الوزارة ، والذى يبادل منافسيه العداوة والبغضاء والتآمر : أن استقراء النصوص والأخبار فى زمن العباسيين يكشف بوضوح أنّ « الوزارة كانت سبيلا يوصّل إلى السّجن ، فى غالب الأحيان ، ونَدَر من نجا من الوزراء ولم يسجن ، وربما قُتل ولم يُحْبَسْ ، وربما أصابه الأمران معاً » [٢] .

على أنّ ابن شنبوذ عاد فنقض توبته ، ولم يوفِ بعهده ، فقد صادَفَنا فى كتاب « الأوراق » للصّولى [٣] ، فى أخبار رمضان سنة ٣٢٤ هـ ، أى بعد ستة عشر شهراً من التوبة الأولى ، وكان ابن مقلة قد أُقيل من الحكم ، أن « الحنبليّة » ضجّوا من أمر ابن شنبوذ ، فحمِل إلى دار السلطان ، ونُوظر ، والسّلطان من وراء حجاب . . .

وعاد ابن شنبوذ إلى التوبة ، ولكن الحكومة عادت إلى معاقبته بالحبس .

* * *

٤ — وممن قرأوا بالشّواذّ : ابن مقسم العطار المتوفى سنة ٣٥٤ هـ أو ٣٦٢ هـ ، فقد كان يقرأ بحروف تخالف الإجماع ، واستخرج لها وجوهاً من اللغة والمعنى ، مثل ما ذكر فى كتاب

---

(١) عريب بن سعد القرطبي : المرجع السابق ص ٧٩ .

(٢) انظر : صلاح الدين المنجّد : سجون بغداد زمن العباسين (بحث فى مجلة الرسالة ع ٦٤٠ فى ٨ أكتوبر ١٩٤٥ ص ١٠٨٩ وما بعدها)

(٣) ص ٨٥

(الاحتجاج للقراء) فى قوله تعالى : « فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا (أنجياء) »[١] مع كونه يخالف الإجماع ، ويبعد عن المعنى ، إذ لا وجه للنجابة عند يأسهم من أخيهم ، إنما اجتمعوا يتناجون[٢] .

ويقول مصطفى صادق الرافعى فى هذا القارئ : « . . . وكان من أعرف الناس بالقراءات ، وإنما أفسد عليه أمره أنه من أئمة نحاة الكوفيين ، فخالف الإجماع ، وصنع فى ذلك صُنْعاً كوفيًّا . . . فاستخرج لقراءته وجوهاً من اللغة والمعنى ، ومن ذلك : قراءته فى قوله تعالى : « فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا » ، فإنّ هذا الأحمق قرأها « نُجُباً » فأزالها – بذلك – عن أحسن وجوه البيان العربى ، ولم يبال ما صنع إذا هو قد انفرد بها على عادة الكوفيين فى الرّواية . . . »[٣]

ولا بن مقسم العطار كثير من هذا الجنس ، من تصحيف الكلمة ، واستخراج وجه بعيدٍ لها ، مع كونها لم يقرأ بها أحد[٤] . وكان يقرأ بالقراءات الشاذة فى الصلاة وغيرها ، وكان يتخير القراءات من جهة البحث والاستخراج بالآراء دون الاعتصام والتمسّك بالأثر[٥] . وكان يرى أن كلّ من صح عنده وجه فى العربية بحرف من القرآن يوافق المصحف فقراءته جائزة فى الصلاة وغيرها . فابتدع – كما يقول أبو طاهر بن أبى هاشم – « بدعة أضلّ بها عن قصد السبيل »[٦] .

وقد شاع ذلك عن ابن مقسم ، عند أهل العلم ، فأنكروه ، وارتفع الأمر إلى السلطان ، فأحضره ، وعقد له مجلساً ، وسئل البرهان على صحة ما ذهب إليه ، « فلم يأت بطائل ، ولم تكن له حجة قوية ولا ضعيفة »[٧] ، وأُوقف للضّرب ، فأذْعن بالتوبة فى حضرة القراء والفقهاء ، وكتب بتوبته محضراً شهد عليه الحاضرون[٨] .

وقد قيل إن ابن مقسم لم ينزع عن تلك القراءات الشاذة التى استُتيب من أجلها ، وأنه كان يقرأ بها إلى حين وفاته[٩] .

* * *

(١) والمجمع عليه « نَجِيًّا » (سورة يوسف / ٨٠)
(٢) أنظر : معجم ياقوت جـ ٨ ص ١٥٠
(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٤٧ (ط ١٩٢٦) .
(٤) معجم الأدباء ياقوت جـ ٨ ص ١٥٠
(٥) نفس المرجع ص ١٥١
(٦) النشر جـ ١ ص ١٧
(٧) معجم الأدباء لياقوت جـ ٨ ص ١٥٤
(٨) نفس المرجع
(٩) نفس المرجع

ولعله مما يشير إلى استهوال الناس بدعة ابن مقسم الضالة وخروجه على إجماع القراء والرواة ، وحكم الناس عليه بأنه ترك الحق . ووُلِّى وجهه شطر الباطل ما رُوى من أنّ بعض الصالحين رأى فى المنام ، وكأنه فى المسجد يصلّى مع الناس إلى القبلة ، وكان ابن مقسم يصلّى مستدبراً إيّاها [١] .

وتصرُّف ابن مِقسم منكر ظاهر وخطأ كبير ، ولكنه كان معروفاً بأنه من أحفظ أهل زمانه لنحو الكوفيين ، وأعرفهم بالقراءات : مشهورِها وغريبها وشاذِّها ، وقد عَدَّ له ابن الجزرى سبعاً وثلاثين طريقاً فى رواية خلاّد عن حمزة [٢] . وكان لابن مقسم كُتُبٌ ذكر منها ابن النديم عدداً غير قليل [٣] ، وذكر منها ياقوت ثلاثة عشر كتاباً أغلبها فى علوم القرآن ، ومنها كتاب فى التفسير ، وآخر فى الردّ على المعتزلة [٤] ، ووصفه الدّانى بأنه « مشهور بالضبط والإتقان ، عالم بالعربية ، حافظ للّغة ، حسن التصنيف فى علوم القرآن » [٥] .

وواضح أن قارئا له مثل هذه المنزلة ، ولا يدع رأيه إلا ليعودَ إليه . . . قد يظفر عمله الخاطئ بعطف غير المتعمقين ، ومن لا يملكون اليقظة والفهم .

* * *

٥ – وممن أكثروا من الروايات فى القراءات إكثاراً جعلهم موضع الاتهام : ابن هرمز الأهـوازى الذى قَدِمَ إلى دمشق سنة ٣٩١ هـ ، وقد كشف معاصروه أنه نسب – بالباطل – بعض رواياته إلى مشايخ لم يقرأ عليهم ، أو قرأ عليهم القليل ، وقد نعتوه صراحة بالكذب ، ولكن المترجمين له يذكرون أنه صنّف الكثير فى القراءات ، وكان حسن التصنيف [٦] . وهذا الثناء قد يكسب الفعَلات المنكرة المنسوبة إلى الأهوازى لوناً كلون الأعمال المشروعة .

* * *

٦ – والزّركشىّ – شأنه شأن بعض علماء القرآن الذين أوْلَوا القراءات الشّاذّة التقدير – يرى هذه القراءات « أكثر من التفسير وأقوى » [٧] ، ويرى أنها « من العلم الذى لا يعرف

---

(١) انظر : ابن الجزرى : غاية النهاية جـ ٢ ص ١٢٥

(٢) النشر جـ ١ ص ١٦٠

(٣) الفهرست ص ٣٣ (بتحقيق J. Flugel – ط . بيروت ١٩١٤)

(٤) انظر : معجم ياقوت جـ ٨ ص ١٥٤

(٥) انظر : ابن الجزرى النشر جـ ١ ص ١٦٧

(٦) معجم الأدباء لياقوت جـ ٩ ص ٣٤ – ٣٩

(٧) البرهان جـ ١ ص ٢٣٦ – ٢٣٨

العامّة فضله ، إنما يعرف ذلك العلماء ، ولذلك يُعتَبَر بها وجهُ القرآن »[١] .

ومع أنه لم يدْعُ صراحة إلى التلاوة بهذه القراءات ، فربما استُفيد من قوله – على نحو ما – أنّ الشذوذ يجد من يحبّذه ، ويحبّذ القراءة به ، أو على الأقلّ من لا يجد داعياً لا طّراحه .

* * *

٧ – وقد حفلت بعض كتب الشّواذّ بنُقول ضعيفة الإسناد أوْرد لها ابن الجزرى هذه الأمثلة :

(ا) قراءة ابن السميفع ، وأبى السّمال ، وغيرهما ، فى : « نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ »[٢] ننحيك ، (بالحاء المهملة) ، و (لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً »[٣] بفتح سكون اللّام .

(ب) القراءة المنسوبة بالباطل إلى أبى حنيفة ، ومنها : « إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَؤُا »[٤] برفع الهاء فى لفظ الجلالة وفتح الهمزة فى (الْعُلَمَاءُ) ، وقد أشرنا فى موضع آخر من هذا البحث إلى هذه القراءة .

(جـ) قراءة (معايش)[٥] بالهمز ، وهى رواية خارجة منسوبة إلى نافع .

(د) فتح ياء « أَدْرِى أَقَرِيبٌ »[٦] مع إثبات الهمزة ، (وهى رواية زيد وأبى حاتم عن يعقوب) .

(هـ) تشديد الظاء فى « سِحْرَانِ تَظَاهَرَا »[٧]

(و) قراءة (أسمايهم) و (أوليك) بياء خالصة ، كما ذكره بعض المتأخرين من شراح الشاطبية فى وقف حمزة ، وقراءة (شركاوهم) و (أحباوه) بواو خالصة[٨].

* * *

على أن ابن الجزرى نفسه يقول – فى معرض التفرقة بين السبعة الأحرف التى أُنزل عليها القرآن وبين السبع القراءات التى اختارها المتأخرون اختصاراً واختياراً : « إن من قرأ بـ « الكامل » للهذلى ، أو « سوق العروس » للطبرى ، أو « إقناع الأهوازى » ، أو « كفاية أبى العزّ » ، أو « مبهج سبط الخياط » أو « روضة المالكى » ، ونحو ذلك ، على ما فيه

---

(١) نفس المرجع
(٢) سورة يونس / من الآية ٩٢
(٣) من نفس الآية
(٤) سورة فاطر / ٢٨
(٥) سورة الأعراف / من الآية ١٠ ، وسورة الحجر / من الآية ٢٠
(٦) سورة الأنبياء / من الآية ١٠٩
(٧) سورة القصص / من الآية ٤٨
(٨) النشر ج ١ ص ١٦ ، ١٧

من ضعيف وشاذ عن السبعة والعشرة وغيرهم ، فلا نعلم أحداً أنكر ذلك ، ولا نزعم أنه مخالف لشيء من الأحرف السبعة ، بل ما زال علماء الأمة وقضاة المسلمين يكتبون خطوطهم ويثبتون شهادتهم فى إجازاتنا بمثل هذه الكتب والقراءات[1] » .

ونحن – فى أمر القرآن – أغْير وأخْوف من أن نَدَعَ قراءاته ، وهى من السماء ، عُرْضة للضعيف والشاذّ اللذين أشار إليهما ابنُ الجزرىّ ، والمخالفَيْن لما اختار المسلمون وأجمعوا على قرآنيته من قراءات . ولهذا ننكر – بضمير علمىّ – على (علماء) ابن الجزرىّ ، و (قضاته) مسلكهم المترخّص وغير الشّرعى ، ولا نقيم – لما كتبوا من (خطوط) ، وما أثبتوا من (شهادات) فى (إجازات) ابن الجزرىّ – وزناً ، ونرى الاحتياط أوْلى بل أوْجب . وسبيلنا إلى هذا الاحتياط : هو الاقتصار فى الجمع الصَوتىّ على المتواتر والمشهور وغير الضعيف أو الشاذّ .

* * *

٨ – وما برحت القراءة بالشّواذّ مَحِلّ ولع بعض القراء والمقرئين ، وإن كانوا قلةً نادرة جدًّا ، وقد لا تكون لهؤلاء بواعث غير التعالم مع الجهل ، وحبّ الظهور ، وعدم تقدير التبعات ، أو الافتتان بأقوال الآحاد الذين أجازوا القراءة بالشواذّ بقيد أو بغير قيد .

٩ – والخوف من تسلّل الشّاذّ إلى القرآن شيء له ما يبرره :

فقد كذّب الزنادقة على بعض الصحابة ، ونسبوا إليهم قراءات شاذة كثيرة ، كما سنرى فى فصل آخر ، ولئن كنا نقول إن هذا كذب على الصحابة إن قولنا لا ينفى وقوع الروايات الكاذبة نفسها .

وابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ يشير إلى أن رجال الجدل المسيحيين رأوا – فى اختلاف القراءة المنسوبة إلى ابن مسعود عن القراءات المجمع عليها – ثغرة حاولوا أن ينفذوا منها إلى الطعن فى صحة هذه القراءات[3] .

---

(١) النشر جـ ١ ص ٣٥ ، ٣٦

(٢) اتهم شيخان صحيحا الإسلام وحسنا النية من مدرسى معهد القراءات التابع للأزهر ، فى سنة ١٩٥٨ ، بالقول بجواز القراءة بالروايات الشاذة ، فاستتيبا ، وعوقبا بالنقل خارج القاهرة سنة دراسية كاملة ، ولم تقبل فيهما مشيخة الأزهر شفاعة .

(٣) الفصل فى الملل والنحل جـ ٢ ص ٧٥

ولئن كان ابن حزم ردّ هذا الطعن ، إنَّ فتح الثغرات – بغير حق – شرٌّ ليس مما يستهان به .

وقد تمادى أناس فرأوا قراءة القرآن بالمعنى ، بدعوى أن ابن مسعود كان يجيز هذا ، وهو كذب على ابن مسعود ، فهو إنما قال : « نَظَرْتُ القراءات فوجدتهم متقاربين ، فاقرأوا كما علمتم »(١) . وقد كانت هذه الدعوة الخطيرة لتُدْخِل فى القرآن ما ليس منه ، ولتُبَدِّله تبديلاً لولا إخفاقها منذ كانت .

فلعلّ دَرْء هذا التَسلّل المخوف أن يقتضينا الحرص على ما ثبتتْ قرآنيته بإجماع ، بأن نسجّله صوتيًّا كما سجّله الأسلاف كتابةً .

٥

وبعد ، فربما كان من أهول النتائج التى أفضت إليها القراءات الشاذة ، والتى نضيفها إلى ما ذكره ابن حزم آنفاً : أن بعض من لا طاقة لهم بالتفكير السليم ، ومن يتقبلون الروايات من غير فحص ولا تمحيص ومن تفتنهم دراسات المستشرقين ولو كانت ساقطة علميًّا يرون مثل ما رأى كارل فولرس K. Vollers (٢) أن نصّ القرآن قد اعتراه تغيير(٣) .

وإذن فلابدّ – فى رأينا – للمسلمين من إجراء إيجابىّ حاسم يمنع من أن يَتوهّم أحد بأى شكل وعلى أية صورة أن هناك ما يخالف النص الذى استقرّ عليه المسلمون .

والحق - فى رأينا – أنه لو لم يكن للجمع الصوتى للروايات المتواترة والمشهورة غير التحديد الواضح للروايات والطرق التى تجوز القراءة بها ، والتى يجب – فى أحزم حزم – منع القراءة بما عداها مما يسمى شاذًّا ، لكان هذا حسبنا فى الشعور الحادّ بالحاجة الشديدة إلى الجمع الصوتى الدقيق ، ولكان هذا حَسْبنا أيضاً فى اعتبار الدعوة إلى هذا الجمع وإلى التخطيط له رسالةً تستأهل الجهاد ، ويهون فيها العناء .

---

(١) انظر : ابن الجزرى : النشر جـ١ ص ٣٢ .

(٢) مستشرق نمسوىّ ، وُلد سنة ١٨٥٧ م وتوفى سنة ١٩٠٩ م ، وعُيِّن مديراً لدار الكتب الخديوية سنة ١٨٨٦م (انظر : نجيب العقيقى : المستشرقون جـ ٢ ص ٦٣٣)

(٣) انظر : جواد على : لهجة القرآن الكريم – بحث منشور فى مجلة المجمع العلمى العراقى المجلد ٢ من الجزء ٢

الباب الثانى

التعليم

- وضع النماذج الصوتية للترتيل الشرعى الذى تستطيعه الكافة
- تيسير القرآن للحفظ والتعلم
- علاج مشكلة اختلاف الرسم القرآنى عن الرسم الإملائى

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

وضع النماذج الصوتية للترتيل الشرعى الذى تستطيعه الكافة

١

قلنا إنه وقع فى قراءة القرآن – حتى من بعض المسلمين من جرّاء الجهل أو التّساهل – ابتداع ما ليس فى قوانين الأداء القرآنى .

ولعلّ من أشهر المبتدعات الصوتية فى قراءة القرآن طريقة الغناء ابتغاء جذب النّاس إلى السّماع ، ولو أدّت هذه الطريقة إلى إخراج التلاوة عن أوضاعها التى نَزَلَتْ بها .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم حذّر من ذلك ، فقال :- « اقرأوا القرآن بلحون العرب ، وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر ، فإنه سيجىء أقوام من بعدى يرجّعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنَّوْح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم »[1] .

وفى اللغة[2] :

لَحَنَ فى كلامه : إذا مال به عن الإعراب إلى الخطأ ، أو صرفه عن موضوعه إلى الإلغاز . . .

وعرفتُ ذلك فى لحن كلامه : فى فحواه ، وفيما صرفه إليه من غير إفصاح به .

وليس هذا من لحنى ولا من لحن قومى : أى من نحوى ومذهبى الذى أميل إليه وأتكلم

---

(١) انظر : مالك بن أنس : الموطأ – كتاب ١٥ حديث ١٠ .

والسخاوى : جمال القراء ص ٦٨ – مخطوطة رقم ٩ بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

وعلى بن سلطان القارى : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح جـ ٢ ص ٦١٨ .

والسيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٠١ و ١٠٢ .

والقرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ١٧ .

(٢) انظر : الزمخشرى : أساس البلاغة – مادة (ل ح ن) .

وانظر : أبو على القالى : الأمالى – مطلب الكلام على مادة (لحن) جـ ١ ص ١٤٢ و١٤٣ ، فثمة معلومات طيبة عن هذه المادة .

به ، يعنى لغته ولِسْنه ، ومنه : « تعلّموا الفرائض والسُّنَّة واللَّحن كما تتعلمون القرآن » .

وهذا لَحْن مَعْبَد وألحانه وملاحنه : لما مال إليه من الأغانى واختاره .

ولحّن فى قراءته تلحيناً : طرّب فيها .

* * *

وعلى ذكر النهى على مرجّعى القرآن ترجيعَ الغناء ، نبادر فنفرّق بين الغناء الذى يُخرج القراءة عما يجب فيها ولها من الخشوع والوقار ، وبين حسن الصوت بالترتيل ، فإنّ هذا الحسن يُعِينَ – غالباً – على أمر منشود هو التأثر بالسماع .

ويبدو من السّنّة أن القراءة الواجبة هى القراءة المتدبّرة التى تستغرق النفس كلّها ، ومن ثم هى القراءة المعبّرة ، فقد عاب النبى صلى الله عليه وسلم – كما رأينا فى الحديث آنفاً – على قوم أنهم « يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم » ، وفى حديث آخر ، كان من وصفه لقوم « يمرقون من الدين كما يمرق السّهم من الرّميّة » أنهم « يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم »[1] .

٢

وقد أكّدت السّنّة الصحيحة استحباب تحسين الصوت بالقرآن :

١ – قال النبى صلى الله عليه وسلّم : « لم يأذن الله لشىء ما أذن لنبىّ حسن الصوت بالقرآن يجهر به »[2] .

---

(١) رواه أبو يعلى فى مسنده عن أنس .

وانظر : المناوى : فيض القدير جـ ٤ ص ١٢٧ .

وابن عبد ربه : العقد الفريد جـ٢ ص٢٣٩ ، وفيه : « وهم شر الخلق والخليقة ، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم »

(٢) رواه البخارى ، فى باب قول النبى ، صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن . . . » .

وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ١٣ ص ٤٤٤ و ٤٤٥ .

وفى رواية مسلم : « ما أذن الله . . . إلخ » (جـ ٢ ص ١٩٢) .

وانظر : الحاكم النيسابورى : المستدرك جـ ١ ص ٥٧٠ .

وسنن أبى داود ، كتاب ٨ باب ٢٠ .

وسنن النسائى ، كتاب ١١ باب ٨٣ .

وسنن الدارمى ، كتاب ٢ باب ١٧١ ، وكتاب ٢٣ باب ٣٣ .

ومعنى قوله « يأذن » : يستمع له . أذِنت للشئ آذن أُذْنا : إذا استمعت له . قال الشاعر :

صُمٌّ إذا سمعوا خيراً ذُكِرْتُ بـــه ... وإن ذُكرتُ بسوء عندهم أُذِنـــوا

وقال « لَلّهُ أشدّ أَذَناً إلى الرجل الحسن الصّوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته »[١] .

وقال – فى أبى موسى الأشعرى – : « لو رأيتَنى وأنا أسمع قراءتك البارحة ! لقد أوتيتَ مزماراً من مزامير داود » ، وردّ أبو موسى : « لو علمت أنك تسمع لقراءتى لحبّرتهُ لك تحبيراً »[٢] .

وقال : « زَيِّنوا القرآن بأصواتكم »[٣] .

وقال : « لكل شىء حلية ، وإن حلية القرآن الصوت الحسن »[٤] .

وقال : « ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن »[٥] .

وقال عدىّ بن زيد العبادى :

أيهـا القلب : تعلّل بددَن إن همّ فى سمـاع وأذَن

والأذَن : هو السماع . (انظر : الشريف المرتضى على بن الحسين فى : أمالى المرتضى أو غرر الفرائد ودرر القلائد – القسم الأول ص ٣١ – ٣٥ ، وانظر : ابن منظور : لسان العرب (أذن) و (ددن)

(١) قال الحاكم النيسابورى : حديث صحيح على شرط الشيخين (المستدرك جـ ١ ص ٥٧١)

(٢) رواه البخارى ، ومسلم ، والنسائى ، وأحمد .

وانظر : حواشى الجامع الصحيح لمسلم جـ ٢ ص ١٩٢ و ١٩٣ (ط . إستامبول) .

(٣) رواه أحمد ، وأبو داود ، وابن ماجه ، والدارمى ، ورواه النسائى ، وابن حبّان ، والحاكم ، وزاد : « فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا » .

انظر : على القارى : مرقاة المفاتيح جـ ٢ ص ٦١٤

والحاكم : المستدرك جـ ١ ص ٥٧١

والطيالسى : مسند الطيالسى – حديث ٧٣٨

وقال الهروى : « معناه : الهجوا بقراءة القرآن ، وتزينوا به ، وليس معناه على تطريب الصوت والتخزين ، إذ ليس ذلك فى وُسْع كل أحد » . (نقلاً عن : ابن مفلح الحنبلى : الآداب الشرعية والمنح المرعية جـ ٢ ص ٢٢٤) .

وقال فيه البغوى : « إنه من المقلوب ، كقولهم : خرق الثوب المسمار ، قال تعالى : « مَا إنّ مفاتحه لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ » (سورة القصص / ٧٦) ، أى تنهض .

ورواه البغوى من طريق آخر : « زيّنوا أصواتكم بالقرآن » – (نقلاً عن المرجع السابق) .

(٤) عن أنس .

وانظر : ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة جـ ١ ص ٤١ (بتحقيق حامد الفقى ، سنة ١٩٥٣) .

(٥) رواه البخارى عن أبى هريرة .

ورواه أحمد فى مسنده ، وأبو داود ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم فى « المستدرك » ، عن سعد بن أبى وقاص .

وكان سفيان بن عيينة يقول فى تفسير الحديث : « أى من لم يستغن بالقرآن . . » ، فقال الشافعى : « ليس هو هكذا ، لو كان هكذا لقال : يتغانا ، إنما هو يتحزّن ويترنم به ، ويقرؤه حَدْراً وتحزيناً » (انظر : السُّبكى : طبقات الشافعية الكبرى جـ ٢ ص ١٣٠ ، بتحقيق الطناحى والحلو) .

وكان أبو عبيد القاسم بن سلام اللغوى المحدّث ، والذى أشرنا إليه عند الحديث عمّن جمعوا القراءات ، كان يرى مثل رأى سفيان بن عيينة ، وكان يحتجّ ببيت الأعشى :

وكنت امرأً زمنـاً بالعـــراق عفيف المناخ طويـل التغـــنى

٢ – وعن عائشة ، قالت : استبطأنى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذات ليلة ، فقال : ما حبسك ؟ قلت : إنّ فى المسجد لأحسن من سمعت صوتاً بالقرآن ، فأخذ رداءه ، وخرج يسمعه ، فإذا هو سالم مولى أبى حذيفة . فقال : الحمد لله الذى جعل فى أمّتى مثلك (١) .

٣ – ورؤى النبى صلى الله عليه وسلم ، يوم الفتح ، على ناقة له ، يقرأ سورة الفتح – أو من سورة الفتح – فرجّع فيها ، وكانت صفة ترجيعه : آ ... آ ... آ ... ثلاث مرات (٢) .

ويقول البراء : سمعت النبى – صلى الله عليه وسلم – يقرأ فى العشاء : « وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ » (٣) فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه (٤) .

وفى (الصحيحين) ، عن جُبير بن مطعم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقرأ فى المغرب بـ (الطور » ، فما سمعت أحداً أحسن صوْتا أو قراءة مِنه .

وفى بعض ألفاظه : فلما سمعته قرأ : « أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ » (٥) ،

(ديوان الأعشى ص ٢٢)

وكان يحتج بقول عبيد الله بن معاوية ضمن أبيات :

كلانا غنىٌّ عن أخيه حياته ونحن إذ متنا أشد تغانيا

(الكامل للمبرّد بشرح المرصفى جـ٣ ص ١٤) .

وكذلك احتجّ بأقوال أخرى منسوبة إلى ابن مسعود ، وإلى النبى – صلى الله عليه وسلم –

وقال أبو عبيد : « ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة علينا بذلك ، إذ كان من لم يرجّع القرآن فليس منه عليه السلام » .

(انظر : الشريف المرتضى : أمالى المرتضى ، أو غرر الفرائد ودرر القلائد ص ٣١ و ٣٢) .

وقد ناقش المرتضى – فى أماليه – ما قيل فى تفسير ذلك الحديث ، وانتهى إلى أن التغنى هنا ليس التحنين والترجيع ، وإنما هو على هذا الوجه : من لم يقم على القرآن ، فلا يتجاوزه إلى غيره ، ولا يتعداه إلى سواه ، ويتخذ مغنى ومنزلاً ومقاماً فليس منا (ص ٣١ – ٣٥) .

ويقول أبو سعيد الأعرابى – فى تفسير ذلك الحديث – قولاً نستحسنه . يقول : كانت العرب تُولع بالغناء والنشيد فى أكثر أفعالها ، فلما نزل القرآن أحبّوا أن يكونَ القرآن هِجِّيراهم مكان الغناء ، فقال : « ليس منّا مَنْ لم يتغنَّ بالقرآن » (انظر : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ١ ص ١١) .

(١) الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ١ ص ١٢٢ . وانظر : ابن قدامه : المغنى جـ٩ ص ١٧٩ (ط . المنار ، سنة ١٣٦٧ هـ) ، وابن كثير الدمشقى : فضائل القرآن ص ٥٨ .

(٢) البخارى : باب ذكر النبى – صلى الله عليه وسلم – وروايته عن ربه .

وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ١٣ ص ٤٤١ و٤٤٢ .

وظاهر أن هذا الترجيع كان اختياراً لا اضطراراً ، لهزّ الناقة له ، وكما يقول ابن قيّم الجوزية : كان النبى يرجّع فى قراءته ، فنُسب الترجيع إلى فعله ، ولو كان من هزّ الراحلة لم يكن منه فعل يسمى ترجيعاً (زاد المعاد جـ١ ص ١٣٤) .

(٣) يقصد سورة التين .

(٤) البخارى : باب قول النبى ، صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن . . . »

وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ١٣ ص ٤٤٥ .

(٥) سورة الطور / ٣٥ .

خِلْتُ أن فؤادى قد انصدع ؛ وفى رواية : كاد قلبى أن يطير[١] .

وعن جابر بن عبد الله ، يقول : كان فى كلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ترتيل وترسيل[٢] .

وعن قتادة : ما بعث الله نبيًّا قطّ إلا بعثه حسن الوجه ، حسن الصوت ، حتى بعث نبيّكم – صلى الله عليه وسلم – حسنَ الوجه حسنَ الصوت . . إلخ »[٣] .

* * *

وسار الصحابة والتابعون وتابعوهم نفس السيرة[٤] .

(ا) كان عُمَر يقول لأبى موسى الأشعرى : ذكّرْنا ربّنا ، فيقرأ أبو موسى « ويتلاحن »[٥] وكان عُمَر يقول : من استطاع أن يتغنّى بالقرآن غناء أبى موسى فليفعل[٦] .

ونقل الذهبى ، عن ابن الهندى ، فى ترجمة أبى موسى الأشعرى : « ما سمعت طنبوراً ولا صنجاً ولا مزماراً أحسن من صوت أبى موسى الأشعرى ، كان يصلّى بنا ، فنودّ أنه قرأ البقرة[٧] .

(ب) وكان أسيد بن الحضير أحدُ النقباء الاثنى عشر ، ليلة العقبة ، من أحسن الناس صوتاً بالقرآن[٨] .

(حـ) وكان عُقْبة بن عامر من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، قال له عمر : اعرض علىّ سورة كذا ، فعرض عليه ، فبكى عمر ، وقال : ما كنت أظنّ أنها نَزَلت[٩] .

(د) وذكر على بن سلطان القارى فى : « مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح »

---

(١) انظر : ابن كثير الدمشقى المفسّر : فضائل القرآن ص ٥٨ ؛ وهو يقول بعد هذا :

« وكان جبير لما سمع هذا بَعْدُ مشركاً على دين قومه ، وإنما كان قدِمَ فى فداء الأسارى بعد بدر . فناهيك بمن تؤثّر قراءته فى المشرك المصرّ على الكفر ، فكان هذا سبب هدايته » .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٩٧ (ط . ليدن سنة ١٣٢١ هـ) .

(٣) نفس المرجع جـ ١ ص ٩٨ .

(٤) انظر : بيان المعروفين من الصحابة بحسن الصوت فى : الكتانى : التراتيب الإدارية جـ ٢ ص ٤٢٥ و ٤٢٦ (ط . الرباط سنة ١٣٣٦ هـ) .

(٥) انظر : ابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٤ .

(٦) نفس المرجع ص ١٣٥ .

(٧) تذكرة الحفاظ ص ٢٢ – ٢٤ . ومعروف أن سورة البقرة أطول سور القرآن .

(٨) الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ ١ ص ٢٤٦ – ٢٤٨ .

(٩) انظر : ابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٥ .

والنووى : تهذيب الأسماء واللغات – ٤١٤ .

أن الشيخ عبد القادر الجيلانى روى عن عبد الله بن مسعود ما يستفاد منه أنه كان يحبّ حُسْن الصوت بالقرآن[١] .

(هـ) وكان علقمة أبو شبل النخعى الفقيه الكبير من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وكان إذا سمعه ابن مسعود يقول : « لو رآك رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – لسُرّ بك » .

(و) وكان عمر بن عبد العزيز حسن الصوت بالقرآن ، فخرج ليلة يقرأ ، وجَهَرَ بصوته ، فاستمع له الناس ، فقال سعيد بن المسيب : فتنتَ الناس ! فدخل[٢] .

(ز) والشافعى صاحب المذهب كان من أحسن الناس قراءة . قال أحد معاصريه : كنا إذا أردنا أن نبكى قال بعضنا لبعض : قوموا بنا إلى هذا الفتى المطّلبى يقرأ القرآن . فإذا أتيناه استفتح القرآن حتى يتساقط الناس ، ويكثر عجيجهم بالبكاء ، من حسن صوته ،

---

(١) حـ ٢ ص ٦١٥ ، والنصّ :

« وقد ذكر سيدنا وسندنا مولانا القطب الرّبانى والغوث الصمدانى : الشيخ عبد القادر الجيلانى – روّح الله روحه ، ورزقنا فتوحه – فى كتابه : « الغُنية الذى للسّاكين فيه المُنية » أنه روى عن عبد الله بن مسعود : أنه مرّ ذات يوم فى موضع من نواحى الكوفة ، وإذا الفسّاق قد اجتمعوا ، فى دار رجل منهم ، يشربون الخمر ، ومغنّ ، يقال له : زاذان ، كان يضرب بالعود ، ويغنى بصوت حسن ، فلما سمع ذلك عبد الله بن مسعود ، قال : ما أحسن هذا الصوت ! لوكان بقراءة كتاب الله تعالى كان أحسن !

وجعل رداءه على رأسه ، فمضى .

فسمع ذلك الصوت زاذان ، فقال : من هذا ؟

قالوا : كان عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

قال : وإيش قال ؟

قالوا : قال : ما أحسن هذا الصوت ! لوكان بقراءة كتاب الله كان أحسن .

فدخلت الهيبة فى قلبه .

فقام ، وضرب بالعود على الأرض ، فكسره ، ثم أدركه ، وجعل المنديل على عنق نفسه ، وجعل يبكى بين يدى عبد الله .

فاعتنقه عبد الله ، وجعل يبكى كلٌّ واحد منهما ، ثم قال عبد الله : كيف لا أحب من أحب الله ؟

فتاب من ضربه بالعود ، وظلّ ملازماً عبد الله حتى تعلم القرآن . . . إلخ » .

(٢) ابن الجزرى : غاية النهاية جـ ١ ص ٥١٦ .

(٣) نفس المرجع ص ٥٩٣ .

والنّص فى تفسير القرطبي حـ ١ ص ١٠ كالآتى :

رُوى عن سعيد بن المسيّب أنه سمع عمر بن عبد العزيز يؤمّ الناس ، فطرّب فى قراءته ، فأرسل إليه سعيد يقول : أصلحك الله ! إنّ الأئمة لا تقرأ هكذا .

فترك عمر التطريبَ بَعْدُ .

فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة[١] .

(ح) وقيل إن وَرْشاً – أحدَ الراويين الأشهرين لنافع – كان ، إذا قرأ على نافع ، أغشي على كثير من الجلساء ، لحسن صوته ، وجودة قراءته[٢] .

(ط) وكان عبد الرحمن بن الأسود بن أبي يزيد يتتبّع الصوت الحسن في المساجد في شهر رمضان[٣] .

(ى) ومن أخبار المجتمع الإسلامي ، في شأن حسن الصوت بالقرآن :

كان أبو بكر الآدميّ القارئ المتوفى سنة ٣٤٨ هـ من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وكان يسمَّى (صاحب الألحان) ، وقد حجّ مَرّة مع بعض العلماء ، فلما كانوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدوا رجلاً ضريراً أمامه حلقة من الناس كبيرة ، وقعد هو يقصّ ، ويروى الكذبَ من الأحاديث الموضوعة والأخبار المفتعلة ، وكان النكير عليه لا يؤثر مع ذلك الجمع الكبير ، فأشار أحدهم على أبي بكر أن يستعيذ ويقرأ ، فما هو إلّا أن ابتدأ حتى انفضّ الناس جميعاً من حول الضرير ، وأحاطوا بأبي بكر يستمعون قراءته ، وقد سُمع الضرير يقول لقائده : خذْ بيدي ، هكذا تزول النعم[٤] .

وفي سنة ٣٩٤ هـ ، خرج الأصيفر المنتفيق على الحاجّ ، وحصرهم ، وعزم على أخذهم ، وكان فيهم أبو الحسن الرفاء وأبو عبد الله الدّجاجي ، وكانا يقرآن القرآن بأصوات لم يُسمعْ مثلها ، فحضرا عند الأصيفر ، وقرآ ، فترك الحاجَّ ، وعاد ، وقال لهما : قد تركت لكما ألف ألف دينار[٥] .

وفي نفس السنة ، عزم أمير الحجّ العراقي على أن لا يسير إلى المدينة المنوّرة خوفاً من الأعراب ، فشقّ ذلك على الناس ، فوقف هذان القارئان على جادّة الطريق المؤدّية إلى المدينة ، وقرآ : « ما كان لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِّنَ ٱلْأَعْرابِ أن يَتَخَلَّفوا عن رَسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَّفْسِه . . . »[٦] (الآيات) ، فضجّ الناس بالبكاء ، وأمالت النوق

(١) ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ – الجزء الخاص بالمدة من سنة ٢٠٤ إلى سنة ٢٥٠ هـ ص ٥ .
والنووي : تهذيب الأسماء واللغات جـ ١ ص ٦٦ .

(٢) انظر : القسطلاني : لطائف الإشارات ، الورقة ٢٢ من المخطوطة ٤٩ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٥ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم جـ ٦ ، حوادث سنة ٣٤٨ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٧ ص ٢٢٤ (ط . منير الدمشقي) .

(٦) سورة التوبة / ١٢٠ .

أعناقها نحو القارئين ، فمال الناس بأجمعهم والأمير إلى المدينة النبوية . فزاروا وعادوا سالمين إلى بلادهم[١] .

ولما رجع هذان القارئان ، رتّبهما ولىّ الأمر ، مع أبى بكر بن البهلول ، وكان مقرئاً مُجيدا أيضاً ، ليصلّوا بالناس التراويح فى رمضان ، فكثر الجمع وراءهم ، لحسن تلاوتهم ، وكانوا يطيلون الصلاة جدًّا ، فلا ينصرف الناس إلاّ فى النصف الأول من الليل أو قريب النصف منه[٢] .

وكانت حلاوة الصوت بالقراءة وقوةُ التأثير بها دليل « السيرة الحسنة والتُّقى » . ذكروا فى ترجمة أحد القراء الأندلسيين ، وهو عبد الله بن محمد بن سليمان ، المعروف بابن الحاجّ أنه كان مجوّدا للقرآن ، « مع حلاوة صوته وطبعه ، وكان – إذا أحيا فى الجامع – لا يتمالك كل من سمعه من البكاء ، وما ذاك إلا لسيرة حسنة وتُقًى كان بينه وبين خالقه »[٣] .

(ك) وفى الآثار المتداولة عند المسلمين ما يؤيد احتفالهم بالصوت الحسن ، بصرف النظر عن مدى صحة هذه الآثار .

قال مالك بن دينار أحد معلّمى الغناء بالمدينة :

« بلغنا ، فى الخبر ، أن الله – تبارك وتعالى – يقيم داود – عليه السلام – يوم القيامة ، عند ساق العرش ، فيقول : يا داود ! مجِّدْنى اليوم بذلك الصوت الرخيم » .

وجاء فى الخبر : أن داود كان يخرج ، إلى صحراء بيت المقدس ، يوماً فى الأسبوع ويجتمع الخلق ، فيقرأ الزبور بالقراءة الرخيمة ، وكانت له جاريتان موصوفتان بالقوة ، فكانتا تضبطان جسده خيفة أن تنخلع أوصاله ، مما كان ينتحب ، وكانت الوحوش والطيور تجتمع لاستماع قراءته[٤] .

وعن ابن عائشة ، قال : كان لداود – عليه السلام – صوت يطرب المحموم ، ويسلّى الثكلى ، وتصغى له الوحش ، حتى يؤخذ بأعناقها وما تشعر[٥] .

وفى الخبر أيضاً – فى معرض المدح لداود – : « أنه كان حسن الصوت فى النّياحة على

---

(١) ابن الأثير : المرجع السابق ص ٢٢٥ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) انظر : ابن بشكوال : الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم جـ ١ ص ٢٥٦ .

(٤) انظر : أحمد تيمور : الموسيقى والغناء عند العرب ص ١٤ .

والأبشيهى : المستطرف من كل فن مستظرف جـ ٢ ص ١٧٧ (ط . المطبعة البهية بالقاهرة سنة ١٣٠٠ هـ) .

(٥) مجالس ثعلب جـ ١ ص ١٨ .

نفسه ، وفى تلاوة الزبور ، حتى كان يجتمع الإنس ، والجنّ ، والوحش ، والطير ، لسماع صوته . وكان يحمل من مجلسه أربعمائة جنازة ، وما يقرب من ذلك فى الأوقات »[١] .

(ل) ومن الروايات ذات الدلالة ما يزعمه بعضهم من أنّ الظباء النافرة كانت تأتى لاستماع ألحان صوت مخارق المغنّى ، فإذا سَكَتَ عادت لنفارها ، وشردت[٢] .

* * *

وفى التراث العربى الإسلامىّ : أن صاحب (الفلاحات) كان يقول :

إنّ النّحل أطربُ الحيوان كلّه على الغناء . قال الشاعر :

والطّـــير قد يسـوقه للمو ت إصغاؤه إلى حنين الصّوت[٣]

وزعموا أنّ فى البحر دوابّ ربّما زَمَرَت أصواتاً مطربة ، ولحوناً مُسْتَلَذَّة يأخذ السّامعين الغشىُ من حلاوتها ، فاعتنى بها وَضَعَةُ الألحان بأن شبّهوا بها أغانيهم ، فلم يبلغوا[٤] .

---

(١) انظر : النويرى : نهاية الأرب جـ ٤ ص ١٦٣ .

والقرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ٦ ص ١٧ .

(٢) انظر : نهاية الأرب جـ ٤ ص ٣١٨ ،

وأبو الفرج الأصفهانى : الأغانى جـ ٢١ ص ١٥٢ (ط . سامى) ، وص ٢٣٧ (ط . بولاق) .

ونص الروايه .

خرج مخارق — مع بعض إخوانه — إلى بعض المتنزهات ، فنظر إلى قوس مُذهبة مع بعض من خرج معه ، فسأله إياها . وكأنّ المسؤول ضنّ بها .

وصنحت ظباء بالقرب منه .

فقال لصاحب القوس :

أرأيتَ إن تغنيتُ صوتاً ، فعطفَتْ علىّ به خدود هذه الظباء ، أتدفع إلىّ القوس ؟

قال : نعم !

فاندفع يغنى :

ماذا تقـول الظبـاء أفـرقـة أم لقـاء ؟
أم عهدهـا بسليمى ؟ وفى البيـان شفاء
مـرّت بنـا سانحات وقـد دنـا الإمساء
فمـا أحـارت جواباً وطـال فيهـا العناء

قال : فعطفَتْ الظباءُ راجعةً إليه ، حتى وقفت بالقرب منه مصغية إلى صوته . فعجب من حضر من رجوعها ووقوفها . وناوله الرجلُ القوس ، فأخذها ، وقطع الغناء ، فعاودت الظباء نفارها ، ومضت راجعة على سننها .

(٣) الأبشيهى : المستطرف فى كل فن مستطرف ص ١٧٧ .

(٤) نفس المرجع .

٣

ومعلوم أن للقرآن أغراضاً منها : الإعلام ، والتنبيه ، والأمر ، والنهى ،والوعد ، والوعيد ، ووصف الجنة والنار ، والاحتجاج على المخالفين ، والردّ على الملحدين ، والبيان عن الرغبة والرهبة ، والخير والشرّ ، والحسن والقبيح ، ومدح الأبرار ، وذمّ الفجار . . . إلخ .

وليس طبيعيًّا ولا سديداً أن نقرأ موضوعات هذه الأغراض كلّها بأسلوب واحد .

وإذا كان الترنّم الباكى مقبولا مثلا فى آيات التوبة والاستغفار والاسترحام ، فهل هو مقبول فى آيات التحريض على القتال ؟ إن المقبول طبيعيًّا هو الترنم الذى يوائم المعنى ويظهره ، والذى لا يعجزه الأخذ بناصية الفهم ، والذى يجعل للمقروء مستقرًّا فى ذهن السّامع وقلبه ، فضلا عن أن يحمله إلى هذا المستقرّ حملاً .

واللين غير الشدة ، والأمر والنهى غير الدعاء والالتماس ، والخبر غير الاستفهام ، والإقرار غير التعجب ، والوعد غير الوعيد ، وهكذا . . .

* * *

وتلحين القرآن – بمعنى قراءته قراءة معبِّرة ، وأحياناً بمعنى قراءته على بعض أساليب الغناء – أمر قديم .

وقد تقدم كلام عن مادة (لحن) فى اللغة العربية .

ورُوِى أن النبىّ (ص) قال : « إن أحسن الناس قراءةً مَنْ إذا قرأ القرآن يتحزّن فيه[١] » .

قال الزمخشرى ، فى « أساس البلاغة » : « ومن المجاز : صوت حزين : رخيم » .

وكان الصحابى أبو هريرة يقرأ : « إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ »[٢] ، « يحزّنها شبه الرثاء »[٣] .

وممّا يعرَّف به « الترتيل » – عند المسلمين – : أنه « خفض الصوت والتحزين بالقراءة »[٤] وكأنما يقرر هذا التعريف ضمناً أن تحلية الصوت بالقرآن هى شرط أساسى فى قراءته القراءة المأمور بها .

* * *

---

(١) رواه الطبرانى فى « الكبير » عن ابن عباس . وانظر : المناوى : فيض القدير ج ١ ص ١٩١ .

(٢) يعنى سورة التكوير .

(٣) ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراءة ج ١ ص ٣٧٠ .

(٤) على الجرجانى : التعريفات ص ٥٧ .

ولعلّ وجه التحزين – فى قراءة القرآن – أن يكون كما قال الغزالى : « أن يتأمل القارئ ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره فى أوامره وزواجره ، فيحزنه لا محالة ، ويبكى »(١) .

والمسلمون يستحبّون البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن . وفى دينهم أن الأنبياء كانوا يبكون إذا تُتلى عليهم آيات الله « أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا »(٢) .

وهم يروون أن النبى قال : « أُتلوا القرآن ، وابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا »(٣) .

وفى (صحيح البخارى) ، عن عبد الله بن مسعود قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ علىّ

قال : قلت : آقرأ عليك وعليك أُنزل ؟

قال : إنى أشتهى أن أسمعه من غيرى

قال فقرأت (النساء) ، حتى إذا بلغتُ : « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا » قال : كفّ ، أو أمسكْ ، فرأيت عينيه تذرفان .

قال ابن بطال : إنما بكى صلى الله عليه وسلم ، عند تلاوته هذه الآية ، لأنه مثّل لنفسه أهوال القيامة وشدّة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بالتصديق ، وسؤاله الشفاعة لأهل الموقف ، وهو أمرٌ يحق له طول البكاء(٦) .

ويقول ابن حجر العسقلانى : والذى يظهر أنه بكى رحمة لأمته ، لأنه علم أنه لا بدّ أن يشهد عليهم بعملهم ، وعملهم قد لا يكون مستقيماً ، فقد يفضى إلى تعذيبهم . والله أعلم(٧)

وفى (صحيح البخارى) أيضاً عن أبى موسى ، قال :

---

(١) إحياء علوم الدين جـ ١ ص ٢١٩ .

(٢) سورة مريم / ٥٨ .

(٣) الجمل – سليمان بن عمر العجيلى : الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية جـ ٣ ص ٦٧ – ط . مصطفى الحلبى سنة ١٩٥٩ .

(٤) الآية ٤١ .

(٥) باب البكاء عند قراءة القرآن – كتاب فضائل القرآن .

(٦) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ص ٩٩ (ط . محبّ الدين الخطيب) .

(٧) نفس المرجع .

مرض النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فاشتدّ مرضه ، فقال ، مروا أبا بكر فليصلّ بالناس ، فقالت عائشة : إنه رجل رقيق القلب ، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس . . . . إلخ[١]

وفى رواية ، عن عائشة نفسها ، أنها قالت : . . . إنّ أبا بكر إذا قام فى مقامك لم يُسمع الناس من البكاء ، فمرْ عمر فليصلّ للناس . . . إلخ[٢] .

وفى رواية أخرى ، أنّ عائشة قالت : إنّ أبا بكر رجل رقيق ، إذا قرأ غلبه البكاء[٣] .

ومن المأثورات الإسلامية : أن ابن عباس قال : إذا قرأتم سجدة فليصلّ »[٤] فلا تعجلوا بالسّجود حتى تبكوا ، فإن لم تبك عينُ أحدكم فليبك قلبه[٥] ،

وأن قارئاً صالحاً ، هو صالح المزنى ، قال : قرأت القرآن على رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – فى المنام ، فقال لى : يا صالح ! هذه القراءة ، فأين البكاء[٦] ؟

على أنّ فيض دموع المسلمين واهتزاز قلوبهم عند سماع القرآن ليس أمراً عجباً : فقد أثبت ربّنا سبحانه لكتابه خصيصة ليست لغيره من الكتب : « اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ . . »[٧] .

وفى عهد التّابعين ، كان يحدث لبعضهم عند سماع القرآن الصَّعْقُ والغَشْى ونحوهما . ويقول ابن مفلح فى هذا الباب : « وأما الصَّعْقُ والغَشْى ونحو ذلك فَحَدَثَ فى التّابعين لقوة الوارد وضعف المورود عليه . والصحابة – لقوتهم وكمالهم – لم يحدث فيهم[٨] » .

ويسوق ابن مفلح هنا أخبار ثلاثة من أعيان التابعين ؛

(أولهم) الإمام الربانى الربيع بن خيثم ، وقد سمع عبد الله بن مسعود يقرأ : « إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا »[٩] ، فصعق ، وكان قبل الظهر فلم يفق إلى الليل .

---

(١) كتاب الأذان – باب أهل العلم والفضل أحقّ بالإمامة ، وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ٢ ص ١٦٤ وما بعدها (ط . محب الدين الخطيب) .

(٢) المرجع السابق . (٣) المرجع السابق .

(٤) سورة الإسراء / من الآية ١٠٨ .

(٥) الجمل : المرجع السابق .

(٦) نفس المرجع .

(٧) سورة الزمر / ٢٣ .

(٨) الآداب الشرعية والمنح المرعية جـ ٢ ص ٣٣٠ .

(٩) سورة الفرقان / ١٢ .

(وثانيهم) الإمام القاضى التابعى المتوسط زرارة ، قرأ فى الصلاة ، فلما بلغ : « فإذا نُقِر فى ٱلنَّاقُورَ »[١] شهق فمات .

(وثالثهم) الإمام علماً وعَمَلاً شيخ الإمام أحمد يحيى بن القطان . كان هذا الحال يحصل له كثيراً ، فلا يقدر أن يدفعه[٢]

* * *

ويقول ابن قتيبة[٣] :

« أول من قرأ بالألحان : عبيدالله بن أبى بكرة[٤] ، وكانت قراءته حَزَنا – أى فيها رقة صوت – ليست على شىء من ألحان الغِناء ولا الحُداء .

فورث ذلك عنه ابن ابنه : عبيد الله بن عمر بن عبيد الله .

وأخذ ذلك عنه الإباضى .

وأخذ سعيد العلاف وأخوه عن الإباضى قراءة ابن عمر .

وكان هرون الرشيد مُعْجَباً بقراءةِ سعيد العلاّف ، وكان يُحظيه ويعطيه ، ويعرف بقارئ أمير المؤمنين .

وكان القراء كلهم : الهيثم ، وأبان ، وابن أعين ، وغيرهمُ يُدخلون فى القراءة من ألحان الغناء والحداء والرهبانية :

فمنهم من كان يدس الشَّىء من ذلك دسًّا رفيقاً .

ومنهم من كان يجهر بذلك ، فمن ذلك قراءة الهيثم : « أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ »[٥] ، سَلَخَه من صوت الغناء كهيئة :

أمّا القطاة فإنّى سوف أنعتها نعتاً يوافق نعتى بعض ما فيها[٦]

---

(١) سورة المدثر / ٨ .

(٢) ابن مفلح : المرجع السابق .

(٣) المعارف ص ٥٣٣ .

(٤) جاء فى (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى) ، فى وفيات سنة ٨٠ هـ :

« عبيد الله بن أبى بكرة ، وكنيته أبو حاتم ، من الطبقة الثالثة من التّابعين ، من أهل البصرة ، وأمّه هَوْلَة بنت عُلَيْط من بنى عجل ، وهو أوّل من قرأ القرآن بالألحان ، وولِّىَ قضاء البصرة ، وأوفده الحَجاج على الخليفة عبد الملك ، فسأله أن يولّى الحَجاج خراسان وسجستان » (جـ ١ ص ٢٠٢) .

(٥) سورة الكهف / ٨٠ .

(٦) هذا مطلع قصيدة تُنسب لعُلَيْل بن الحَجّاج العجيمىّ . وانظر القصيدة فى (ذيل الأمالى والنوادر لأبى على القالى ص ٢٠٩) .

وكان ابن أعين يُدخل الشيء ويخفيه ، حتى كان الترمذى محمد بن سعد ، فقرأ على الأغانى المولدة المحدثة ، سلخها فى القراءة بأعيانها [١] » .

* * *

ويقول الهيثم العلاّف [٢] : قرأت عند المنصور ، فقال : ما لكم – أهل البصرة – أقرأ البلاد ؟

فقلت :

إن أهل الحجاز قرأوا على النَّصْب [٣] ؛

وأهل الشام قرأوا على قراءة الرهبان ؛

وأهل الكوفة قرأوا على قراءة النَّبَط ؛

وأهل البصرة قرأوا على الخسروانى [٤] : غناء فارس !

* * *

وإخوان الصّفاء يتكلمون عن أسباب استخراج الحكماء صناعة الموسيقى ، فيشيرون إلى أنّ الناس كانوا يستدفعون المناحس والبلاء بالدعاء والبكاء ، وكانوا يستعملون – عند الضراعة والقراءة – « ألحاناً من الموسيقى تسمّى : (المحزن) ، وهى التى ترقّق القلوب إذا سُمِعت ، وتُبكى العيون ، وتُكسب النفوس الندامة على سالف الذنوب ، وإخلاص السّرائر ، وإصلاح الضمائر » [٥] .

ويقول إخوان الصفاء : « فأما استعمال أصحاب النواميس الإلهية لها ، (أى للموسيقى) فى الهياكل ، وبيوت العبادات ، وعند القراءة فى الصلوات ، وعند القرابين والدعاء ، والتضرع والبكاء ، كما كان يفعل داود النبى – عليه السلام – عند قراءة مزاميره . وكما يفعل النصارى فى كنائسهم ، والمسلمون فى مساجدهم ، من طيّب النغمة ، ولحن القراءة ، فإنّ كلّ ذلك لرقة القلوب ، ولخضوع النفوس ، ولخشوعها ، والانقياد لأوامر الله – تعالى –

---

(١) المعارف ص ٥٣٣ .

(٢) انظر : محمود عرنوس – مقال بمجلة لواء الإسلام ع . رمضان ١٣٦٨ (يونية ١٩٤٨) .

(٣) تقول : نَصَبَ نَصْباً : غنّى غناء أرقّ من الحداء ، وفى الحديث : « لو نصبت لنا نصْب العرب » (الزمخشرى : أساس البلاغة ، مادة : ن ص ب) .

(٤) منسوب إلى خُسرو : شاه من الأكاسرة .

(٥) رسائل إخوان الصفا – المجلد الأول ص ١٨٦ و١٨٧ .

ونواهيه ، والتوبة إليه من الذنوب ، والرجوع إلى الله – سبحانه وتعالى – باستعمال النواميس كما رسمت[١] . »

والرَّحّالة ابن جبير يروى فى رحلته[٢] أنه رأى القراء « بين أيدى الوعاظ ، يأتون بألحان تكسب الجماد طرباً وأريحية ، كأنها المزامير الداودية » .

والقسطلانى يقول : « فإذا جليت آيات القرآن العزيز بالآيات الطيبة ، مع مراعاة الترتيل ، على الأسماع ، تلقتها القلوب ، وأقبلت عليها النفوس ، وإنما أثمر ذلك تدبّر آياته ، والتفكّر فى غوامضه ، والتبحر فى مقاصده ، ليحصل له – حينئذ – الامتثال لأوامره ، والانتهاء عن مناهيه ، والرغبة فى وعده ، والرهبة من وعيده ، والطمع فى ترغيبه »[٣] .

وقد بكى الطبيب البصرى ما سرجويه – وهو يهودى – من قراءة أبى الخوخ ، فقيل له : كيف بكيت من كتاب الله ، ولا تصدّق به ؟ قال : إنما أبكانى الشجى[٤] .

٤

وللقرآن موسيقاه الخاصّة التى لا يفوتُ إدْراكها أحداً من قرائه . ومن أنواع بدائعه ما يمكن أن نرى فيه – ضِمْناً – دلائل موسيقية نابعة منه ، وليست مُسْتَجْلَبَةً إليه .

ومن هذه الأنواع[٥] :

١ – الانسجام :

وهو كما يعبّر ابن أبى الإصبع – « أن يأتى الكلام متحدّراً كتحدّر الماء المنسجم ، بسهولة سبك ، وعذوبة ألفاظ ، وسلامة تأليف ، حتى يكون للجملة من المنثور ، وللبيت

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ١٨٦ .

(٢) ص ١٤٠ .

(٣) لطائف الإشارات ، الورقتان ٥٤ و ٥٥ – المخطوطة رقم ٤٩ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٤) انظر : الجاحظ : الحيوان جـ ٤ ص ١٩٢ .

(٥) كلها اخترناها من :

(أ) كتاب « الإتقان » للسيوطى : النوع الثامن والخمسون ، فى بدائع القرآن جـ ٢ ص ٨٣ – ٩٦ ، والنوع التاسع والخمسون ، فى فواصل الآى جـ ٢ ص ٩٦ – ١٠٥ .

(ب) كتاب « بديع القرآن » لابن أبى الأصبع المصرى ص ٢٧ و٢٨ و٣١ و٣٦ و٧٣ و٩٠ و٩١ و٩٦ و٩٩ و١٠١ و١٠٢ و١٠٧ و١٠٨ و١٦٤ و١٦٦ و١٦٧ .

من الموزون وقع فى النفوس وتأثير فى القلوب . » ، ويكاد – كما يقول السيوطى – « لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة » .

ويقول السيوطى أيضاً :

« وإذا قوى الانسجام فى النثر جاءت قراءته موزونة بلا قصد . . ومن ذلك ما وقع فى القرآن موزونا :

فمنه : فى بحر الطويل : « فمَنْ شَآءَ فَلْيُؤْمِنْ ومَنْ شَآءَ فَلْيَكْفُرْ »(١) .

ومن المديد : « وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بأَعْيُنِنَا »(٢) .

ومن البسيط : « فأَصْبَحُوا لا يُرَى إلاَّ مَسَاكِنُهُمْ »(٣) .

ومن الوافر : « وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ »(٤) .

ومن الكامل : « وَاللَّهُ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ إِلَى صِرَطٍ مُسْتَقِيمٍ »(٥) .

ومن الهزج : « فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيراً »(٦) .

ومن الرَّجَز : « وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً »(٧) .

ومن الرَّمَل : « وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ »(٨) .

ومن السريع : « أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ »(٩) .

ومن المنسرح : « إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ »(١٠) .

ومن الخفيف : « لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً »(١١) .

ومن المضارع : « يَوْمَ التَّنَادِ ٥ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ »(١٢) .

ومن المقتضب : « فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ »(١٣) .

ومن المجتث : « نَبِّئْ عِبَادِىَ أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ »(١٤) .

ومن المتقارب : « وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ »(١٥)

---

(١) سورة الكهف / ٢٩ .
(٢) سورة هود / ٣٧ .
(٣) سورة الأحقاف / ٢٥ .
(٤) سورة التوبة / ١٤ .
(٥) سورة النور / ٤٦ .
(٦) سورة يوسف / ٩٣ .
(٧) سورة الإنسان / ١٤ .
(٨) سورة سبأ / ١٣ .
(٩) سورة البقرة / ٥٦ .
(١٠) سورة الإنسان / ٢ .
(١١) سورة النساء / ٧٨ .
(١٢) سورة غافر / ٣٢ و٣٣ .
(١٣) سورة البقرة / ١٠ .
(١٤) سورة الحجر / ٤٩ .
(١٥) سورة الأعراف / ١٨٣ .

ولعلّه من الواضح جداً أنّ وقوع بعض الآيات القرآنية موزونةً نتيجة قوّة الانسجام فيها لا يعني أنّ القرآن يتضمّن شعراً ، كما ادّعى بعض أعداء الإسلام منذ قديم : « وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ[1] » .

٢ – ائتلاف اللفظ مع اللفظ :

فُيقْرن الغريبُ بمثله ، والمتداوَلُ بمثله ، رعايةً لحسن الجوار والمناسبة .

٣ – ائتلاف اللفظ مع المعنى :

أى أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد ، فإن كان فخماً كانت ألفاظه مفخّمة ، أو جزلا فجزلة ، أو غريباً فغريبة ، أو متداولا فمتداولة ، أو متوسطا بين الغرابة والاستعمال فكذلك .

٤ – الإبدال :

وهو إقامة بعض الحروف مقام بعض . ومن أمثلته : (انْفَلَقَ) ، كانت (انفرق) ، ولهذا قال : « فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ . . . »[2] ، فالراء واللام متتابعان . ومن الأمثلة أيضاً : « إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ »[3] ، أى الخيل .

٥ – التفويف :

وهو إتيان المتكلم بمعانٍ شتى من المدح ، والوصف ، وغير ذلك من الفنون ، كل جملة منفصلة عن أختها ، مع تساوى الجمل فى الزِّنة ، ومن أمثلته : « ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ »[4] .

٦ – التعديد :

وهو إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد ، كقوله : « هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ »[5] .

وقوله : « مُسْلِمَـٰتٍ مُّؤْمِنَـٰتٍ قَـٰنِتَـٰتٍ تَـٰٓئِبَـٰتٍ عَـٰبِدَٰتٍ سَـٰٓئِحَـٰتٍ ثَيِّبَـٰتٍ وَأَبْكَارًا »[6] .

وقوله : « ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ »[7]

(١) سورة يس ٦٩ ، ٧٠ .
(٢) سورة الشعراء / ٦٣ .
(٣) سورة ص / ٣٢ .
(٤) سورة الشعراء / ٧٨ و٧٩ و٨٠ و٨١ .
(٥) سورة الحشر / ٢٣ .
(٦) سورة التحريم / ٢٤ .
(٧) سورة التوبة / ١١٢ .

٧ - المضارع :

وهو أنْ يختلف اللفظان بحرف مقارب فى المخرج ، سواء كان فى الأول ، أو الوسط ، أو الآخر ، كقوله : « وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ »(١)

٨ - حُسْنُ النَّسَقِ :

وهو أن يأتى المتكلم بكلمات متتاليات معطوفات متلاحمات تلاحماً سلماً مستحسناً ، ولو أن كل جملة منه قائمة بنفسها . ومنه قوله : « وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِى مَاءَكِ ، وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِىَ الْأَمْرُ ، وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢) » .

٩ - المشاكلة :

وهى ذكر الشىء بلفظ غيره ، لوقوعه فى صحبته تحقيقاً أو تقديراً ، فالأول كقوله : « تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآأَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ »(٣) ، « وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ »(٤) ، « وَجَزَؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا »(٥) . « فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ »(٦) . « وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ »(٧) . « فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ »(٨) . « إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ »(٩) .

١٠ - التجنيس :

سواء كان جناس مزاوجة . أو جناس مناسبة ، وسواء كان لفظيًّا ، أو معنويًّا .

١١ - الطباق : بنوعيه : الحقيقى والمجازى .

١٢ - ردّ الأعجاز على الصدور

١٣ - التسجيع وصحة المقابلات

١٤ - التوشيح :

وهو أن يكون فى أول الكلام معنى إذا عُلِمَ عُلِمَتْ منه القافية إن كان شعراً ، أو السجع إن كان نثراً(١٠) .

---

(١) سورة الأنعام / ٢٦
(٢) سورة هود / ٤٤
(٣) سورة المائدة / ١١٦
(٤) سورة آل عمران / ٥٤
(٥) سورة الشورى / ٤٠
(٦) سورة البقرة / ١٩٤
(٧) سورة الجاثية / ٣٤
(٨) سورة التوبة / ٧٩
(٩) سورة البقرة / ١٤ و ١٥
(١٠) ابن أبى الأصبع المصرى : بديع القرآن ص ٩٠ و ٩١

١٥ – الترديد :

وهو أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ، ثم يردّها بعينها ، ويعلقها بمعنى آخر[١] ، كقوله : « حَتَّى نُوَفَّى مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ، ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ . . »[٢] .

١٦ – التعطف :

وهو كالترديد فى إعادة اللفظة بعينها فى الجملة من الكلام ، أو البيت من الشعر . والفرقُ بينهما قرب الكلمتين من الترديد ، وكونُهما فى أحد طرفى الجملة ، أو فى كليهما ، وهما – فى التعطف – مفترقتان ، كل لفظة منهما فى طرف من الكلام[٣] ، ومنه قوله تعالى : « قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ »[٤] .

١٧ – التسميط :

وهو جعل مقاطع أجزاء جملة النثر مسجعة على رويّ يخالف رويَّ قرينته . واشتقاقه من السمط الذى هو خيط العِقْد ، لتنزيل سجعات الأجزاء بمنزلة حَبِّ العِقد ، وقافية البيت ، أو سجعة النثر ، أو فاصلة الآية بمنزلة السمط الذى يجمع حَبَّ العِقد ويربطه[٥] .

١٨ – المماثلة :

أى تماثل ألفاظ الكلام كلها أو بعضها فى الزِّنَةِ دون التقفية[٦] ، كقوله : « وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ، وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ، ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ، إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ، . . »[٧] .

* * *

ومما يوفّر للقرآن موسيقاه الذاتية أنه هو نفسه يوفّر الانسجام بين ألفاظه وأصواته ، من طرق كثيرة أخرى ، منها :

---

(١) نفس المرجع ص ٩٦ .
(٢) سورة الأنعام / ١٢٤ .
(٣) ابن أبى الإصبع المصرى : بديع القرآن ص ٩٧ .
(٤) سورة التوبة / ٥٢ .
(٥) ابن أبى الإصبع المصرى ص ١٠١ و١٠٢ .
(٦) نفس المرجع ص ١٠٧ .
(٧) سورة الطارق / ١ و٢ و٣ و٤ .

(ا) حذف ياء المنقوص المعرّف ، نحو : « ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ »[١] ، « يَوْمَ ٱلتَّنَادِ »[٢].

(ب) حذف ياء الفعل غير المجزوم ، نحو : « وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ »[٣]

(حـ) حذف ياء الإضافة ، نحو : « فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ »[٤] ، « فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ »[٥] .

(د) زيادة حرف المدّ ، نحو : « ٱلظُّنُونَا – ٱلرَّسُولَا – ٱلسَّبِيلَا »[٦] .

(هـ) إبقاؤه مع الجازم ، نحو : « لَا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى »[٧] . « سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ »[٨] ، على القول بأنه نهى .

(و) صرف مالا ينصرف ، نحو : « قَوَارِيرَا ۝ قَوَارِيرَا »[٩]

(ز) اختيار أغرب اللفظين ، نحو : « قِسْمَةٌ ضِيزَى »[١٠] ، ولم يقل : جائرة ، ونحو : « لَيُنْبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ »[١١] ، ولم يقل : « جهنم » أو « النار » . وفى سورة المدّثر : « سَأُصْلِيهِ سَقَرَ »[١٢] ، وفى المعارج : « إِنَّهَا لَظَىٰ »[١٣] وفى سورة القارعة : « فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ »[١٤] ، وذلك لمراعاة فواصل كل سورة .

(ح) الاستغناء بالإفراد عن التثنية ، نحو : « فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ »[١٥].

(ط) إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض ، نحو : « إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ »[١٦]، أوثر على « عجيب » مراعاة للفاصلة .

(ى) العدول عن صيغة الماضى إلى صيغة الاستقبال ، نحو : « فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ »[١٧]، والأصل : قتلتم .

(ك) تغيير بِنْية الكلمة ، نحو : « طُورِ سِينِينَ »[١٨]، والأصل : سينا .

* * *

---

(١) سورة الرعد / ٩ .
(٢) سورة غافر / ٣٢ .
(٣) سورة الفجر / ٤ .
(٤) سورة القمر / ٣٠
(٥) سورة غافر / ٥ .
(٦) سورة الأحزاب / ١٠ و٦٦ و٦٧ .
(٧) سورة طه / ٧٧ .
(٨) سورة الأعلى / ٦ .
(٩) سورة الإنسان / ١٥ و١٦ .
(١٠) سورة النجم / ٢٢
(١١) سورة الهُمزة / ٤ .
(١٢) الآية ٢٦ .
(١٣) الآية ١٥ .
(١٤) الآية ٩ .
(١٥) سورة طه / ١١٧ .
(١٦) سورة ص / ٥ .
(١٧) سورة البقرة / ٨٧ .
(١٨) سورة التين / ٢ .

وقد كثر فى القرآن ختم الفواصل بحروف المدّ واللين وإلحاق النون . يقول السيوطى : « وحكمتُه : وجود التمكن من التطريب بذلك ، كما قال سيبويه : إنهم إذا ترنموا ، يُلحِقون الألف والياء والنون ، لأنهم أرادوا مدّ الصوت ، ويتركون ذلك إذا لم يترنّموا . وجاء القرآن على أسهل موقف ، وأعذب مقطع »(١) .

* * *

والموسيقى – فى عبارات القرآن نساير المعانى ، فهو – بإطلاق – فى التقريع ، والإعذار ، والإنذار ، والتحذير ، والتخويف . . . ذو ألفاظ شديدة قابضة مزعجة ، فإذا بشّر ، ووعد ، وحمد ، فألفاظه – بإطلاق أيضاً – باسطة بهيجة مشوّقة .

وقد قيل إن هذه الموسيقية ، فى الأصوات القرآنية « تلعب – فى تكييف عقل السّامع ، وتهيئته لتلقّى الدعوة – دوراً هو فوق التعريف ، وإنّ الجمال الفنّى فى القرآن هو رأس ما جذب العرب إلى الإسلام(٢) » .

وعندنا أن الموسيقية فى القرآن – وتلك كلّها من أدلّتها – أوضح من أن تجحد . وعندنا أيضاً أنه ليس يمسّ قداسة القرآن وعظمته أن نقول إنه تحرّى الموسيقية ، فذلك – فى الواقع – من دلائل إعجازه ، سيما أن موسيقاه غير الموسيقى فيما يكتب البشر من نثر فنّى قد يعمد إليه بعضهم ، فيضحّى من أجله – قليلا أو كثيراً – بدقّة المعنى المراد .

٥

وقد اختلف الحكم على القراءة بالألحان المقتبسة من الغناء . وهذا بعض ما رُوى ضدها :

(١) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال – وقد أوردنا هذا الحديث قبلا – : « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإيّاكم ولحون أهل الفسق ، ولحون أهل الكتابين ، وسيجىء بعدى أقوام يرجّعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح . . » إلى آخر الحديث .

---

(١) الإتقان جـ ٢ ص ١٠٥ . وانظر : الخفاجى : سرّ الفصاحة ص ١٦٥ و١٦٦ . وانظر – فى ختم مقاطع الفواصل بحروف المدّ واللين ، وفى مبنى الفواصل على الوقف – : الزركشى : البرهان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٦٨ و٦٩ و ٧٠ .

(٢) Gibb (H. A. R.) : Modern Trends in Islam, P. P. 4 A. 5.

(ب) وأنكر التطريب أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء قارئ ، فقرأ وطرّب ، وكان رفيع الصوت ، فكشف أنس عن وجهه ، وكان على وجهه خرقة سوداء ، فقال له : يا هذا ! ما هكذا كانوا يفعلون . وكان — إذا رأى شيئاً ينكره — كشف الخرقة عن وجهه[١] .

(جـ) وفى سنن الدارمى : أنهم كانوا يرون هذه الألحان فى القراءة محدثة[٢]

(د) وتمنى الصحابىّ أبو هريرة الموت مخافة أن تدركه سِتَّةٌ عدَّ منها أن يتخذ الناس القرآن مزامير[٣] .

(هـ) وممن كره القراءة بالألحان من التابعين : سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، والقاسم بن محمد ، والحسن البصرى ، وابن سيرين ، وإبراهيم النخعى[٤] .

(و) وممن كرهها من تابعى التابعين : سفيان بن عيينة ، ومالك بن أنس[٥] .

وروى الربيع الجيزىّ عن الشافعى أن قراءة القرآن بالألحان مكروهة[٦] .

وذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه سأل أباه عن القرآن بألحان ، فكرهها ، وقال : لا ، إلا أن يكون طبع الرجل ، مثل قراءة أبى موسى حَدْراً[٧] .

لكن أحمد سُئل : أيُهجر من سمع قراءة الألحان ؟ فأجاب : لا[٨]

---

(١) أنظر : ابن الحاج : المدخل جـ ١ ص ٧٤ و٧٥ .

(٢) سنن الدارمى جـ ٢ ص ٤٧٤ .

(٣) طبقات ابن سعد ، القسم الثانى ص ٦١ (ط . ليدن ١٣٢٥ هـ) .

(٤) انظر : ابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٤ .

وابن الحاج : المدخل جـ ١ ص ٧٤ و٧٥ .

وذكر القرطبىّ فى تفسيره جـ ١ ص ١٠ : أنه رُوى عن القاسم بن محمد أنّ رجلاً قرأ فى مسجد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فطرّب ، فأنكر ذلك القاسم ، وقال : يقول الله عزّ وجلّ : « وَإِنَّهُ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لا يأتيه البَٰطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ » (سورة فصّلت / ٤١ و٤٢) .

(٥) انظر : ابن قيم الجوزية : المرجع السابق ص ١٣٧ .

وابن خلدون : المقدمة جـ ٣ ص ٩٦٨ و٩٦٨ .

(٦) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٢ ص ١٣٢ (ط . الطناحى والحلو) .

(٧) كتاب العلل ومعرفة الرجال ، لأحمد بن حنبل جـ ١ ص ٣٧٣ .

(٨) أنظر : ابن مفلح : الآداب الشرعية والمنح المرعية جـ ٢ ص ٣٢٦ .

وقد اختتم الماوردى كتابه : (أدب الوزير المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك) بتحذير بناه على حديث نبوىّ هو – كما يقول الماوردى – « أوعظ نذير ، وأبلغ تخويف وتحذير »[١] ، وهو حديث رواه عبد الله بن عبيد ، عن عمير الليثى ، عن حذيفة بن اليمان ، عن النبى – صلى الله عليه وسلم – ، وفيه تحديد لأشراط السّاعة ، وإنذار بتوقّع نزول البلاء بالأمة ، إذا وقع الناس فى منكرات كبيرة ، كإماتة الصّلاة ، وإضاعة الأمانة ، والاستخفاف بالدماء ، وجاء بين هذه الأشراط أن يتخذ الناس القرآن مزامير[٢] .

وابن بطة العكبرى المتوفى بالعراق سنة ٣٨٧ هـ يرى أن « من البدع قراءة القرآن والأذان بالألحان ، وتشبيهها بالغناء »[٣] .

وابن الكيّال الدمشقّى المتوفّى سنة ٩٢٩هـ له كتاب « الأنجم الزواهر فى تحريم القراءة بلحون أهل الفسق والكبائر »[٤] .

(ز) وحتى ابن خلدون المؤرخ الاجتماعى يرى « أن صناعة الغناء مباينة للقرآن بكل وجه ، ومن ثم لا يمكن اجتماع التلحين والأداء المعتبر فى القرآن »[٥] ويرى « الأخذ بالتلحين البسيط الذى يهتدى إليه صاحب المضمار ، فيردّد أصواته ترديداً ، على نسب يدركها العالم بالغناء وغيره »[٦] ، ويرى أن « القرآن محل خشوع ، يذكّر الموت وما بعده ، وليس مقام التذاذ بإدراك الحسن من الأصوات »[٧] .

(ح) ونذكر هنا رواية تاريخية لافتة هى أن الحارث بن مسكين الذى تولى قضاء قضاة مصر ، فى سنة ٢٣٧ هـ ، كان يضرب الذين يقرءون بالألحان[٨]

---

(١) ص ٥٨ (ط ١٩٢٩ ، بنفقة مكتبة الخانجى) .

(٢) نفس المرجع .

(٣) انظر : كتابه : الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص ٨٩ .

(٤) انظر : إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم : من إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون ص ١٣١ .

(٥) المقدمة – فصل فى صناعة الغناء – ج ٣ ص ٩٦٨ (ط . على عبد الواحد وافى) .

(٦) نفس المرجع .

(٧) نفس المرجع .

(٨) انظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٨٨ و ٢٨٩ .

وقد قال القرطبي المفسّر عن القراءة المسرفة فى المخالفة إلى الحدّ الذى تضيع عنده معانى القرآن إنّها حرام باتفاق ، وحَمَل فى شدّة على مرتكبيها بالديار المصريّة « الذين يقرءون أمام الملوك والجنائز ، ويأخذون على ذلك الأجور والجوائز . ضلّ سعيهم ! وخاب عملهم ! فيستحلّون بذلك تغيير كتاب الله ، ويهوّنون على أنفسهم الاجتراء على الله عَزّ وجلّ بأن يزيدوا فى تنزيله ما ليس فيه ، جهلا بدينهم ، ومروقاً عن سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ورفضاً لسير الصّالحين فيه من سلفهم ، ونزوعاً إلى ما يزّين لهم الشيطان من أعمالهم . وهم يحسبون أنهم يحسنون صُنعاً . . . إلخ »[1]

ويبدو أنّ هذه القراءة ظلّت – بعد أيام القرطبيّ – حينا على حالها ، فقد ضرب ابن الحاج المتوفّى بعد القرطبي بستّ وستين سنة مثلا للقراءة المحرّمة الكثيرة ترديد الأصوات والترجيعات ، والتى تنبهم معها معانى القرآن « ما يفعله القراء بالديار المصرّية الذين يقرءون أمام الملوك والجنائز ويأخذون عليها الأجور والجوائز »[2] .

(ط) ومن الملاحظات التى نظنها ذات مغزى فى هذا الباب أنّ بعض الفقهاء – مع إجازتهم قراءة القرآن بالتلحين بشرط عدم الإفراط فى التمطيط والمدّ وإشباع الحركات – يختارون كتاب الشهادات موضعاً للحديث عن أصحاب القراءات التلحينية ، وذلك عند الكلام عمّن تُردّ شهادتهم من ساقطى المروءة وأهل اللعب والملاهى ، فكأنّ هؤلاء الفقهاء يجعلون تلحين القرآن بغير شروطه مُسقطاً للعدالة ، وفيه سخف ودناءة ، فمَنْ فَعَله أو رضِيَه لا تحصل الثقة بأقواله ، ومن ثَمَّ فهو مردود الشهادة ، حكمه حكم لاعب الميسر والنّرد ، والمتمسخر ، والرقاص ، واللاعب بالحمام يطيّرها ، ومن يدخل الحمّام بغير مئزر ، ومن يخاطب أهل بيته – بحضرة الناس – الخطاب الفاحش ، والشاعر المسرف الكذّاب ، والطفيليّ الذى يأتى طعام الناس من غير دعوة . . . ونحو هؤلاء[3] .

* * *

فأما الذين أجازوا الألحان فى القرآن ، فقد عضّدوا رأيهم :

(١) بما سبق أن ذكرناه من أن عمر بن الخطاب كان يقول لأبى موسى الأشعرى :

---

(١) أنظر : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ١٦ و١٧ ، والنووى : التذكار فى أفضل الأذكار ص ١٢٠ .

(٢) المدخل جـ ١ ص ٥٠ و٥١ .

(٣) أنظر مثلاً : موفق الدين بن قدامة : المغنى على مختصر الخرقى جـ ١٢ ص ٤٦ – ٤٩ .

وابن قدامة المقدسى : الشرح الكبير المسمّى بالشافى شرح المقنع لموفق الدين بن قدامة (مطبوع مع المغنى) جـ ١٢ ص ٥٥ – ٥٧ .

ذكّرنا ربّنا ، فيقرأ أبو موسى ، و (يتلاحن) ، وأن عمر كان يقول : من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبي موسى فليفعل[١] .

(ب) ورووا أن ابن عباس وابن مسعود أجازا هذه القراءة[٢] .

(جـ) ورووا أن أبا حنيفة وأصحابه كانوا يستمعون القرآن بالألحان .

كما رووا أن الشافعي رضي ، مع بعض أصحابه ، يستمعون القرآن بالألحان .

وقالوا إن هذا أيضاً هو اختيار ابن جرير الطبري[٣] .

(د) وروى عن ابن جريج أنه قال : سألت « عطاء » عن قراءة القرآن على ألحان الغناء والحداء ، قال : وما بأس ذلك يابن أخي ؟[٤]

(هـ) وقالوا – في الردّ على محرّمي هذه القراءة : – « إنّ المحرّم لا بدّ أن يشتمل على مفسدة راجحة أو خالصة ، وقراءة التطريب والألحان لا تتضمن شيئاً من ذلك ، فإنها لا تخرج الكلام عن وضعه ، ولا تحول بين السّامع وبين فهمه »[٥] .

* * *

وقد انتهى صاحب « زاد المعاد » – في أمر التطريب والتّغني بالقرآن – بحكمٍ نُقرّه عليه ، هو تحسينهما إذا اقتضتهما الطبيعة ، وسَمَحتْ بهما ، من غير تكلف ولا تمرين وتعليم ، وأن النفوس تقبل هذا ، وتستحليه ، وأن هذا هو الذي كان السّلف يفعلونه ويستمعونه ، وهو الذي يتأثر به السّامع والتالي .

أمّا ما كان – من ذلك – يعلّم بأنواع الألحان البسيطة والمركبة ، على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة ، ولا يحصّل إلا بالتعليم والتكلف ، فهذه هي التي كرهها السّلف ، وأنكروا على من قرأ بها[٦] .

* * *

وسماع النساء للرجال ، إذ يقرءون القرآن ، بصوت حلو ناعم مشوّق ، لا حَرَجَ منه غالباً في الإسلام ، فعن أنس أن أبا موسى الأشعري قام ليلة يصلّي ، فسمع أزواجُ النبي – صلى الله عليه وسلّم – وكان حلو الصّوت ، فَقُمن يسمعن ، فلما أصبح ، قيل له : إن النساء كنّ يسمعن ! فقال : لو علمت لحبّرتُكنّ تحبيراً ، ولشوّقتُكنّ تشويقاً ![٧]

---

(١) انظر : ابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٥ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع .

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٦ ص ٩ .

(٥) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٦ .

(٦) نفس المرجع ص ١٣٧ و١٣٨ .

(٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، المجلد ٢ ص ٣٤٤ و٣٤٥ (ط . بيروت) .

وقد سئل المرحوم عباس العقاد رأيه فى أثر القراءة بالألحان فيمن قد يثير الصوت الجميل نزواتهم ، فقال ، بعد أن حسّن قراءة الترتيل والتفصيل : « . . . ولكن ، ينبغى أن نذكر أن القارئ غير مسؤول عن عوج الطباع واختلال الأمزجة ، فإذا بلغ من سامعة – مثلا – أنها لا تصغى إلى صوت جميل إلا اقترن عندها بنزوات النفس ، وبلغ من سامع مثل ذلك ، كلما استمع إلى قارئة محسنة ، فالوزر – فى ذلك – على الطبع الأعوج ، لا على الصوت الجميل . ومنع المعوّج أولى من منع القراءة التى لا ذنب لها إلا أنها مقرونة بالجمال . . . والحلال بيّن ، والحرام بيّن ، والدين يُسْر ، وليس بعسر ، قبل كل شىء ، وبعد كل شىء[1] . »

* * *

وقد أحب الناس للمصحف المكتوب أن يكون جميل الخطّ ، وبذلت البلاد الإسلامية فى هذا – على مدى القرون – جهوداً باهرة ضخمة . وهذا الجمال هو من بواعث القراءة وميسّراتها[2] .

ولا شك أن الحاجة إلى تجميل القراءة ليست أدنى من الحاجة إلى تجميل الكتابة ، ولا شك أيضاً أن التجميلين يتوافيان على غاية واحدة .

٦

بيد أنه تردّد أن بعض الناس – وخاصّة الموسيقيين – يرغبون فى تلحين القرآن تلحيناً تصحبه الموسيقى :

---

(١) جريدة الأخبار فى ٨ يونية ١٩٥٩ .

(٢) قال أبو الفتح كشاجم ، يصف أجزاء من القرآن ، أبياتاً جميلة منها :

من يتب خشية العقـــاب فإنى تبت أنـــاً بهـــذه الأجزاء
حين جاءت تروقنى باعتدال من قـــدود وصبغـــة واستواء
(سبعة) أشبهت لى السبعة الأنجم ذات الأنوار والأضـــــواء
... ...
وهى مشكولة بعـــدّة أشكا لٍ ومقـــروءة على أنحـــاء
فإذا شئت كان (حمزة) فيهـا وإذا شئت كان فيها (الكسائى)
... ...
... ...
فحقيق علىّ أن أقـــرأ الـ ـقـرآن فيهنّ مُصبحى ومســـائى

(انظر : الحصرى القيروانى : زهر الآداب وثمر الألباب جـ ١ ص ١٠١ تحقيق على محمد البجاوى) .

١ – نشرت إحدى المجلات [١] ، بعنوان : « القرآن والفنون » [٢] ، مقالا قالت ، فى تقديمه ، إن فيه من اللمحات الفنية ما أوجب عليها أن تضعه بين يدى متذوّقى قرائها . وتضمّن المقال :

(ا) أن حقّ تلحين القرآن مقطوع به ، وأنه « يستمدّ شرعية وجوده من هذه القراءات السبع » ، وأننا « فى حاجة فقط إلى فنان عربىّ عظيم مثل باخ [٣] ، وهندل [٤] ، وهايدن [٥] فى أعمالهم الدينية الرائعة والمعروفة بـ : "Oratorio" [٦]

(ب) وأن خير موسيقى لتلحين القرآن هى موسيقى الكنيسة المصرية التى نجدها فى القُدّاس القبطى القديم ، وأن الأذان الإسلامى (الحالى) فيه جزء واضح من هذا القداس القبطى .

(حـ) وأنه كثيراً ما يختلط الأمر على كاتب المقال ، فلا يميز « بين صوت مقرئ (عجوز) (كذا) وصوت قسيس قبطى (عجوز) من كنائس الصعيد » (كذا أيضاً) .

(د) وأنه يقترح لتلحين القرآن « آلات موسيقية أساسية هى – بصفة مبدئية – : النّاى ، والمثلث ، والأرغن ؛ ولكنه – فى خشيته على ما يظهر من أن ترمى فكرته بشىء من الإسراف ، أو فى إمعانه ، على ما يظهر أيضاً ، فى الاستتار بالقرآن – استدرك ، أو مضى ، فقال : « وأنا لا أميل إلى إدخال الطبلة » .

(هـ) وأن القرآن « سيمفونية ضخمة من حركات كثيرة . . . وأقرب السيمفونيات إلى هذه السيمفونية الإلهية : السيمفونية التاسعة التى تنتهى إلى تشيد الفرح يردّد كل الناس » .

---

(١) مجلة « الأدب » التى كان يصدرها المرحوم الأستاذ أمين الخولى – ع . مايو ١٩٥٦ .

(٢) لم تذكر المجلة اسم الكاتب ، واكتفت بأن رمزت له بحرفى : ت . ح . وقد عرفتُ أن اسمه (توفيق حنا) .

(٣) Bach موسيقى ألمانى (١٦٨٥ – ١٨٥٠) ، والقليل من أعماله للبيانو ، والكثير والجيد للأرغن .

(انظر : Bernard Champigneulle : Histoire de La Musique ترجمه للعربية ثروت كجيك ص ٨٦ – ٩٢ .

(٤) Haendel موسيقى ألمانى أيضاً (١٦٨٥ – ١٧٥٩) ، مات فى لندن ، وكان قد أصابه العمى ، وله أعمال كثيرة للأرغن والآلات الأخرى ، مثل الكمان والفلوت والقيثار ، والقليل منها للبيانو .

(انظر : الكتاب السابق ص ٨٣ – ٨٦) .

(٥) Haydn الألمانى (١٧٣٢ – ١٨٠٩) ، كتب كثيراً من الألحان الآلية ، واستخدم البيانو كآلة رئيسية فى كثير منها ، وقلل من استخدام الأرغن ، فكتب أكثر من ٦٠ سوناتا Sonata للبيانو .

(انظر الكتاب السابق ص ١١٠ – ١١٣) .

(٦) سبق أن ادّعى آدم متز Adam Mez – على عادته وعادة بعض المستشرقين فى إرجاع أغلب المظاهر والشعائر الإسلامية إلى أصول مسيحية – أنّ قراءة القرآن بالتلحين « ربما كانت تقليداً لما جرى عليه النصارى فى كنائسهم » (الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى جـ ٢ ص ٩١ (ط . ١٩٤٨ م) .

ومع أنى هنا بسبيل السرد المجرد للأمور التى دعتنى إلى التفكير فى جمْع القرآن جمعا صوتيًا يحقق – ضمن ما يحقق – وجود النماذج الشرعية للقراءة ، ولست بسبيل مناقشة مثل ذلك الكلام ، فإنه لا مندوحة لى – فى غير إخلال بالموضوعية – عن التعقيب . فى إيجاز ، على أقوال ذلك الكاتب :

(ا) إن الذين عرفوا شيئاً – ولو يسيراً جداً – عن القراءات يدركون بُعد ما بين القراءات السبع وبين ما أسماه ذلك الكاتب « شرعية » التلحين الموسيقى للقرآن .

(ب) واختيار الكاتب للموسيقى الكنسية المستعملة فى القداس القبطى لتكون مصدراً لتلحين القرآن موسيقيًا ، وادعاءه بأن الأذان الإسلامى مأخوذ من هذا القدّاس بشكل واضح ، والادعاء بأن تلاوة القرآن وقراءة القداس سواء . . . هذا كله ترويج لدعاوى بعض المستشرقين المسيحيين الذين يعزون – فى تكلّف وتعصب – كل المظاهر والشعائر الإسلامية إلى أصول مسيحية ، والذين لا يفتأون يردّدون ، فى كل مناسبة ، دعواهم الباطلة . يقول جون تاكلى Gohn Takle عن المسلمين – فى حقد عليهم ، وعلى قرآنهم – وهذا مجرد مثل لدعاوى أولئك المستشرقين البعيدة جداً عن العدل والرشد – يقول تاكلى : « يجب أن نستخدم كتابهم – يعنى القرآن – وهو أمضى سلاح فى الإسلام ، ضد الإسلام نفسه ، لنقضى عليه تماماً ، ويجب أن نُرِى هؤلاء الناس أن الصحيح فى القرآن ليس جديداً ، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً »[١].

ويقول أحد دعاة النصرانية واسمه W.S. Nelson ، فى حقد مماثل : « إن الإسلام مقلِّد ، وإن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية ، وسائر ما فيه أُخِذ من الوثنية كما هو ، أو مع شىء من التبديل » [٢] .

وقد حاول جولد تسيهر – استناداً إلى الروايات الضعيفة ، وإلى أخبار بعض المطعون فى دينهم وخُلُقهم ، لدى علماء الجرح والتعديل – حاول أن يثبت أن اليهودية شاركت فى تأسيس الفكر الإسلامى [٣] .

وكذلك قال هذا المستشرق – فى مجافاة للحقائق الناصعة – إن « تبشير النبى العربى

---

(١) نقلاً عن :

Islam and Missions, by : E.M. Wherry, S.M. Zwemer and C.G. Mylrea, N.Y. 1911.

(وانظر : مصطفى خالدى ، وعمر فروخ : التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ص ٤٠) .

(٢) نقلا عن المرجع السابق .

(٣) انظر : مذاهب التفسير الإسلامى ، (ترجمة عبد الحليم النجار) ، فهذه المحاولة فيه واضحة .

ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية ، عرفها إذ استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التى تأثر بها تأثراً عميقاً »[١] .

على أننا أشرنا قبلا غير مرة إلى الحديث النبوى الذى ينهى – ضمنا – عن قراءة القرآن بلحون أهل الكتابين ، وهذا – وحده – كاف لدحض الادّعاء بوجود صلة بين الألحان القبطية وألحان القرآن ، وكاف لإسقاط القول بأن تكون موسيقى القداس القبطى مصدراً لتلحين كتاب الإسلام والعربية .

(ح) ووصف القرآن بأنه سيمفونية لها أشباه فى سيمفونيات الغرب ، واقتراح استعمال الناى والمثلث والأرغن – بصفة مبدئية – فى قراءة القرآن ، ومحاولة تغطية الشطط فى هذا ، بقناع ممزق ، هو القول بعدم الميل إلى إدخال الطبلة . . . كلّ هذا يناقض خصائص القرآن ، ولا ينفعه ، وإنما يسيء إليه ، كما سنشرح ، بعد قليل ، وهو – بعدُ – يصدم شعور أتباع القرآن ، ويؤذيهم فى أعظم مقدّساتهم .

* * *

٢ – ونشرت الأهرام[٢] بعنوان : « خمس سور من القرآن تم تلحينها » ما نصّه :

« أرسل وكيل وزارة التربية والتعليم إلى صالح أمين مفتش الموسيقى بالوزارة الذى بدأ فى تلحين القرآن خطاباً يقول فيه :

إن الوزارة تبارك المشروع ، وإنها مستعدة لدفع تكاليف تكوين فرقة موسيقية ، لتسجيل السوّر التى تم تلحينها ، وعرضها على هيئة كبار العلماء ، ثم تقديمها للإذاعة .

وقد أبدى عبد الوهاب حمودة عضو لجنة الاستماع بالإذاعة إعجابه بالسور الملحنة ، بعد أن غنّاها له على « العود » صالح أمين .

وقد أتمّ صالح أمين تلحين ٥ سور ، هى : المدثر ، والإنسان ، والنّور ، والفرقان ، والأنفال ؛ ويقوم الآن بكتابة « نُوتّها » الموسيقية .

وسيسبق كل سورة مقدمة موسيقية تصوّر المناسبة التى نزلت فيها السّورة » .

ومع أن وزارة التربية والتعليم نفت عاجلاً فى بلاغ رسمى[٣] مباركتها للمشروع ،

---

(١) انظر : العقيدة والشريعة ، (ترجمة : محمد يوسف موسى ، وعلى حسن عبد القادر ، وعبد العزيز عبد الحق) ص ١١ – ٢٠ .

(٢) فى ٧ أغسطس ١٩٥٨ .

(١) انظر : الأهرام ع ١٣ من أغسطس ١٩٥٨

وإسهامها فيه ، وحرصها على « أن يكون للدين مكانة ، وللقرآن المجيد قداسة » ، فإنّ نفيها وَقْفَ – طبعاً – عند ما يخصّها هى ، ولم يتجاوزه إلى الأمور الخطيرة الأخرى التى تضمّنها الخبر .

* * *

٣ – ونُشير ، بعد ذلك[١] ، أن الموسيقار زكريا أحمد سيقوم بمحاولة فنية جديدة « لتلحين القرآن » ، و « أن فكرته هى : تصوير المعانى وضبط الأنغام فى الترتيل »[٢] .

* * *

٤ – وذكر العالم السّورى مصطفى الزرقا أنه تلقّى من أحد الموسيقيين الأجانب الحديثى الإسلام سؤالا يقول فيه إنه « يريد أن يصوغ بعض سور القرآن فى مقطوعات من الموسيقى المجردة الصّامتة على طريقة السمفونيات ، بحيث تكون القطعة الموسيقية الواحدة معبرة بألحانها عن السّورة الفلانية وتخلّدها فى لحن فنّى » . ويسأل السائل : « هل هذا العمل مستحسن من الناحية الإسلامية ؟ »[٣] .

وعندى أن قراءة القرآن – على الآلات الموسيقية – تمسّ قداسته ، وتخلط بصوته القدسى

---

(١) انظر الأخبار ع ١٢ من أكتوبر ١٩٥٩ .

(٢) تقتضينى الأمانة أن أذكر أن المرحوم زكريا أحمد زارنى فى بيتى ، بصحبة الصديق المرحوم على أحمد باكثير ، ورجانى الإذن له فى الاشتراك – بأىّ قدر – فى تسجيل أحد المصاحف المرتلة بصوته .

وتلا – ليلتها – آيات من سورة المزّمل ، كنموذج للتلاوة التى يُؤثرها . وكان – فى تلاوته – يلتزم قواعد التجويد ، ولكنها كانت أقرب إلى الإلقاء التمثيلى .

ولما أبديت ملاحظاتى على أسلوبه فى التلاوة تلقاها بالرضى ، وقال فى امتثال : علمونى ، وعلىّ أن أنفذ ، وقال : كل قصدى أن تكون تلاوتى معبرة عن المعانى .

وذكر – وهو يضحك – أنه سمع قارئاً – يتلو بغير فهم – قوله تعالى : « سَأُصليهِ سَقَرَ ، وما أدراكَ مَا سَقَر ؟ لا تبقى ولا تذر » (المدثر / ٢٦ و٢٧ و٢٨) ، وكانت القراءة بهيجة إلى درجة جعلتها أقرب إلى تصوير شىء جميل منها إلى تصوير النار ، وأهوالها المخوفة ، فصاح زكريا : ياناس ! ما دامت سَقَر بالشكل الجميل دا وباللطافة دى : خلونى فيها ! .

ولقى زكريا ربه ، بعد أسابيع قليلة من الزيارة التى ذكر فيها أن الاشتراك فى تسجيل المصحف المرتل هو من أغلى أمنياته . جزاه الله صالحة على نيته .

ورحم الله « على أحمد باكثير » الذى وافته المنون بعد سنوات من ظهور الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، والذى كان يقدر فكرة (الجمع الصوتى الأول للقرآن) حقّ قدرها .

هذا ، والقراءة التى أسمّيها (المعبّرة) هى التى تواثم المعنى وتظهره ، على نحو ما ذكرتُ قبلاً ، فى نفس هذا الفصل ، وبشرط أساسىّ هو أن تناسب جلال القرآن وقدسيته ووقاره ، وتستوفى كلّ أحكام التلاوة الشرعية .

(٣) انظر : العبادة فى الإسلام لا يجوز أن تصحبها الموسيقى – بحث فى مجلة الأزهر . المحرم ١٣٨٠ ص ٩٠ . وقد أفتى الزرقا بأنّ العمل موضوع السؤال لا يجوز شرعاً ، وسنفصّل القول فى هذا الآن بإذن الله .

أصوات المعازف ، وقد تَصْرِف السامع عن تدبّر المعانى والتأثر بها إلى الاستمتاع بالموسيقى ، وأنغامها ، وإيقاعاتها ،وقد تقحم – فى القرآن – حركات ، وتنزع منه حركات ، فمثلا ، قد تمدّ المقصور ، وقد تقصر الممدود ، بل قد تحدث مالا أصل له . وهذا يُفْضى غالباً إلى تغيير المعانى ، أو – على الأقل – وقوع اللّبس فيها . ومثل هذا حقيق – من الناحية الدينية – أن يفسّق صانعه ، ويؤثّم سامعه .

ثم ما جدوى قراءة القرآن على المعازف ، وهو – كما أشرنا آنفاً – له موسيقاه الخاصة ، وليس كالكتب الدينية الأخرى التى تستعين الموسيقى من الخارج ، لتظهر معانيها وتكمل نقصَها ؟

والله تعالى يقول مؤنّباً قريشاً فى جاهليتها ومتوعّداً إياها : « وما كان صَلاتُهم عِندَ ٱلْبَيْتِ إلاَّ مُكَاءً وتَصْدِيَةً فَذُوقُوا ٱلعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تكفُرُونَ »[١] .

اى ما كانت تلك العبادة – عندهم – إلاّ عملا يأخذ شكلاً موسيقيًّا خاصًّا :

فالمكّاء هو الصفير على لحن طائر فى ضرب القنبرة يقال له المكّاء (بالضم والتشديد) ، سُمِّى بذلك لأنه يجمع يديه ، ثم يصفّر فيهما صفيراً حسناً[٢]

وقيل : المكاء هو أن يجمع بين أصابع يديه ثم يدخلها فى فيه ، ثم يصفّر بها[٣] .

وقيل : هو الضرب بالأيدى . قاله قتادة[٤] .

والتصدية : هى الصفير . قاله مجاهد ، والسّدّى ، وابن عمر[٥]

وقيل : التصدية : الصّياح . قاله قتادة[٦] .

ويقول ابن عباس : كانت قريش فى جاهليتها تطوف بالبيت عراة يصفّقون ويصفّرون ، فكان ذلك عبادة فى ظنهم[٧] .

والآية الكريمة – كما هو واضح – تفيد أن الله تعالى سيعاقب هؤلاء الكفّار بما اقترفوا من أعمال منكرة ذكرها قبل هذه الآية ، وبما أعطوا عبادتهم من لون موسيقى غير مشروع .

---

(١) سورة الأنفال / ٣٥ .

(٢) انظر : لسان العرب – (مكا) جـ ٢٠ ص ١٥٨ .

(٣) انظر : نفس المرجع .

(٤) انظر : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ٧ ص ٤٠٠ .

(٥) نفس المرجع .

(٦) نفس المرجع .

(٧) نفس المرجع .

وكما يقول الزرقا : « انتشرت قبل الإسلام وبعده إلى اليوم طرائق التعبّد بالموسيقى ، واختلطت الأحاسيس والمشاعر الفنّية الجميلة وما ينشأ عنها من نشوة وطرب ، وامتزجت بالعبادة ومناجاة الله ، بينما أنّ الأحاسيس الفنية والعبادة هما أمران متباينان .

وإذا أصبحت العبادة موسيقى وأنغاما حقّ للفاسق فى الملاهى أن يعدّ نفسه متعبّدا بالنشوة والإحساس الفنى من الموسيقى التى يسمعها فى الملهى كمن يسمعها فى المعبد »[١] .

وقد خاف الزرقا – فيما لو اصطحبت العبادة موسيقى خارجية – من أن يغيب العمل العقلىّ التعبّدىّ « تحت رداء النشوة الفنية ، فيخرج من حيّز العبادة والفكر السامى إلى حيّز الطرب الذى يكون حظّ الحسّ فيه أكبر من حظّ العقل ، كما قد يكون حظّ غير المتعبّد فيه أوْفى من المتعبّد ، فيضيع معنى العبادة »[٢]

* * *

لقد دعانى هذا كله إلى اختيار طريقة الترتيل المرسل ، فى تسجيل المصاحف المرتلة ، والنص عليها فى أحاديثنا ، مع المسؤولين ، حسبما أوضح شيخ الأزهر فى بيانه الرسمى [٣] ، آملين أن تكون هذه المصاحف نماذج ممتازة يقرأ المسلمون على نَسَقها ، فى سهولة ويسر.

هذا ، والقراءة سنّة ، والثابت : أن النبى (ص) كان يقرأ القرآن مترسّلا .

٧

ومنذ قديم ، والابتداع الصوتى الخارج عن قواعد الأداء يثير نقد الناقدين :

يقول الجاحظ ، فى حديث عن اللحن : « . . . ثم اعلم أن أقبح اللحن : لحن أصحاب التقعير ، والتقعيب ، والتشديق ، والتمطيط ، والجهْورة ، والتفخيم ؛ وأقبح من ذلك : لحن الأعاريب النازلين على طرق السّابلة ، وبقرب مجامع الأسواق[٥] .

ولا ريب أن هذا الخروج – إذا كان متعلقاً بالقرآن – هو أحرى بالشّنآن والمنع .

---

(١) مصطفى أحمد الزرقا : المقال السابق .

(٢) نفس المقال .

(٣) انظر : مجلة الأزهر ع . أبريل ١٩٥٩ ص ٩٢٦ .

(٤) انظر : مسند أبى عوانة جـ ٢ ص ١٣٥ و١٣٦ .

(٥) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٥٩ (بتحقيق حسن السندوبى) .

وكذلك انتقد ابن قتيبة التكلف والشذوذ فى : المدّ المفرط ، والتشديد المتعب . . إلخ [١] :

* * *

ومن المبتدعات الصوتية التى تنافى جلال القرآن ، وتخرج عن قواعد أدائه ، وتناله بشىء من التحريف ، وتعوق – بالضرورة – حسن فهمه وتدبّره والتأثر به ، والتى كانت من بواعث التفكير فى الجمع الصوتى للقرآن ، ومن موجهات التخطيط لتسجيل المصاحف المرتلة الأئمة :

١ – القراءة بالترعيد :

وهو أن يرعد القارئ صوته ، كأنه يرعد من برد ، أو ألم أصابه [٢] .

٢ – القراءة بالتطريب المفسد للمعنى :

وهو أن يترنم القارئ بالقرآن ، ويتنغم به ، على نحوٍ من شأنه أن يمدّ فى غير مواضع المدّ ، ويزيد فى المدّ على مالا ينبغى [٣] .

٣ – القراءة بالتحزين المصطنع :

وهو أن يأتى القارئ بتلاوته ، على وجه فيه حزن وتباكٍ متكلفان هما مظنة الرياء [٤] :

٤ – القراءة بالترقيص :

ومعناه : أن يرقص القارئ صوته بالقرآن ، فيزيد فى حروف المدّ حركات ، بحيث يصير كالمتكسّر الذى يفعل الرقص [٥] .

وقيل : القراءة بالترقيص هى أن يروم القارئ السكت على الساكن ، ثم ينفر عنه ، مع الحركة ، فى عدْوٍ وهرولة [٦] .

---

(١) انظر : ابن مطرف الكنانى : القرطين ص ١٥٠ – ١٥٤ .

(٢) التهـانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ، مجلد ٢ ص ٥٥٢ .
والسيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٠١

(٣) التهـانوى : المرجع السابق مجلد ٢ ص ٩٠٠ ، والسيوطى : المرجع السابق .

(٤) السيوطى . المرجع السابق .
وأذكر فى هذه المناسبة أن المرحوم المطرب محمد فوزى صاحب مصنع الشرق للأسطوانات الذى كنت اتفقت معه على طبع تسجيلات الجمع الصوتى الأول للقرآن الكريم ، قبل أن تتولى طبعه وزارة الأوقاف ، عَرَض علىّ مرة – بحسن نيّة – أن يسبق التسجيل القرآنى صوت موسيقى قريب من صوت الصدى ، وقال إنّ ذلك سيزيد القراءة تأثيراً وشجى ، فرددت فى الحال بما دَفَن الفكرة الخاطئة دفناً .

(٥) على الضباع : مبتدعات القرّاء فى قراءة القرآن الكريم – مجلة كنوز الفرقان ع . ربيع الأول ١٣٦٨ .

(٦) التهانوى : المرجع السابق مجلد ١ ص ٥٦٣ ، والسيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٠٢ .

٥ – القراءة بالتحريف :

وهو ما أحدثه الذين يجتمعون ، ويقرءون بصوت واحد ، فيقطعون القراءة . ويأتى بعضهم ببعض الكلمة ، والآخر ببعضها الآخر ، ويحافظون على مراعاة الأصوات .

تحدّث على بن سلطان القارى عن هذه القراءة، فقال :

« ومن القراءة المنهية ما أحدثه الجماعة الأزهرية ، حيث يجتمعون ، فيقرءون بصوت واحد ، ويقطعون القرآن ، فيأتى بعضهم ببعض الكلمة ، والآخر ببعضها ، ويحذفون حرفاً ، ويزيدون آخر ، ويحرّكون السّاكن ، ويسكّنون المتحرك ، وأمثالها ، ويمدّون تارة ، ويقصرون تارة ، فى غير محالّها ، مراعاة للأصوات خاصّة دون أحوالها ، مع أن الغرض الأهمّ من القراءة إنما هو تصحيح مبانيها ، لظهور معانيها بما فيها »[٢] .

٦ – القراءة باللين والرخاوة فى الحروف ، وكونها غير صلبة ، بحيث تشبه قراءة الكسلان[٣]

٧ – النَّفْر بالحروف عند النطق بها ، بحيث يشبه القارئُ المتشاجِرَ .

٨ – تقطيع الحروف ، بعضها من بعض ، بما يشبه السكت ، خصوصاً الحروف المظهرة ، وذلك بقصد زيادة بيانها .

٩ – إشباع الحركات ، بحيث يتولّد منها حرف مدّ ، مع ما فى ذلك من إفساد للمعنى .

١٠ – مبالغة القارئ فى القلقلة فى حروفها ، حتى يبلغ بها مرتبة الحركة .

١١ – إعطاء الحرف صفة مجاورِه ، قويّةً كانت أو ضعيفة .

١٢ – تفخيم الراء الساكنة ، ولو كان قبلَها ما يُوجب ترقيقَها .

١٣ – إشراب الحرف بغيره .

١٤ – إشباع حركة الحرف الذى قبل الحرف الموقوف عليه .

١٥ – تحريك الحروف السواكن كعكسه .

١٦ – زيادة المدّ فى حروفه ، على المدّ الطّبعى ، بلا سبب .

١٧ – المبالغة فى إخفاء الحروف بحيث يشبه المدّ .

١٨ – النقص عن المدّ الطّبعىّ فى حروفه .

---

(١) السيوطى : المرجع السابق .

(٢) المنح الفكرية على متن الجزرية ص ٢٨ .

(٣) انظر – فى شأن هذا العيب والعيوب التالية – على الضباع : البحث السابق .

١٩ – ضمّ الشفتين ، عند النطق بالحروف المفخمة المفتوحة ، لأجل المبالغة فى التفخيم .

٢٠ – شوب الحروف المرقّقة شيئاً من الإمالة ، ظنًّا من القارئ أن ذلك مبالغة فى الترقيق .

٢١ – مدّ ما لا مدّ فيه ، كمدّ واو « مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ »[١] وصلاً وياء « غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ »[٢] ، (لأنّ الواو والياء – إذا انفتح ما قبلهما – كانا حرفَىْ لين لامدّ فيهما) .

٢٢ – تشديد الهمزة إذا وقعت بعد حرف مدّ ، كما فى كلمتى : « أُولَٰئِكَ » و « يَٰأَيُّهَا » ، بقصد المبالغة فى تحقيقها وبيانها .

٢٣ – لوك الحروف ، كما يفعل السَّكران ، فإنه – لاسترخاء لسانِه وأعضائه نتيجةَ السُّكْر – يفقد الفصاحة فى كلامه .

٢٤ – المبالغة فى نبر الهمزة وضغط صوتها ، حتى تشبه صوت المتقيئ .

٢٥ – ترك التجويد مطلقاً :

وهذا ملحوظ – الآن – فى نسبة كبيرة من أبناء هذا الجيل . وهو أمر خطير من وجهة النظر الإسلامية ، وقد وُصف فاعله بأنه آثم :

تقول الجزرية قولتها المشهورة :

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يُجَوِّدِ القُران آثم
لأنــه به الإلــه أنــزلا وهــكذا منه إلينا وَصَلا

ويقول برهان الدّين القلقيلى – فى شرحه على متن الجزرية – : « وقد صح أن النبى – صلى الله عليه وسلّم – سمى قارئ القرآن بغير تجويد : فاسقاً ، وهو مذهب إمامنا الشافعى – رضى الله عنه – لأنه قال : إن صحّ الحديث فهو مذهبى ، واضربوا بقولى عرض الحائط »[٣] .

* * *

فشا هذا كلّه ، على نحو جدير أن يزعج الحريصين على بقاء القرآن سليماً من حيث الأداء أيضاً .

---

(١) سورة الفاتحة / ٤ .

(٢) سورة الفاتحة / ٧ .

(٣) انظر : محمد مكّى نصر : نهاية القول المفيد فى علم التجويد ص ١٠ .

وفشا هذا كلّه ، على نحو خليق أن يذكّرنا بما جاء فى « نهج البلاغة » منسوباً إلى على ابن أبى طالب من أنه سيأتى زمان « ليس عند أهله سلعة أبْوَر من الكتاب إذا تُلِىَ حقّ تلاوته ، ولا أنفق منه إذا حُرّف عن مواضعه »[١]

وزاد الأمر خطراً أن المماراة فى الأمور الصوتية يسيرة ، كما ذكرنا من قبل ، وأن هذه المبتدعات قد يقع بعضها فى المحاريب ، فتكون واسعة الأثر ، وبعضها أصبح – لدى بعض القراء – أساساً فى القراءة فى المآتم والمحافل ، أو لدى بعض الصوفية فى مجالسهم ، أى أن الخطأ يصدر من جهات قيادية تجعل انتشاره مرجّحاً بل مؤكّداً .

* * *

وتمنيت وسيلة عملية سهلة تكفل تعميم قراءة القرآن ، على نحو خال من كل تلك العيوب والمبتدعات ، وتعطى الحروف حقوقها ، وتردّها إلى مخارجها وأصولها[٢] .

وتمنيت أن لا تخرج هذه الوسيلة ، فى الوقت نفسه ، عن السّنّة المتبّعة والقواعد المأثورة منذ عهد النبوة ، من إبراز المعنى ، بحيث يؤثّر فى السامع ، إلى أبعد مدى ، وهو ما لا يقع غالباً إلا إذا كان القارئ مستحضراً بعقله وقلبه معانى ما يقرأ ، وإلا إذا أوضح بصوته – عن فهم – ما يليق بكل آية[٣] . وكما يقول ابن قيم الجوزية : « تلاوة المعنى أشرف من مجرّد تلاوة اللفظ ، وأهلها هم أهل القرآن الذين لهم الثناء فى الدنيا والآخرة ، فإنهم أهل تلاوة ومتابعة حقًّا »[٤] .

ولفتنى التوصيات الدائبة بالعمل على « جمع التراث الغنائى العربى بمختلف أنواعه ، وتسجيله ، وتدوينه – نصًّا ولحناً – إبقاءً عليه من الضياع » ، والتوصية بالعناية بجمع التراث

---

(١) جـ ٢ ص ١٠٣ .

(٢) لم أشترط فى مسجلى المصاحف المرتلة أن يكونوا – فحسب – من أصحاب الأصوات التنغيمية الممتازة . ولذلك لما كتبتُ – باسم وزارة الأوقاف – صيغة الإعلان عن مسابقة قرآنية عامة ، لاختيار عدد من القراء لتسجيل القرآن برواية ورش عن نافع ، اشترطت – لدخول هذه المسابقة – أن يكون المتقدم مجازاً فى القراءات من شيخه إجازة كتابية ، أو متخرجاً فى معهد القراءات التابع للأزهر ، وأن يكون عارفاً بوسائل القراءات ، وأعلنت – باسم الوزارة – أن المتسابقين سيمتحنون شفويًّا فى الحفظ والأداء والأحكام ، على ما فى الكتب المتخصصة ، وبعد هذا يؤدى الناجحون بامتياز فى هذه المسابقة امتحاناً صوتيًّا أمام لجنة فنية أخرى .

(٣) انظر فى هذا : ابن قدامة المقدسى : مختصر منهاج القاصدين ، لابن الجوزى ص ٤٣ – ٤٥ .

(٤) مفتاح دار السعادة ، ومنشور ولاية العلم والإرادة جـ ١ ص ٤٤ .

العلمى الغنائى من مخطوطات عربية أو بحوث تتصل بهذه الناحية[١] ، فذكرت أن القرآن – وهو أعزّ مواريث المسلمين ، وأجلّها – أَوْلَى بمثل هذا العمل ، بل أَوْلَى بأعظم من هذا العمل ، فقلت ، فى مذكرتى الأولى عن هذا المشروع :

« ولقد عُنيت الهيئات الثقافية فى الإقليم المصرى بتسجيل الأناشيد والأغانى ، ولذلك ليس غريباً أن نسمع شبابنا وصبياننا يكثرون ترديد هذه الأناشيد والأغانى ، مع ما فى عبارات الأغانى – أحياناً – من معان غير باعثة ولا نظيفة ؛ ولا ريب أن كلام الله المكنون أحق بهذه العناية ، وبما هو أكثر منها » .

قلت هذا ، وتمثّلتُ أمنيّتى فى نماذج صوتية للترتيل الشرعى بشروطه تلك ، وأحسست الحاجة ماسّة جداً إلى هذه النماذج ، لتكون مثل مصاحف عثمان أئمة يُقْتدى بها ، ويُرجع – عند الشك والنسيان – إليها ، ويُحتكم – عند الاختلاف – لديها ، وينقطع النزاع عندها .

ولعل مشروع الجمع الصوتى الأول للقرآن الكريم ، حين يتم بكل مخططاته التى وضعناها ، أن يحقق الأمنيّة ويسدّ الحاجة .

---

(١) انظر مثلاً : توصيات الحلقة الثانية لبحث الموسيقى العربية فى المدة من ٢٦/١١/١٩٦١ إلى ١٨/١٢/١٩٦٣ ، بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ص ٧٥ .

الفصل الثانى

تيسير القرآن للحفظ والتعلّم

١

يهتم المسلمون – منذ كانوا – بتعليم أولادهم القرآن :

يقول عبد الملك بن مروان لمؤدّب ولده : « علّمهم الصدق كما تُعلّمهم القرآن »[١] .

وهشام بن عبد الملك يقول لسليمان الكلبى لما اتخذه مؤدّباً لابنه : « . . . وأوّل ما أوصيك به : أن تأخذه بكتاب الله ، ثم روِّه من الشّعر أحسنَه . . . إلخ »[٢] .

والرشيد يقول للأحمر معلّم ولده الأمين ولىّ عهده : « . . . فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين : أقرئه القرآن ، وعرّفه الأخبار »[٣] .

وتعليم القرآن شعار من شعارات الدين ، أخذ به المسلمون ، ودرجوا عليه فى جميع أمصارهم ، وجعلوه أصل كل تعليم عندهم[٤]

والقرآن مطلوب الحفظ لفظاً ومعنى ، بل إن فهم المعنى والأخذ به لا يكونان إلا عن طريق تلاوة الألفاظ أو استماعها ، ثم تدبرّها والتذكّر بها .

وقد أوجب الإسلام على كل مسلم أن يحفظ شيئاً من القرآن ، حتى تصح صلاته ، والصلاة – فى الإسلام – هى أحد أركانه .

---

(١) ابن قتيبة : عيون الأخبار جـ ٢ ص ١٦٧ .

(٢) الراغب الأصفهانى : محاضرات الأدباء جـ ١ ص ٢٩ .

(٣) البيهقى : المحاسن والمساوئ ص ٦١٧ .

(٤) انظر : صديق حسن خالد : أبجد العلوم المسمى بالوشى المرقوم ص ٦٦ وما بعدها .

٢

وقد جرت عادة كثير من المسلمين على الابتداء بتعليم الصغار القرآن ، حين يمضى عليهم أربع سنين ، وأربعة أشهر ، وأربعة أيام ، حتى ظُنَّ أن لهذا أثراً فى الحديث أو السلف[١] .

ولئن كان مالك – فيما قيل – كره التعجيل بتعليم الطفل القرآن ، فلعلّه لم يكره ذلك إلا « خشية أن ينطق به على خلاف ما ينبغى له من إقامة الحروف وإخراجها من مخارجها ، أو أن فى إعجاله منعاً من الذى ينبغى أن يُفسح له فيه من اللهو المقيم لِبِنْيَة الأطفال المروّح لأنفسهم »[٢] .

على أن الأخبار التعليمية – عند المسلمين – تفيد أن كثيرين حفظوا القرآن فى سنّ باكرة . ومن ذلك ما ذُكر من أن الشافعى حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين[٣] ، وما ذُكر من أن جلال الدين السيوطى حفظ القرآن وله دون ثمان سنين[٤] .

* * *

وما جرت عليه عوائد المسلمين من أخذ الصبى بكتاب الله فى أول أمره ، حتى لو كان يقرأ مالا يفهم ، يعزُوه صاحب « أبجد العلوم » إلى « إيثار التبرّك والثواب ، وخشية ما يعرض للولد ، من جنون الصّبا ، من الآفات والقواطع عن العلم ، فيفوته القرآن »[٥] .

ويقول مفسرو المسلمين ، عن النبى « يحيى » ، فى قوله تعالى : « وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا »[٦] : « أراد بالحكم فهمَ الكتاب ، فقرأ التوراة وهو صغير »[٧] .

ورَوَوْا أنّ بعض السلف قال : « من قرأ القرآن – قبل أن يبلغ – فهو ممن أُوتى الحكم صبيًّا[٨] . »

---

(١) محمد طاهر الفتنى : مجمع بحار الأنوار جـ ٢ ص ٥١٣ .

(٢) انظر : الكتانى : التراتيب الإدارية جـ ٢ ص ٢٩٣ و ٢٩٤ .

(٣) ابن هداية الله الحسينى الملقب بالمصنف : طبقات الفقهاء الشافعية ص ٣ .

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة جـ ١ ص ١٤٠ (ط . المطبعة الشرقية سنة ١٣٢٧ هـ) .

(٥) ص ٦٦ .

(٦) سورة مريم / ١٢ .

(٧) انظر : الخازن : لباب التأويل فى معانى التنزيل جـ ٣ ص ٢٨٤ .

(٨) انظر : نفس المرجع .

واختلفت مذاهب البلاد الإسلامية ، فى طريقة تعليم القرآن للصِّبية ، ولكنها كلّها ترمى إلى التمكين له[١] ؛ وسنّوا للمحفّظين آداباً ، ورسموا لهم مناهج ، وشرطوا فيهم شروطاً[٢] .

* * *

والبلاد الإسلامية – على مسار الزمن ، وجيلا بعد جيل – ما برحت تنشئ ، فى مدائنها وقراها ، ألوف الكتاتيب والمدارس القرآنية .

وفى القصّة الطريفة لتاريخ تقرير الراحة الأسبوعية لتلاميذ المكاتب أن الصحابة كانوا – قبل ولاية عمر بن الخطاب – « إنما يقرئ الرجل ابنته وأخاه الصغير ، ويأخذ الكبير عن الكبير مُفَاهَمَةً » ، فلما كثرت الفتوحات ، أمر عمر ببناء المكاتب ، « وكانوا يسرمدون القراءة فى الأسبوع كلّه ، فلما فتح عمر الشام ، ورجع للمدينة ، تلقّاه أهلها ، ومعهم الصبيان ، وكان اليوم الذى لاقَوْهُ فيه يوم الأربعاء ، فظلوا – معه – عشيّة الأربعاء ، ويوم الخميس ، وصدر يوم الجمعة ، فسنّ لصبيان المكاتب الراحة ، فى هذه الأوقات ، ودعا على من عطّل هذه السّنّة »[٣] .

* * *

ويبدو أن تعليم القرآن موغل – منذ قديم – فى كل بقعة إسلامية إيغالا يفوق الظنون ، فقد حكى ابن خرداذبة[٤] – فى حديثه عن سدّ يأجوج ومأجوج – أن الخليفة الواثق بالله أراد أن يستخبر خبر هذا السّدّ ، فأوفد « سلاّم الترجمان » لهذه المهمة ، ومعه خمسون رجلاً : شباب أقوياء ، وحكى سلاّم ، فقال : « . . فأقمنا عند ملك الخزر يوماً وبيلة ، حتى وجّه معنا خمسة أولاد ، فسرنا من عنده ستّة وعشرين يوما ، فانتهينا إلى أرض سوداء منتنة الرائحة ، وكنا قد تزوّدنا – قبل دخولها – خَلاًّ نشمّه من الرائحة المنكرة ، فسرنا فيها عشرة أيام ، ثم صرنا إلى مدن خراب ، فسرنا فيها عشرين يوماً ، فسألنا عن حال تلك المدن ، فَخُبِّرنا أنها المدن التى كان يأجوج ومأجوج يتطرقونها ، فخربوها ، ثم صرنا إلى حصون ، بالقرب من الجبل الذى فى شعبة منه السدّ ، وفى تلك الحصون قوم يتكلمون العربية والفارسية مسلمون يقرأون القرآن ، ولهم كتاتيب ومساجد . . . إلخ » .

---

(١) انظر : صديق حسن خالد : أبجد العلوم ص ٦٦ وما بعدها .

(٢) انظر : ابن عبدون : رسالة فى القضاء والحسبة ص ٢٤ .

(٣) الكتانى : التراتيب الإدارية جـ ٢ ص ٢٩٣ و ٢٩٤ .

(٤) انظر كتابه : المسالك والممالك ص ١٦٢ – ١٧٠ .

٣

والمسلمون يعتبرون تعليم القرآن ، والبذل من أجله ، من أول وسائل التقرب إلى الله ؛ ولذلك ، وقف أثرياؤهم الكثير من أموالهم على هذا التعليم .

وفى مصر بالذات ، « كان مقرأ ورش : شيخ القراء ، وإمام أهل الأداء »(١) ، وفيها ، كانت معاهد الإقراء الكبرى التى خدمت القرآن وعلومه ، والتى كانت تجاوز الألفين فى القاهرة وحدها ، ما بين كتاتيب ومقارئ مفرقة فى المدارس ، والمساجد ، والزوايا ، والمشاهد ، والتكايا ، والملاجئ ، والمستشفيات(٢) .

وما برح القرآن يرتّل فى المحاريب ، والمحافل ، وفى مناسبات كثيرة ، وكانت الرسوم تجرى قديماً – فى جوامع مصر – إذا سلّم الإمام من صلاة الغداة ، أن يتلو القرآن(٣) .

ويعتقد المصريون « أن قراءة القرآن – فى البيوت ، أو فى الدكاكين – تجلب إليها البركة وتبعد الشياطين »(٤) .

وفى حديث حذيفة أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال « : إنّ القوم يبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضيًّا ، فيقرأ صبيٌّ من صبيانهم فى الكتاب : « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » فيسمعه الله تعالى ، فيرفع عنهم – بذلك – العذابَ أربعين سنة »(٥) .

يقول ابن حجر : « ولهذا الحديث شاهد ، فى مسند الدّارمى ، عن ثابت بن عجلان ، قال : كان يقال : « إنّ الله ليريد العذاب بأهل الأرض ، فإذا سمع تعليم الصبيان بالحكمة صرف ذلك عنهم ، يعنى بالحكمة : القرآن »(٦) .

والولد الحافظ للقرآن – حتى فى رأى البسطاء الآخذين أحياناً بالكتب التافهة – هو

---

(١) ابن الجزرى : غاية النهاية جـ ١ ص ٥٠٢ و٥٠٣ .

(٢) على الضباع شيخ المقارئ المصرية ، فى خطبة له ، فى حفل للجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم – مجلة كنوز الفرقان ع . أبريل ١٩٤٩ .

(٣) انظر : المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٢٠٥ .

(٤) أحمد أمين : قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ص ١٢٤ و١٢٥ .

(٥) انظر : ابن حجر العسقلانى : الكافى الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف ص ٣ .
والفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ١ ص ١٨٨ .

(٦) نفس المرجع .

هدية الله لأبويه يسرّهما به ، ويرحمهما به ، فى الدنيا والآخرة[١] .

وظل حفظ القرآن ، فى مصر ، إلى وقت قريب ، هو رأس الواجبات التى يُكلّفُها النشء فى المرحلة التعليمية الأولى ، فكانت المادةُ الرئيسية الغالبة ، فى سائر الكتاتيب والمدارس الأوّلية ، هى حفظ القرآن مجوّداً ، وكانت المواد الدراسية الأخرى – فوق كونها ثانوية – تقصد إلى خدمة هذا الحفظ .

والذين كانوا « يختمون » القرآن فى هذه المدارس والكتاتيب ، كانوا بمثابة « شتلات » صالحة تُنقل إلى أرض الأزهر ، فيزكو نباتها .

ولم تكن أبواب مدارس المعلمين الأولية ، والأزهر ، ومعاهده ، ودار العلوم وتجهيزيتها ، ومدرسة القضاء الشرعى تفتح أبوابها لغير حافظى القرآن المجوّدين .

٤

غير أن التعليم الرسمى – فى مصر – قام ، منذ أواخر الثلاثينات من هذا القرن ، على أساس الوحدة العامة ، وأخذ بالنظام المدنى الذى لا يلتزم بتحفيظ القرآن وتجويده ، بل يكتفى منه ببعض الآيات والسّور القصيرة تُحفظ وتُدرس دراسة سطحية ، فى حصص الديانة ، وهى حصص قليلة العدد ، ولا يعبأ بها الطلبة كثيراً ، لأنهم لا يؤدّون فى مقرراتها امتحاناً مَرْجُوًّا أو مَخْشِيًّا . ولهذا ، قلّ ، أو انعدم – فى ذلك النظام التعليمى – التفرغ لحفظ القرآن وتجويده .

فأما كتاتيب القرآن ومدارسه ، فقد صُرف النشء عنها – بالضرورة – إلى التعليم المدنى الذى كان – على الأغلب – سبيل الظفر بالشهادات الموصّلة إلى كل أو جلّ الوظائف العامة . وبقيت لهذه الكتاتيب والمدارس بقايا متواضعة تضم من يذودهم عنه التعليم العام ، لعاهات جسمية ، أو لأسباب أخرى[٢] .

وأغْضى الأزهر مضطرًّا عن الشرط الذى التزمه طول عمره ، وهو شرْط حِفْظ القرآن عند كل راغبى الالتحاق به ، فَقَبِل – فى معاهده وكلياته – مَنْ لا يحفظون القرآن ، وإن كان اشترط – لصيانة الشّكل فيما نظن – حفظ أجزاء يسيرة منه .

على أن من دواعى الأمل فى المستقبل صدور القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن تنظيم

---

(١) أبو معشر الكبير – المولودون فى برج الحمل والمريخ ص ١٤ .

(٢) انظر : جبهة علماء الأزهر : مذكرة بشأن حفظ القرآن الكريم ص ٢ (مطبوعة فى سبتمبر ١٩٥٩ م) .

الجامع الأزهر والهيئات التى يشملها ، فهو – كما تفيد المذكرة الإيضاحية لمشروعه – يستهدف تأهيل العالم الدينى للتخصص فى عمل من أعمال الخبرة والإنتاج التى تحتاج إليها نهضة المسلمين فى كل البلاد ، محاولاً بذلك علاج مشكلة التبطل بين خريجى الأزهر ، وما تستتبعُ من آثار سيئةٍ كثيرة [١] .

ويُعنى هَذا القانون ، فى الوقت نفسه ، بالاحتفاظ للأزهر بطابعه وخصائصه ، وصفته التاريخية المتميزة ، وإبقائه – كما كان منذ أكثر من ألف سنة – حصناً للدين والعروبة : « يرتقى به الإسلام ، ويتجدد ، ويتجلى فى جوهره الأصيل ، ويتسع نطاق العلم به ، فى كل مستوى ، وفى كل بيئة ، ويذاد عنه كلّ ما يشوبه وكلّ ما يُرمى به »[٢] .

ونعتقد أنّ فى رأس ما يكفل كلّ هذه الأغراض أن يلتزم أبناء الأزهر بحفظ القرآن الحفظَ الشاملَ الحقيقىّ الذى طالما امتاز به علماء الأزهر .

فأما مدارس المعلمين الابتدائية ، وكلية دار العلوم ، فقد أصبحت جميعاً لا تشترط حفظ القرآن . وأما مدرسة القضاء الشرعى فقد زالت مبكراً من الوجود التعليمى المصرى .

* * *

وبذل المعنيون بالقرآن جهوداً كبيرة فى محاولة تعميم حفظه ، وإنشاء مدارس وجمعيات ، فى أغلب أرجاء مصر ، لتعليمه [٣] . ولكن تيارات التعليم المدنى الكفيل بتفوق أصحابه –

(١) انقطع الأزهر عن الحياة العامة طويلاً (انظر : طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر ص ٣٥٠ – ٣٥٦) . وكان من آثار هذه العزلة ، وخاصة بين أهل القرآن ، أن اضطر بعض الناس إلى الانصراف عنه . وقد عثرنا فى عدد قديم من « نور الإسلام » التى كانت تصدرها مشيخة الأزهر على نصّ سؤال موجّه إلى هذه المجلة ، ومنه يتبين كيف كانت النفوس موزّعة بين رغبة فى دراسةٍ ظاهرة النفع فى الدّنيا ، وخشيةٍ من أن يكون ترك تعلّم القرآن مخالفاً للشرع .

وهذا نص السؤال :

« عندنا رجل كلما ذكر – بمجلسه – تعليم القرآن ، يقول : هذا الزمن ليس زمن القرآن ، وليس فى تعليم القرآن فائدة ، إنما الفائدة كلها فى تعليم المدارس . وكلما اجتمع بمن له ابن فى المكتب الذى يعلّم القرآن ، يقول له : هذا خطأ منك ، لأن القرآن ليس فيه فائدة ، والاشتغال به تضييع زمن على الأولاد ، فنرجو أن تبينوا ماذا عليه شرعاً فى النهى على تعلم القرآن » .

حسن مدنى حسن : التاجر بالغردقة

(ع . شعبان سنة ١٣٥٣ هـ) .

(٢) انظر : وزير الدولة كمال الدين محمود رفعت (المرحوم) : المذكرة الإيضاحية لمشروع هذا القانون فى : كتاب « الأزهر – تاريخه وتطوره » ص ٥٠٤ – ٥١٤ .

(٣) من أمثلة المحاولات التى بذلت فى هذا الشأن : إنشاؤى عدداً من المجالس القرآنية المسائية ، فى بعض مدارس الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم ، إبان رياستى لها سنة ١٩٥٩ ، لتعليم القرآن حفظاً وأداء وأحكاماً . ولم تعمّر هذه المجالس طويلاً ، لأسباب أهمّها العجز المالى .

اجتماعيًّا ، واقتصاديًّا – على أصحاب التعليم الدينى – قبل صدور القانون التنظيمى الأخير للأزهر – كانت أقوى من هذه الجهود ، فلم يتحقق المأمول .

* * *

نقص عدد الحفاظ بشكل لافت ، وأظهرت النتائج الرسمية لامتحانات القرآن ضعف الحفظ عند كثيرين من خريجى الأزهر ورجال المساجد ، وبدا كأنّ وَجه ذلك التاريخ التعليمى للقرآن وشيك التغير ، وأصبح موت أى حافظ حاذق للقراءات خسارة يصعب تعويضها ، وفى الصحيح : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبضه بقبض العلماء »[1] ، وبات علينا أن نحذّر المسلمين مغبة ذلك النقص ، ونخيفهم من ازدياده ، ونلتمس الوسائل لدرئه ، ولكفالة تعميم حفظ القرآن ، وتيسيره للناس ، فكانت وسيلتنا – إلى هذا أيضاً – المصاحف المرتلة التى تزود سامعها بمعلمين يقرئونه كأحسن ما يكون الإقراء ، ويدرّسون له وقتما يشاء .

٥

والنساء ما مدى إفادتهن من المصاحف المرتلة ؟

ونبادر ، فنذكر أن المرأة – فى ظل الإسلام – غيرها فيما قبله ، فقديماً – كما يعرف الدارسون – لما قرر أفلاطون ، فى جمهوريته ، مبدأ مساواة المرأة بالرجل فى حق التعلم وما يتفرع عليه من حقوق ، سخر منه مفكرو اليونان ، وفلاسفتهم ، وشعراؤهم .

وربما كان من مظاهر هذه السخرية أن « أريستوفان » أكبر شعراء الملهاة عند اليونان خصص لهذه السخرية التمثيليتين المعروفتين : « برلمان النساء » و « بلوتوس » .

وفى مجال القرآن ، نذكر أن ثلاثاً من نساء النبي صلى الله عليه وسلم كانت لهن مصاحف

= ومن المحاولات العظيمة التى بذلت : إنشاء حلقات فى مساجد وزارة الأوقاف لتحفيظ القرآن ، على عهد السيد أحمد عبد الله طعيمة ، فى سنة ١٩٥٩ أيضاً . وكان مقرر اللجنة المشرفة على هذه الحلقات هو صاحب مشروع الجمع الصوتى لدول القرآن، وكنا كتبنا فى الطبعة الأولى لهذا الكتاب ما نصّه : « وقد فتر الآن كثيراً عمل هذه الحلقات ، ونأمل فى فضل الله أن يعيننا على إعادتها قريباً أعزّ جانباً، وأبعد غاية ، وأنجح سعياً » . فالآن ، نذكر أنه ، بحمد الله وتوفيقه ، تحقق الكثير من المقصود برعاية وزير الأوقاف السابق الدكتور عبد الحليم محمود .

(١) انظر : الدارمى : سنن الدارمى : باب فى ذهاب العلم جـ ١ ص ٧٧ .
وأبو إسحق الشاطبى : الموافقات جـ ١ ص ٤٧ و ٤٨ – المقدمة الثانية عشرة .

خاصة ، على نحو ما بيّنّا فى موضع آخر . وقد عدّهن العادّون ضمن القراء من أصحاب النبى (ص)[١] ، وإحداهن : حفصة بنت عمر هى التى حفظت – بعد أبيها – نسخة الجمع الأول التى كانت أُولى مراجع لجنة الجمع العثمانى .

ووعى التاريخ تراجم نساء كنّ ذوات شأن فى خدمة القرآن :

فأم ورقة بنت عبد الله بن الحارث التى استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم – حين غزا بدرا – فى أن تخرج مع المسلمين ، تداوى جرحاهم ، وتمرّض مرضاهم ، والتى أمرها النبى أن تؤم أهل دارها ، والتى كان النبى يسميها الشهيدة كانت قد جمعت القرآن .

وميمونة بنت أبى جعفر القعقاع المدنى أحد القراء العشرة المختارين روت القراءة عن أبيها ؛ وروى القراءة عنها آخرون[٣] .

وحفصة بنت سيرين المتوفاة سنة ١١٦ هـ ، وأخت محمد بن سيرين ، وكانت زاهدة عابدة ، قرأت القرآن ، وهى بنت اثنتى عشرة سنة[٤] .

وكان فى قصر زبيدة بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور ، وزوجة هرون الرشيد ، وأم ولده الأمين « مائة جارية تقرأ القرآن ، فكان يُسمع من قَصْرها دوىٌّ كدوىّ النحل من القراءة »[٥] .

وذكر ابن فياض ، فى تاريخه ، فى أخبار قرطبة ، أنه كان بالرَّبَض الشّرقى من قرطبة مائة وسبعون امرأة ، كلّهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفىّ ، وكان هذا فى ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها ؟[٦] .

وعائشة بنت إبراهيم بن صديق زوج الحافظ المزّى المتوفاة سنة ٧٤١ هـ كانت تحفظ القرآن وتلقّنه النساء ، « وكانت عديمة النَّظير لكثرة عبادتها ، وحسن تأديتها القرآن ، تفضُل فى ذلك على كثير ، وأقرأت عدة من النساء وختمن عليها ، وانتفعن بها . . . »[٧] .

---

(١) السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٧٢ .

(٢) نفس المرجع ص ٧٨ .

(٣) ابن الجزرى : غاية النهاية جـ ٢ ص ٣٢١ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٢٧٥ .

(٥) نفس المرجع جـ ٢ ص ٢١٤ .

(٦) نقلاً عن : عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص ٣٧٢ .

(٧) انظر : ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة – السفر الثانى ، ص ٢٣٥ – الترجمة رقم ٢٠٨٠ (ط . حيدر أباد الدكن ، سنة ١٣٤٨ هـ) .

وأسماء بنت الفخر إبراهيم بن عرصة المتوفاة سنة ٨٠٧ هـ ، كانت تلقّن النسوة القرآن ، وتعلمهنّ العلم والقُرَبَ . . . . إلخ[١] .

وعرض ابن الجزرى السيرة العلمية لابنته « سلمى » ، فذكر ضمناً أنها « عرضت القرآن حفظاً ، بالقراءات العشر ، قراءة صحيحة مجوّدة مشتملة على جميع وجوه القراءات ، بحيث وصلت – فى الاستحضار – إلى غاية لا يشاركها فيها أحد فى وقتها »[٢] .

وذكَرَ عن أم الدرداء الصغرى هجيمة بنت حيى ، أنه أخذ القراءة عنها قراء بارزون سمّاهم ، وأنها كانت فقيهة كبيرة القدر[٣] .

وذكر الأدفوى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ أن تاج النساء ابنة عيسى بن على بن وهب لقوصية « سمعت من أبى عبد الله بن عبد المنعم الخيمى ، بقراءة عمها الشيخ الإمام أبى الفتح محمد القشيرى ، فى جمادى الآخرة سنة ٦٧٩ هـ . »[٤]

وفى القصص العربى ما يؤيد إمكان وجود الجارية المسلمة العالمة بالقراءات، فالجارية « تودُّد » من أشخاص « ألف ليلة وليلة » تفخر بأنها تقرأ القرآن بالسبع ، وبالأربع عشرة[٥] .

ومما روته السّنّة أن تعليم المرأة شيئاً من القرآن يصحّ – فى الإسلام – أن يكون مهراً لها[٦]

وحتى الذين كرهوا للمرأة تعلم الكتابة ورواية الشعر ، دَعَوْا إلى تعليمها القرآن ، وكان يقال : « لا تعلموا بناتكم الكتاب ، ولا تروّوهن الشِّعْر ، وعلموهن القرآن ، ومن القرآن سورة النور[٧] . »

وقرأت المرأة القرآن بالألحان قراءة مؤثرة . وممن تحدث عنهنّ المنقبيّون جارية يقال لها شبرة ، قرأت – مرة – على إخوان مالكها ، بصوت فيه ترجيع حزين ، فكانوا يلقون العمائم عن رءوسهم ، ويبكون ، وأعتقها صاحبها لوجه الله[٨] .

* * *

---

(١) المرجع السابق – السفر الأول ، ص ٣٦٠ – الترجمة رقم ٩٠٠ .

(٢) غاية النهاية جـ ١ ص ٣١٠ .

(٣) نفس المرجع ص ٣٥٤ .

(٤) الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ص ٩٠ .

(٥) جـ ١ ص ٦١٥ الليلة ٤٣٨ (ط . بولاق) .

(٦) انظر : رشيد رضا : تفسير المنار جـ ٥ ص ١٩ (ط ١٣٢٨ هـ) .

(٧) انظر : الجاحظ : البيان والتبيين جـ ٢ ص ١٨٣ (ط . مصطفى محمد ١٩٤٧) .

(٨) أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ ٤ ص ٢٦٤ .

ولكن تلقى المرأة العلم عن الرجال مقيّد ، فحتى منذ ما قبل الإسلام ، كان فيثاغورث يرى أن يعلّم الرجالُ الرجالَ ، وتعلّم النساءُ النساء[١] .

ومرّ الوليد بن عبد الملك بمعلم صبيان ، فرأى جارية ، فقال : ويلكَ ! ما لهذه الجارية ؟ قال : أعلّمها القرآن ؛ قال : فليكن الذى يعلّمها أصغر منها[٢] .

وقال عمر بن عبد العزيز لميمون بن مهران ، وهو يعظه : احفظ عنى أربعاً : وذكر أشياء أحدها : « ولا تخلونّ بامرأة وإن قرّأتها القرآن . . . »[٣]

* * *

والنساء – بعدُ – نصف المجتمع ، أو يزدن ، وعليهن مثل ما على الرجال من مسؤولية طلب العلم . فلعلّ المصحف المرتل الذى يستطعن سماعه ، فى كل مكان ، وفى كل وقت ، أن يكون لهن القارئ المحقق ، والمقرئ الخبير الذى يتصل سنده بأئمة القراءات ، والذى هو نموذجىّ الأداء ، والذى لا يضيرهنّ أن يكبرهن أو يصغرهن ، وأن يخلو إليهنّ أو يخلون إليه ، والذى يؤدى إليهنّ حقًّا يحببنه ، ويحبّه لهنّ الإسلام ، والذى يطمئن إليه – بإطلاق – الوضع الاجتماعى الإسلامى .

٦

والمكفوفون من المسلمين : هم – لاعتبارات دنيو ية ، فضلا عن الاعتبارات الدينية – من أشد الفئات حاجة إلى حفظ القرآن وتجويده . وقد جرى المسلمون فعلا على هذا ، منذ قديم ، فظهر ، فى أغلب البلاد الإسلامية ، حفاظ وقراء ومقرئون كثيرون من المكفوفين[٤]

وقد ذكر ابن رجب الحنبلى الذى عاش فى القرن الثامن الهجرى ، عن أحد أئمة المساجد ، فى بغداد ، أنه كان معنيًّا بتعليم العميان القرآن ، فبلغ عدد من أقرأهم القرآن منهم سبعين ألفا .

---

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٦٠ و ٦١ .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين جـ ٢ ص ٢٠٣ .

(٣) الطرطوشى : سراج الملوك ص ١١٩ .

(٤) انظر تراجم عدد من كبار أساتذة القراءات المكفوفين فى : ابن الجزرى : غاية النهاية جـ ١ ص ١٨ و ٦٥ و ٢٤٣ و ٢٥٩ و ٢٨٠ و ٣٠١ و ٣٥١ و ٣٩١ و ٣٩٢ و ٤٢٠ و ٤٦٥ و ٥٠٦ .

وجـ ٢ ص ٢٠ و ١٩٥ و ٢٣٥ و ٣١٧ .

(٥) ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ ص ٩٦ .

وأعداد المكفوفين ما زالت غير قليلة فى البلاد الإسلامية (١) ، ومن ثم وجبت العناية بهم .

وطريقة التلقين الشفهى هى الطريقة المثلى لتعليم القرآن ، كما أوضحنا ، ولكن المبصرين يضيفون إليها طريقة الحفظ من المصحف المكتوب . أما المكفوفون ، فالتلقى الشفهى هو طريقهم الوحيدة . نعم ، إنّ المعنيين بالمكفوفين اهتموا أخيراً بطبع القرآن بطريقة بريل Braille (٢) ولكن ثمة صعوبات فى استعمالها ، فهى تستلزم مجلّدات كبيرة يثقل – بالضرورة – حملها ، وهى تستلزم تدريباً ليس يتاح لكل مكفوف ، وهى – بعدُ – لا يؤمن تعريضها القارئ للخطأ ، فضلا عن أنها – على أحسن فرض – مثلُ الكتابة العادية لا تعلّم الأداء .

فالآن ، نأمل أن يجد المكفوفون هم الآخرون ، فى المصحف المرتل ، المعلّم التقنيدىّ ، وهو هنا من أجود المجوّدين ، وأدقهم أداء ، فضلا عن أنه أطول المعلمين حصصاً ، وأنسبهم لطالبه موعداً ، وأخفّهم عليه أجراً .

٧

غير أن أسطوانات المصحف المرتل لا تسمع إلاّ بوساطة لاقط صوتى (Pick – up) ، أو جراموفون ، وهذا يقتضى غالباً الكهرباء ، وهى لم تصل – بعدُ – إلى جهات فى ريفنا ، ولا إلى بلاد إسلامية كثيرة ، فى أفريقيا وآسيا . ولهذا يجب استعمال الجراموفونات ذات البطاريات الجافة فى المناطق غير المكهربة (٣).

وبالله التّوفيق .

---

(١) مثلاً عددهم – هم ومن فى حكمهم فى القاهرة وحدها – ١٦١٤٤ ، وفى كل محافظات جمهورية مصر العربية ٢٢٤,٤٩٢ (انظر الإحصاء السنوى العام لسنة ١٩٦٢ الصادر من مصلحة الإحصاء والتعداد بالقاهرة – جدول توزيع السكان حسب العاهات – الجدول ١٧ ص ٧٦) .

(٢) نشرت جريدة الأهرام ، فى ١٠ يوليو ١٩٥٨ ، أن المجلس الأعلى للأزهر وافق على طبع القرآن الكريم بهذه الطريقة ، ونشرت الأهرام ، فى نفس اليوم ، وفى يومى ٨ أغسطس ١٩٥٨ ، و ١٧ ديسمبر ١٩٥٩ أن المركز النموذجى لرعاية المكفوفين العرب بالزيتون تولى هذا الطبع ، ونشرت فى ٢٨ نوفمبر ١٩٦١ أن الجمهورية العربية المتحدة أهدت إلى السودان مصحفاً مطبوعاً بتلك الطريقة .

(٣) سعى صاحب المشروع سعيه – فى أواخر سنة ١٩٦٣ وأوائل سنة ١٩٦٤ – فوفقه الله – تعالى – إلى عقد صفقة كبيرة من هذا النوع من الجراموفونات بين وزارة الأوقاف والمؤسسة المصرية للإذاعة .

الفصل الثالث

علاج مشكلة اختلاف الرسم القرآنى عن الرسم الإملائى

١

يعرّف الخط بأنه : تصوير اللفظ بحروف هجائه . ومن هنا ، كان الأصل فى كلّ مكتوب أن يكون موافقاً تماماً للمنطوق به زيادة ونقصاً وتغييراً . بيد أن هذا الأصل خولف – كثيراً – فى المصحف المكتوب ، وظل مصطلح الرسم القرآنى مستقلا بنفسه ، جارياً – فى بعض ألفاظه – على غير قياس ، غير متأثر ببعض القواعد الهجائية القديمة أو المستحدثة .

٢

ومن أمثلة اختلافات الرسم القرآنى عن الرسم الإملائى :

١ – حذف الألف اختصاراً [١] .

٢ – حذف الألف ، بعد « يا » التى للنداء ، وبعد « ها » التى للتنبيه ، وغير ذلك [٢] .

٣ – حذف الألف ، بعد اللّام فى بعض المصاحف [٣] .

٤ – رسم التثنية المرفوعة بغير ألف [٤] .

٥ – حذف الألف ، بعد النون ، فى بعض المواضع [٥] .

٦ – حذف الألف – فى بعض المواضع – بعد العين ، والباء ، والياء ، والطاء ، والسين ، والحاء ، والصّاد ، والتاء ، والهاء ، واللام ، والواو ، والراء ، والهمزة [٦] .

٧ – حذف الألف ، من الأسماء الأعجمية ، ومن الجمع السالم [٧] .

---

(١) انظر : أبو عمرو الدانى : المقنع ص ١٠ – ٢٩ .

(٢) نفس المرجع ص ١٦ .

(٣) نفس المرجع ص ١٧ .

(٤) نفس المرجع .

(٥) نفس المرجع .

(٦) نفس المرجع ص ١٨ و١٩ .

(٧) نفس المرجع ص ٢١ .

٨ – حذف ألف النصب ، إذا كان قبلها همزة قبلها ألف [١] .

٩ – حذف الألف ، بعد واو الجمع [٢] .

١٠ – حذف ألف الوصل [٣] .

١١ – حذف الياء اجتزاءً بكسر ما قبلها منها [٤] .

١٢ – حذف الواو اكتفاءً بالضمة منها ، أو لمعنى غيره [٥] .

١٣ – حذف الواو التى هى صورة الهمزة ، وحذف إحدى الواوين اكتفاءً بإحداهما [٦] .

١٤ – إثبات الألف على اللفظ أو المعنى [٧] .

١٥ – إثبات الياء على الأصل [٨] .

١٦ – إثبات الياء زائدة أو لمعنى [٩] .

١٧ – حذف إحدى الياءين اختصاراً ، وإتباعها – فى بعض المواضع – على الأصل [١٠] .

١٨ – رسم الياء – فى مواضع – على مراد التّليين للهمزة [١١] .

١٩ – زيادة الواو – فى رسم المصحف – للفرقان ، أو لبيان الهمزة [١٢] .

٢٠ – رسم الألف واواً ، فى بعض المواضع [١٣] .

٢١ – رسم الواو – فى مواضع – صورةً للهمزة ، على مراد الاتصال ، أو التسهيل [١٤] .

٢٢ – حذف إحدى اللّامين – فى الرسم – لمعنى ، وإثباتها – فى مواضع أخرى – على الأصل [١٥] .

٢٣ – كتابة بعض الحروف مقطوعة على الأصل ، وموصولة على اللفظ [١٦] .

٢٤ – رسم هاءات التأنيث ؛ بالتاء المفتوحة ، على الأصل ، أو مراد الوصل [١٧] .

وقد نشأ – بسبب هذه الاختلافات – علْم الرسم القرآنى .

وقد أجمل صاحب (إتحاف فضلاء البشر) حاصل خط المصحف فى الآتى [١٨] :

---

(١) نفس المرجع ص ٢٦ .
(٢) نفس المرجع ص ٢٦ و٢٧ .
(٣) نفس المرجع ص ٢٩ .
(٤) نفس المرجع ص ٣٠ .
(٥) نفس المرجع ص ٣٥ .
(٦) نفس المرجع ص ٣٦ .
(٧) نفس المرجع ص ٣٨ – ٤٤ .
(٨) نفس المرجع ص ٤٥ – ٤٦ .
(٩) نفس المرجع ص ٤٧ – ٤٨ .
(١٠) نفس المرجع ص ٤٩ – ٥٠ .
(١١) نفس المرجع ص ٥١ – ٥٢ .
(١٢) نفس المرجع ص ٥٣ .
(١٣) نفس المرجع ص ٥٤ – ٥٥ .
(١٤) نفس المرجع ص ٥٥ .
(١٥) نفس المرجع ص ٦٧ – ٦٨ .
(١٦) نفس المرجع ص ٦٨ – ٧٦ .
(١٧) نفس المرجع ص ٧٧ – ٨٢ .
(١٨) ص ١٠ .

١ – أن الحرف يبدل فى الرسم ، ويلفظ به اتفاقاً ، مثل (اصطبِر) .
٢ – ويرسم ، ولا يلفظ به اتفاقاً ، مثل (الصّلَوٰة) .
٣ – ويرسم ، ويُختلف فى اللفظ به ، مثل (العَدٰوة) .
٤ – ويزاد ، ويلفظ به اتفاقاً ، مثل (حسابيه) .
٥ – ويزاد ، ولا يلفظ به اتفاقاً ، مثل (أُولَٰئِك) و (مِائَة) .
٦ – ويزاد ، ويختلف فيه ، مثل (سُلْطَانِيه) .
٧ – ويحذف كذلك ، نحو : (بِسْمِ الله) و (يَٰرَبِّ) و (الرَّحْمَٰن) و (الدَّاع)
٨ – ويوصل ، ويتبعه اللفظ ، مثل : (مَناسِككم) .
٩ – ويخالفه ، نحو : (كٓهيعٓصٓ) و (يَٰٓسٓ) .
١٠ – ويختلف فيه ، نحو : (وَيْكَأَنّ) .
١١ – ويفضل ، ويوافق ، نحو (حٰمٓ) و (عٓسٓقٓ) .
١٢ – ولا يوافق ، مثل (إِسْرَٰءِيل) .
١٣ – ويُختلف فيه ، نحو (مال) .

* * *

٣

وقد جوّز بعض العلماء مخالفة هذا الرسم ، ومطابقة المكتوب للمنطوق بإطلاق .
ومن حججهم :
أن الخطوط والرسوم ليست إلاّ علامات وأَمَارات ، فكل رسم يفيد وجه القراءة فهو صحيح ؛ والرسم العثمانى – إذ يخالف الإملاء العادىّ – يشقّ على كثير من الناس ، ويوقعهم فى الحرج والالتباس .
وهو – بعدُ – لا يحتّمه الكتاب أو السنّة ، ولا يعدو أن يكون اجتهاداً من الصحابة يجوز عليه الخطأ والصواب ، ولا يبعد أن يكونوا قد أخطأوا بسبب حداثة عهدهم بالكتابة[1] .

---

(١) انظر : ابن خلدون : المقدمة (بتحقيق على عبد الواحد وافى) جـ ٣ ص ٩٥٣ و ٩٥٤ .
ويقول حفنى ناصف ، فى معارضة بقاء الرسم العثمانى للمصحف :

بل إن عزّ الدين بن عبد السلام [١] كان يقول : « لا يجوز كتابة المصحف الآن على المرسوم الأول ، باصطلاح الأئمة ، لئلا يوقع فى تغيير من الجهال »[٢] .

وذكر بعضهم أن ما جاء من وجوب اتباع رسم المصحف إنما كان فى الصّدر الأول ، والعلم غضٌّ حيّ ، وأما الآن فقد يُخشى الالتباس[٣] .

ورأى بعضهم قصر الرسم بالاصطلاح العثمانى على مصاحف الخواصّ ، وإباحة رسمه للعوامّ ، بالاصطلاحات الشائعة بينهم[٤] .

وربّما راعى هؤلاء أنّ النشء والمسلمين – من غير الناطقين بالعربية – لا يسيغون أن ينطقوا بغير ما ينبى عنه ظاهر الرسم . ويقول بعض المعاصرين : « الغرض من كتابة القرآن : أن نقرأه صحيحاً ، لنحفظه صحيحاً ، فكيف نكتبه بالخطأ ، لنقرأه بالصّواب ؟ وما الحكمة فى أن يقيّد كلام الله بخطٍّ لا يكتب به اليوم أىّ كتاب ؟ »[٥].

* * *

ولبعض النصارى – فى شأن هذا الرسم – إشارة ربّما قصدت أن تنزع عنه لباسه الإسلامى ، فهو – فيما يقرّرون – سريانىّ الأصل مسيحىّ الاستعمال ، ذلك أنّ الخط

= « ولا نعلم أنّ أحداً من العلماء تحكك فى هذا الأمر إلا ابن خلدون ، فى القرن الثامن ، وبعض رجال الأزهر ، فى القرن الرابع عشر ، وليس أحدٌ منهما إماماً مجتهداً ، والحمد لله » . (تاريخ المصحف – مقدمة كتاب فى قواعد رسم المصحف – بحث نشر فى « المقتطف » ع . أول يوليو ١٩٣٣ – ٨ ربيع الأول ١٣٥٢ هـ الجزء ٢ من المجلد ٨٣ ص ٢٠٥ – ٢٠٦)

(١) ولد فى دمشق سنة ٥٧٧ هـ ، وولى الخطابة والإمامة فى الشام ، وولى الخطابة والقضاء والفتيا والتدريس فى مصر ، وخدماته للإسلام فى الحروب الصليبية والتربيّة معروفة . وتوفى سنة ٦٦٠ هـ .

انظر : السبكى : طبقات الشافعية جـ ٥ ص ٨٠ – ١٠٧ .

وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٦ و جـ ٧ فى مواضع متفرقة .

والسيوطى : حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٤١ وجـ ٢ ص ٣٨ و ١٠٩ و ١١٠ ،

والمقريزى : السلوك جـ ١ ص ٣١٢ و ٣٥٤ و ٤١٦ .

وابن إياس : بدائع الزهور جـ ١ ص ٩٤ .

(٢) الزركشى : البرهان جـ ١ ص ٣٧٩ و ٣٨٠ ،

وانظر : الدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٩ .

(٣) انظر : الزّركشى : المرجع السابق جـ ١ ص ٣٧٩

(٤) انظر : الدمياطى البنا : المرجع السابق ص ٩ .

(٥) أحمد حسن الزيات : مجلة الرسالة ع ٩ يناير سنة ١٩٥٠ .

وفى أعوام أسبق قليلاً من هذا التاريخ ، دعا إلى تغيير الرسم الاصطلاحىّ للقرآن الشيخ حسين والى رئيس لجنة الفتوى بالأزهر ، وعضو مجمع اللغة العربية فى مصر .

الكوفىّ الذى هو خطُّ المصاحف الأولى أصلُه – بزعمهم – الخط السّطرنجيلى الذى كان السّريان يكتبون به الأسفار المقدسة النصرانية . وآية هذا – فيما يذكر ون – أنه ، كقاعدة مطّردة فى الكتابة السّريانية ، إذا جاءت الألف حرفَ مدّ فى وسط الكلمة حُذفت ، وكذلك فَعَل كتّاب القرآن فى صدر الإسلام ، حيث كتبوا مثلا : (الكتٰب) بدل (الكتاب) ، و (الظٰلمين) بدل (الظالمين)[١]

* * *

ويسرف بعض المعاصرين فى نقد الرسم الاصطلاحى ، فيقول : إنه « يقلب معانى الألفاظ ، ويشوّهها تشويهاً شنيعاً ، ويعكس معناها بدرجة تكفِّر قاريه ، وتحرِّف معانيه ، وفضلا عن هذا ، فإن فيه تناقضاً غريباً وتنافراً معيباً لا يمكن تعليله ، ولا يستطاع تأويله[٢] » .

٤

ولكن الثابت أن الجمهور على أن هذا الرسم لا يجوز فيه القياس[٣] ، وأنه توقيفى[٤] : « عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » – [٥] « نٓ ، وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ » [٦]

وربما كان من دلائل هذه التوقيفية أن الكلمة من القرآن قد تُكتب فى بعض المواضع برسم ، وفى مواضع أخرى برسم آخر ، مع أنها هِيَ هِيَ . والأمثلة على هذا أكبر من أن يتسع لها المقام[٧] ، ولكننا – ابتغاء الإيضاح – نورد قليلا جداً منها :

١ – كلمة « بسم » :

محذوفة الألف فى كل فواتح السُّوَر ، وفى الآيتين : « بِسْمِ اللهِ مَجْرٖىٰهَا »[٨] – « وَإِنَّهُ

---

(١) يوسف داود (المطران) : اللمعة الشهية فى اللغة السّريانية ط . الموصل ١٨٧٩ م .
وجورجى زيدان : التمدن الإسلامىّ جـ ٣ ص ٥٨ و ٥٩ .

(٢) ابن الخطيب : الفرقان ص ٧١ .

(٣) على القارى : شرح العقيلة – المخطوطة رقم ٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة – الورقة ٢

(٤) الزركشى : المرجع السابق جـ ١ ص ٣٧٧ .
ومعنى توقيفى : أنه يتوقف على السماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس للعقل فيه مجال .

(٥) سورة العلق / ٤ و ٥ . (٦) سورة القلم / ١ .

(٧) انظر : نظام الدين النيسابورى : غرائب القرآن ورغائب الفرقان – المقدمة السابعة فى ذكر الحروف التى يكتب بعضها على خلاف بعض فى المصاحف ، وهى – فى الأصل – واحدة جـ ٢ ص ٣٢ – ٤٠ .

(٨) سورة هود / ٤١ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ أَلَّا تَعْلُوا عَلَىَّ » (١) بينما هى مثبتة الألف فى الآيات : « فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ » (فى سورتى : الواقعة والحاقة) (٢) – « إِقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ » (٣) .

٢ – كلمة « تبارك » :

محذوفة الألف فى الآيتين : « تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ » (٤) – « تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ » (٥) ، بينما الألف مثبتة فى الآيات : « تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ » (٦) – « فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ » (٧) – « تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ » (٨) – « تَبَارَكَ ٱلَّذِى إِنْ شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا » (٩) « فتبارك الله رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ » (١٠) .

٣ – كلمة « بنات » :

محذوفة الألف فى الآيات : « وَبَنَـٰتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ » (١١) – « وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ » (١٢) – « أَمْ لَهُ ٱلْبَنَـٰتُ » (١٣) ، ولكن ألفها مثبتة فى الآيات : « هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى » (١٤) – « مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ » (١٥) – « أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ » (١٦) .

٤ – كلمة « أعناب » :

محذوفة الألف فى الآيات : « وَجَنَّـٰتٌ مِنْ أَعْنَـٰبٍ » (١٧) – « وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ » (١٨) – « وَمِنْ ثَمَرَاتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ » (١٩) – « حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا » (٢٠) ، ولكن الألف مثبتة فى الآيتين : « أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ » (٢١) – « وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ » (٢٢) .

٥ – كلمة « سبحان » :

محذوفة الألف فى الآيات : « سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا » (٢٣) – « سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عذاب

---

(١) سورة النمل / ٣٠ و ٣١ .
(٢) سورة الواقعة / ٩٦ ، وسورة الحاقة / ٥٢ .
(٣) سورة العلق / ١ .
(٤) سورة الرحمن / ٧٨ .
(٥) سورة الملك / ١ .
(٦) سورة الأعراف / ٥٤ .
(٧) سورة المؤمنون / ١٤ .
(٨) سورة الفرقان / ١ .
(٩) سورة الفرقان / ١٠ .
(١٠) سورة غافر / ٦٤ .
(١١) سورة الأنعام / ١٠٠ .
(١٢) سورة النحل / ٥٧ .
(١٣) سورة الطور / ٣٩ .
(١٤) سورة هود / ٧٨ .
(١٥) سورة هود / ٧٩ .
(١٦) سورة الصافات / ١٤٩ .
(١٧) سورة الرعد / ٤ .
(١٨) سورة النحل / ١١ .
(١٩) سورة النحل / ٦٧ .
(٢٠) سورة النبأ / ٣٢ .
(٢١) سورة البقرة / ٢٦٦ .
(٢٢) سورة الأنعام / ٩٩ .
(٢٣) سورة البقرة / ٣٢ .

obeikandi.com

النَّار »[١] – « سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى »[٢] – « سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ »[٣] – « سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً »[٤] ، بينما الألف مثبتة فى الآية : « قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولاً »[٥]

٦ – كلمة « رحمة » :

كتبت بالهاء فى أغلب المواضع ، ولكنها مكتوبة بالتاء فى الآيات : « أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللهِ »[٦] – « إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ »[٧] – « رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَتُهُ »[٨] – « ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ »[٩] – « إِلَى ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللهِ »[١٠] – « أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ »[١١] – « وَرَحْمَتُ رَبِّكَ »[١٢]

٧ – كلمة « سيماهم » :

كُتبت بالياء فى الآيات : « تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ »[١٣] – « وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ »[١٤] – « وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ »[١٥] – « وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ »[١٦] – « يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ »[١٧] بينما كتبت بالألف فى الآية : « سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ »[١٨]

٨ – كلمة (كتاب) :

حُذفت ألف التاء إلاّ فى أربعة مواضع :

« لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاب » بالرعد[١٩]– « كِتَابٌ مَّعْلُوم » بالحِجر[٢٠] – « من كِتَابِ رَبِّكِ » بالكهف[٢١]– « وَكِتَابٍ مُّبِين » أول النمل[٢٢].

* * *

---

(١) سورة آل عمران / ١٩١ .
(٢) سورة الإسراء / ١ .
(٣) سورة الإسراء / ٤٣ .
(٤) سورة الإسراء / ١٠٨ .
(٥) سورة الإسراء / ٩٣ .
(٦) سورة البقرة / ٢١٨ .
(٧) سورة الأعراف / ٥٦ .
(٨) سورة هود / ٧٣ .
(٩) سورة مريم / ٢ .
(١٠) سورة الروم / ٥٠ .
(١١) سورة الزخرف / ٣٢ .
(١٢) سورة الزخرف / ٣٢ .
(١٣) البقرة / ٢٧٣ .
(١٤) الأعراف / ٤٦ .
(١٥) الأعراف / ٤٨ .
(١٦) محمد / ٣٠ .
(١٧) الرحمن / ٤١ .
(١٨) الفتح / ٢٩ .
(١٩) الآية ٣٨ .
(٢٠) الآية / ٤ .
(٢١) الآية / ٢٧ .
(٢٢) الآية / ١ .

والثابت أيضاً أنّ الجمهور على أن اتباع حروف المصحف كالسُّنن القائمة التى لا يجوز لأحد أن يتعدّاها [١].

٥

وللمسلمين – فى وجوب التمسك بالرسم القرآنى المأثور – حجج نجملها فيما يلى :

١ – أن النبى (ص) كان له كتّاب يكتبون الوحى ، وبحضرته كتبوه كلّه بهذا الرسم ، فكما يقول كتاب (إتحاف فضلاء البشر) : « لم يكن ذلك من الصحابة كيف اتّفق ، بل عن أمر – عندهم – قد تحقّق [٢] ، وكأن النبىَ صلى الله عليه وسلم قد أقرّ هذا الرسم .

ولن يقلّل – فى رأيهم – من شأن هذا الإقرار ، أن النبى (ص) كان أمّيًّا لا يعرف الكتابة بالاصطلاح والتعليم من الناس . « فمن جهة الفتح الرّبّانى : كان النبى – صلى الله عليه وسلم – يعرف القراءة والكتابة ويعرف أكثر منهما » [٣] .

والذى نعتقده فى هذا الشأن هو أن اللهَ الّذِى أكّدَ حِفْظَه لكتابِه إذ يقول : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون » [٤] ، لم يكن ليدع الخطأ يقع فى كتابه أصلِ شريعته وعمادِ دينه ، ولا يلهم نبيَّه تصحيحه ، وهذا إذا رفضنا – مع الرّافضين – رأى من قالوا ما مات رسول اللهِ – صلى الله عليه وسلّم – حتى كتب وقرأ [٥] ، ورفَضْنا أيضاً رأى من قالوا بأنّ أمّيَّة النبى (ص) كانت على أولى حياته ، ثم أوتى الكتابة على أخراها [٦] .

* * *

٢ – أن كتابة القرآن على الهيئة المعروفة هو – كما يقال – « لأسرار لا تهتدى إليها العقول ، وهو سرّ من الأسرار خصّ الله به كتابه العزيز ، دون سائر الكتب السماوية ، فلا يوجد شىء من هذا الرسم فى التّوراة ، ولا فى الإنجيل ، ولا فى الزّبُور ، ولا فى غيرها من الكتب السماوية » [٧].

---

(١) الزركشى : المرجع السابق جـ ١ ص ٣٨٠ . (٢) ص ١٠ .

(٣) انظر : محمد بن على بن خلف الحسينى : إرشاد الحيران ص ٢٧ .

(٤) سورة الحجر / ٩ .

(٥) روى هذا عن ابن أبى شيبة وغيره . وانظر : على الضباع : بحث فى مجلة كنوز الفرقان ع ١ و ٢ سنة ١٣٦٩ هـ ص ٧

(٦) البحث السابق ص ٨ .

(٧) محمد بن على بن خلف الحسينى : إرشاد الحيران ص ١٤ و ١٥ .

« وكما أن نَظْم القرآن معجز ، فرسمه معجز ، وكيف تهتدى العقول إلى سرّ زيادة الألف فى « مِائَة »[١] دون « فِئَة »[٢] ؟ وإلى سرّ زيادة الياء فى « بِأَيْيْدٍ »[٣] و « بِأُيِّيكُمْ »[٤] ؟ أم كيف تتوصل إلى سرّ زيادة الألف فى « سَعَوْا » بـ (الحجّ)[٥] ، ونقصانها من « سَعَوْ » بـ (سبأ)[٦] ؟ أم كيف تبلغ العقول إلى درجة حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة دون بعض ؟ إلخ »[٧]

ويقول أصحاب هذا الرأى إنّ كلّ ذلك هو « لأسرار إلهية ، وأغراض نبوية ، وإنما خَفِيَتْ على الناس ، لأنها أسرار باطنية ، لا تُدْرَك إلا بالفتح الرّبانى ، فهى بمنزلة الألفاظ والحروف المتقطّعة التى فى أوائل السّور ، فإن لها أسراراً عظيمةً ، ومعانى كثيرة ، وأكثرُ الناس لا يهتدون إلى أسرارها ، ولا يدركون شيئاً من المعانى الإلهية التى أشير إليها ، فكذلك أمْرُ الرَّسْمِ الذى فى القرآن حرفاً بحرف »[٨].

* * *

٣ – أن أبا بكر كتب القرآن بهذه الهيئة ، فى صحف ، بإشراك الصَّحابة ورضاهم ، ولم يخالفها أحد منهم ، وتبعه عثمان ، على ملأ من الصَّحابة ، وبرضاهم أيضاً ، ثم لم يُنقل أنّ أحداً من التابعين وتابعيهم رأى أن يَسْتَبْدِل – فى العصور التى تقدمت فيها طرائق الكتابة – بالرسم العثمانى رسماً مُحْدثاً . وما دام قد انعقد الإجماعُ على تلك الرسوم فلا يجوز العدول عنها إلى غيرها ، إذ لا يجوز خرق الإجماع بوجه »[٩].

والإجماع حُجَّةٌ ، حسبما تُقَرِّر الأصول ، ومُحَالٌ – فى حقِّ الصَّحابة – أن يخالفوا ما أقره النبى (ص) ، ويتصرفوا فى القرآن ، بأىّ زيادة أو نقصان ، وإلاّ « لزم تطرّق الشكّ إلى جميع ما بين الدّفَّتين ، لأننا ، مهما جوّزنا أن تكون فيه حروف ناقصة أو زائدة على ما فى علم النبى – صلى الله عليه وسلّم – وعلى ما عنده ، وأنّها ليست بوحى ولا من عند الله ، ولا نعلمها بعينها ، تشككنا فى الجميع . ولئن جوّزنا لصحابىّ أن يزيد فى كتابته حرفاً ليس بوحى

(١) سورة الأنفال / من الآيتين : ٦٥ و٦٦ .
(٢) سورة البقرة / من الآية ٢٤٩ .
(٣) سورة الذاريات / من الآية ٤٧ .
(٤) سورة القلم / من الآية ٦ .
(٥) من الآية ٥١ .
(٦) من الآية ٥ .
(٧) محمد بن على بن خلف الحسينى : إرشاد الحيران ص ١٦ – ١٨ .
(٨) نفس الكتاب ص ١٨ و١٩ .
(٩) انظر نفس الكتاب ص ٤١ و٤٢ .

لَزِمَنَا أن نجوّز لصحابى آخر نقصاً فى حرف من الوحى ، إذ لا فرق بينهما ، وحينئذ تنحلّ عقدة الإسلام بالكلية »[١].

والشافعى يقول فى الصحابة : إنهم « أدّوْا إلينا سُنن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وشاهدوه ، والوحى ينزل عليه ، فعلموا ما أراد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عامًّا ، وخاصًّا ، وعزماً ، وإرشاداً ، وعَرَفُوا من سننه ما عَرَفْنا وجَهِلْنا ، وهم فوقنا فى كل علم ، واجتهاد ، وورع ، وعقل ، وأمرٍ استُدْرِكَ به عِلْمٌ وَاسْتُنْبِطَ به . وآراؤهم لنا أحْمَد ، وَأوْلَى بنا من رأينا عند أنفسنا »[٢].

ويقول أبو البقاء العكبرى فى كتاب « اللُّباب فى علل البناء والإعراب » :

« ذهب جماعة من أهل اللغة إلى كتابة الكلمة على لفظها إلاّ فى خط المصحف ، فإنهم اتّبعوا ، فى ذلك ، ما وجدوه فى الإمام . والعمل على الأول »[٣].

وربمـا أوهن القول بأن الصحابة كانوا يجهلون قواعد الكتابة أن كتاباتهم وخطوطهم – وما زالت لها ، أو للكتابات المعاصرة لها بقايا – خالية من الخطأ الإملائى ، وأنهم لا بدّ قد كتبوا فيما بينهم الديون والعقود ، ولا بدّ أنها كانت وفق القواعد الإملائية العاديّة ، وإلا اعتَـورَها اللبس . ولعل من أمثلة عنايتهم بدفع الخطأ – فى فهم الكتابة – تمييزهم بين عمر وعمرو ، بزيادة واو فى الثانى[٤] .

* * *

٤ – والفقهاء مجمعون ، أو كالمجمعين على هذا الرسم :

سئل مالك : أرأيت من استكتب مصحفاً ، أترى أن يُكْتَبَ على ما أحدثه الناس من الهجاء اليوم ؟

قال : لا أرى ذلك ، ولكنّه يُكْتَبُ على الكِتْبة الأولى : كِتْبة الوحى .

قال الدانى معقّباً على هذا : ولا مخالف له (يعنى مالكاً) فى ذلك من علماء الأمة[٥].

---

(١) نفس الكتاب ص ٢٣ – ٢٥ .

(٢) نقلاً عن النشر جـ ١ ص ١٢ .

(٣) الورقة ٣٠ من المخطوطة رقم ٢٣ نحو ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٤) انظر : محمد طاهر بن عبد القادر الكردى : تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ص ١٢٨ – ١٣١ .

(٥) المقنع ص ١١ من النسخة المخطوطة السالفة الذكر ، و ١٠ من النسخة المطبوعة .
وانظر : على بن سلطان القارى : المنح الفكرية على متن الجزرية ص ٨٥ .
ومحمد غوث ناصر الدين الأركانى : نثر المرجان فى رسم نظم القرآن جـ ١ ص ١٠ .

وسئل مالك أيضاً عن الحروف فى القرآن مثل الواو والألف : أترى أن تغير من المصحف إذا وُجدا فيه كذلك ؟

فقال : لا .

قال أبو عمرو : يعنى الواو والألف المزيدتين فى الرسم لمعنى ، المعدومتين فى اللفظ ، نحو : الواو فى (أُولُوا ٱلْأَلْبَٰبِ » و « أَوْ لَتُ » و « الرِّبَوا » ونحوه[١] .

ويقول على القارى ، فى هذا الشأن : « والذى ذهب إليه مالك هو الحق ، إذ فيه بقاء الحالة الأولى ، إلى أن تُعَلَّمها الطبقةُ الأخرى بعد الأخرى ، ولا شك أن هذا هو الأحْرى ، إذ فى خلاف ذلك ، تجهيل الناس بأولية ما فى الطبقة الأولى[٢] .

وقال أحمد : « تحرم مخالفة خط مصحف عثمان فى واو ، أو ألف ، أو ياء ، أو غير ذلك[٣] » .

وقال البيهقى فى « شعب الإيمان » : « من يكتب مصحفاً فينبغى أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به تلك المصاحف ، ولا يخالفهم فيه ، ولا يغير مما كتبوه شيئاً ، فإنهم كانوا أكثر علماً ، وأصدق قلباً ، ولساناً ، وأعظم أمانة منّا ، فلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم »[٤] .

وفى « المدخل » لابن الحاج : « ويتعين عليه (يريد كاتب المصحف) أن يترك ما أحدثه بعض الناس فى هذا الزمان ، وهو أن ينسخ المصحف على غير مرسوم المصحف الذى اجتمعت عليه الأمة ، على ما وُجد به ، بخط عثمان بن عفان – رضى الله عنه – أى فى عهده[٥] . »

وفى « شرح الطحاوى » : « ينبغى لمن أراد كتابة القرآن أن ينظم الكلمات كما هى فى مصحف عثمان – رضى الله عنه – لإجماع الأمة على ذلك[٦] . »

وقد ذكرنا – فى موضع آخر – ما يراه « عياض » صاحب « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » من تكفير من نَقَصَ حرفاً مما يشتمل عليه المصحف الذى وقع عليه الإجماع .

---

(١) المقنع ص ٢٨ (من النسخة المطبوعة) .

(٢) انظر : محمد غوث ناصر الدين الأركانى : نثر المرجان فى رسم نظم القرآن جـ ١ ص ١٠ .

(٣) انظر : الزركشى : البرهان جـ ١ ص ٣٧٩ ، وانظر : غوث الأركانى : الكتاب السابق ص ١١ .

(٤) انظر : الزركشى : نفس المرجع ص ٣٨٠ ، وانظر : غوث الأركانى : نفس الكتاب .

(٥) انظر : على الضباع : سمير الطالبين فى رسم وضبط الكتاب المبين ص ٢٠ .

(٦) انظر الكتاب السابق .

وقد أيّد هذا شراح « الشفا » ، ومنهم على القارى ، والخفاجى ، وكلاهما من كبار الحنفية ، وقالا بعد قول عياض : (أوزاد حرفاً) ، « أى كتابة أو قراءة[١] . »

ومكّى بن أبى طالب يقول : « وهذا الذى يخالف الخط لا تجوز القراءة به اليوم لمخالفة خطّ المصحف ، وهو المنهىّ عنه[٢] » .

وقد جرى — على هذا الرسم — علم (رسم كتابة القرآن فى المصاحف[٣]) ، وكذا علم (آداب كتابة المصحف) ، « وهو علم يعرف فيه كيفية كتابة المصحف ليكون موافقاً للآداب المعتبرة فى الشرع والمستحسنة عند السلف . . »[٤] ، أو « هو علم من فوائده : تحسين كتابته وتبيينها ، وإيضاحها ، وتحقيق الخط[٥] »

وعلى ذكر ما أوردناه آنفا ، من أن بعض العلماء يذهب إلى تكفير المخالفين فى الرسم الاصطلاحى للمصحف ، نقرر أننا نخالف ذلك الرأى ، ونرى أن الأمر لا يستدعى هذا التكفير ، طالما أنّ العلماء اختلفوا فى هذه المسألة منذ قديم ، وقد سار على هذا القضاءُ العربى الحديث أيضاً ، فقد نظرت المحكمة الإدارية فى مصر فى قضية عاب فيها الأزهر بحقٍّ على أحد المؤلفين[٦] نقده للرّسم الاصطلاحى للمصحف ، فرأت المحكمة أن لا حرج فى هذا النقد ما دام المؤلف « قد عرض ، وجادل ، وناقش الآراء المختلفة ، مما ينفسح معه المجال للقول بأنه سلك طريق البحث العلمى ، ولا عليه — بعد ذلك — إن كان يترك قولا ، ويأخذ بقول ، أو يدع رأيا ، ويستجيب إلى رأى »[٧] .

* * *

٥ — أن القول بأن الرسم غير توقيفى ، وأن الصحابة كتبوه على ما تيسر لهم ، لجهلهم بالخط يومئذ ، ثم إجماع الأمة — منذ عهد النبى (ص) إلى اليوم — على رسم خاطئ ينفى الحفظ الذى أكده الله ، أما والحفظ حقيقة ملموسة ، فإن التوقيف فى الرسم يكون حقيقة .

على أن الرسم الذى عدّه بعضهم دليل جهل الصحابة بالخط هو — عند آخرين — آيةُ ذهنيةٍ قويةٍ لهم فى علم الهجاء خاصة .

---

(١) نفس الكتاب ص ٢٠ و ٢١ . (٢) الإبانة عن معانى القراءات ص ٣٦ .

(٣) طاش كبرى زاده : مفتاح السّعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم جـ ٢ ص ٣٧٢ ، وصديق حسن خالد : أبجد العلوم — ٤٩٠ .

(٤) طاش كبرى زاده : المرجع السّابق ص ٣٧٤ . (٥) صديق حسن خالد : المرجع السابق ص ٤٩٩ .

(٦) وهو محمد عبد اللطيف بن الخطيب صاحب كتاب « الفرقان » .

(٧) الحكم فى القضية رقم ٦٨٥ سنة ٢ القضائية ، بجلسة ١١ مايو سنة ١٩٥٠ مجموعة أحكام مجلس الدولة ، المجلد الخامس ص ٢٨٨ .

يقول ابن الجوزى : « إن كتابة الصحابة للمصحف مما يدل على عظيم فضلهم فى علم الهجاء خاصة ، وثقوب فهمهم فى تحقيق كل علم » [١] .

واستدل السيوطى على قدم علم النحو بما منه كتابة المصحف على الوجه الذى يعلله النحاة ، فى ذوات الواو ، والياء ، والهمزة ، والمد والقصر ، فكتبوا ذوات الياء بالياء ، وذوات الواو بالألف [٢] . . . . .

* * *

٦ – وجوب الاحتياط الشديد لبقاء القرآن على أصله ، لفظاً وكتابة ، وذلك سدًّا للذرائع ، ومنعاً من فتح باب الاستحسان فى كتابة القرآن ، لأنه إذا فُتح هذا الباب ، فى الرسم – على نحو ما – فقد لا يلبث أن يفتح فى اللفظ أيضاً ، ويتطرق إلى الكتاب الأكبر التغيير والتبديل [٣] . وسدُّ الذرائع أصل من أصول الإسلام التى تبنى عليها الأحكام [٤] .

* * *

٧ – جواز أن يفضى تغيير الرسم القرآنى إلى هدم كثير من علوم الأداء قياساً على هدمه ، بدعوى سهولة التناول للعموم .

* * *

٨ – أن قواعد الإملاء العادى لم يتفق عليها واضعوها ، وهى عرضة للتغيير والتبديل ، ومتطورة على مدى الزمن [٥] ، فواجب الحذر والتحرز يقتضى المسلمين أن ينزهوا القرآن

---

(١) انظر : حمزة فتح الله : المواهب الفتحية فى علوم العربية جـ ١ ص ١٧ .

(٢) انظر : الكتانى : التراتيب الإدارية جـ ٢ ص ٢٩٨ و ٢٩٩ .

(٣) انظر : حفنى ناصف : تاريخ المصحف – مقدمة كتاب فى قواعد رسم المصحف – بحث نشر فى المقتطف ع أول يوليو ١٩٣٣ – ٨ ربيع الأول ١٣٥٢ الجزء ٢ من المجلد ٨٣ ص ٢٠٣ – ٢٠٦ .

(٤) انظر : فتوى فى شأن الرسم القرآنى ، أصدرتها لجنة الفتوى بمصر سنة ١٩٣٧ ضمن تقرير عن كتاب « الفرقان » – مجلة الأزهر . صفر سنة ١٣٦٨ هـ .

(٥) وقد رأينا بلداً كان مقر خلافة المسلمين يكتب القرآن بالحروف اللاتينية ، ورأينا عبد العزيز فهمى أحد رجال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ينادى – فى إصرار وحماسة – باستعمال الحروف اللاتينية فى كتابة العربية ، ولم يعدم نصيراً يعضده .

تكلم عبد العزيز فهمى عن الرسم العثمانى ، فقال – فى إسراف وتحامل – : « إنه سرطان أزمن ، فَشَوَّهَ منظر العربية ، وغشّى جمالها ، ونفّر منها الوافد القريب والخاطب الغريب ، وإذْ أقول (سرطان) فإنى أعنى ما أقول ، كالسرطان حسًّا ومعنى » (الحروف اللاتينية فى كتابة العربية ص ٧) .

ويقول إنه نظر واستيقن أن لا محيص من اتخاذ اللاتينية لرسم العربية (نفس الكتاب ص ١٠) .

ويقول : « أقرر بأنى لست مكلفاً باحترام رسم القرآن ، ولست ألغى عقل لمجرد أن بعض الناس أو كلهم يريدون إلغاء =

– فى رسمه – عن قواعد مختلف فيها ، ومطلوب تغييرها [١] ؛ ويحتمل أن يؤثم المسلمون بعضهم بعضاً بسببها .

* * *

وفى معرض الحديث عن تيسير قراءة المصحف المكتوب ، ترد هذه الأسئلة .

هل نكتب المصحف بالحروف اللاتينية [٢] ، لتسهيل تلاوته على عارفى هذه الحروف ؟

= عقولهم ، ولا يميزون بين القرآن العظيم كلام الله القديم وبين رسمه السخيف الذى هو من وضع المؤمنين القاصرين » (نفس الكتاب ص ٢٣) .

(١) فى العصر الحديث ، عرض مجمع اللغة العربية فى بعض جلساته لرسم المصحف ، فكان الرأى « الوقوف عند الرسم المعهود ، لأنّ الرسم العادىّ عرضة للتغيير والتبديل فى كلّ عصر ، فلو أبيح هذا لتعدّد رسم المصحف ، وكان مظنّة لأنْ يُعْزَى إليه الاختلاف ، فحفظ القرآن وصونه يعنى بقاء رسمه على الكِتبة الأولى » (محمد على النجار – كلمة ألقاها فى المجمع فى ديسمبر سنة ١٩٦٠ ، فى تأبين الشيخ إبراهيم حمروش) .

وفى مجلة (المنار) جـ ١٢ (سنة ١٩٠٩) ص ٤٢٣ – ٤٢٧ فتوى لمحمد رشيد رضا ، فى شأن رسم المصحف ، وفيها يجيب على استفتاء من (ملا صادق الايمانقولى القزانى : رئيس اللجنة المتشكلة لتفتيش رسم المصاحف المطبوعة ببلدة قزان بالروسيا) يسأل فيه : هل يجب اتباع الرسم العثمانى فى كتابة المصاحف ؟ أم هل يجوز مخالفته للضرورة التى من أمثلتها : كلمة (ءاتَىن) فى الآية ٣٦ من سورة النمل ، حيث كُتِبَتْ فى المصحف العثمانى بغير ياء بعد النّون ، وكلمات : (الأعلام) ، و(الأحلام) ، و(الأقلام) ، و(الأزلام) و(الأولاد) ، حيث كُتبتْ أيضاً ، فى بعض المصاحف ، بحذف (الألف) بعد اللام ؟ وقد ذَكَر السائل أنّ هذه الألفات محذوفة فعلاً فى المصحف الأثرى المحفوظ فى المكتبة الإمبراطورية فى بترسبورج عاصمة الروسيا آنئذ ، وهو المصحف الذى يُظَنّ أنه من مصاحف عثمان الأئمة . (انظر : فتاوى الإمام محمد رشيد رضا ، المجلّد الثانى ص ٧٨٩ – ٧٩٤) .

وقد أجاب رشيد رضا – رحمه الله – بما منه :

(ا) أنّ الإسلام يمتاز على جميع الأديان بحفظ أصله منذ الصدر الأوّل ، وأنّ التّابعين وتابعيهم وأئمة العلم أحسنوا باتّباع الصحابة فى رسم المصحف ، وعدم تجويز كتابته بما استحدث الناس من فنّ الرسم ، وإنْ كان أرقى مما كان عليه الصحابة ، إذْ لو فعلوا لجاز أن يحدث اشتباه فى بعض الكلمات باختلاف رسمها وجهل أصلها .

(ب) وأنّ « الاتّباع فى رسم المصحف يفيد مزيد ثقة واطمئنان فى حفظه كما هو ، وفى إبعاد الشُّبهات أن تحوم حوله ، وفى حفظ شىء من تاريخ الملّة وسلف الأمّة كما هو » .

(جـ) وأنه – كنصّ الفتوى – « لو كان لمثل الأمة الإنكليزية هذا الأثر لما استبدلت به ملك كسرى وقيصر ، ولا أسطول الألمان الجديد الذى هو شغلها الشاغل اليوم ! » .

(د) وأنّ ما احتج به العزّ بن عبد السّلام لما رآه من « عدم جواز كتابة المصاحف الآن على الرسوم الأول خشية الالتباس ، ولئلا يوقع فى تغيير من الجهّال » ليس بشىء ، « لأنّ الاتّباع إذا لم يكن واجباً فى الأصل – وهو ما لا ينكره – فترك الناس له لا يجعله حراماً أو غير جائز لما ذكره من الالتباس » .

(هـ) وأنّ الحلّ لكلّ العُقَد فى مشكلات الرسم التى تواجه السائل هو فى الرجوع إلى طبعة المصحف الصّادرة فى سنة ١٣٠٨ هـ من مطبعة محمد أبى زيد بمصر ، فقد وقف على تصحيح هذه الطبعة وضبطها الشيخ رضوان بن محمد المخللاتى أحد علماء هذا الشأن وصاحب المصنفات فيه ، والذى وضع للطبعة مقدمة شارحة وافية . (انظر نفس الفتوى) .

(٢) طبقاً لدعوة المجمعىّ المشار إليها .

وهل نكتبه بالحروف الصينية – مثلا – لتيسير قراءته على الصينيين ؟ ونكتبه – مثلا أيضاً – بالحروف الأمهرية للأحباش ؟ وبالحروف اليونانية لليونان ؟

* * *

قال حفنى ناصف – معترضاً على القائلين بكتابة المصحف بالرسم الإملائى – : « ولا يبعد – إذا سلم كلام هؤلاء العلماء – أن يذهب غيرهم إلى استحسان كَتْب المصاحف بالحروف اللاتينية ، وآخرون إلى اختصاره ، وآخرون إلى إرجاعه للغة العامية ليعم نفعه ، إلى غير ذلك من الرَّقَاعات والْمَخْرَقَةِ ، وماذا بعد الحق إلاّ الضلال ؟ »[1] .

على أنى أسأل : هل تغنى كتابة المصحف لكل قوم بحروف لغتهم . . . هل تغنى فى تعليمهم كيف يقرءون القرآن مجوَّدًا من غير تلقين شفهى ؟

* * *

٩ – أنّ المصاحف – وخاصة فى العصر الحديث – مضبوطة بالشكل التام ، ومذيّلة ببيانات إرشادية تيسّر للنّاس – إلى حدّ ما – قراءة الكلمات المخالفة فى رسمها للإملاء العادىّ ، ثم إن رسم المصحف العثمانى لا يخالف قواعد الإملاء المعروفة إلا فى كلمات لا يصعب على أحد – إذا لقّنها – أن ينطق بها صحيحة[2] .

والذى اجتمعت عليه الأمة : أن من لا يعرف الرسم المأثور يجب عليه أن لا يقرأ فى المصحف ، حتى يتعلم القراءة على وجهها ، ويتعلّم مرسوم المصحف[3].

* * *

١٠ – أن علماء الرسم العثمانى تتبعوا الكلمات التى يختلف رسمها عن نطقها ، وعللوا لها بما يُعرف منه أن مرجع الخلاف هو ما فى الكلمات من قراءات يحتملها الرسم ، أو ما فيها من قراءة واحدة يُستدعى أن تُكتب بصورتها التى لا تحتمل ما سواها .

وهذا نظام الدين النيسابورى ينقل عن جماعة من الأئمة قولهم : « إن الواجب على القراء والعلماء وأهل الكتاب أن يتّبعوا هذا الرسم فى خط المصحف ، فإنّه رسم زيد بن ثابت ، وكان أمينَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكاتبَ وحيه ، وعَلِم من هذا العلم ، بدعوة النبى – صلى الله عليه وسلم – مالم يعلم غيره ، فما كتب شيئاً من ذلك إلا لعلّة لطيفة وحكمة

(١) انظر : حفنى ناصف : البحث المشار إليه قبلاً .

(٢) انظر الفتوى الصادرة سنة ١٩٣٧ م فى شأن رسم المصحف ، (مجلة الأزهر ع . صفر ١٣٦٨ هـ ضمن تقرير عن كتاب « الفرقان ») .

(٣) انظر : محمد بن حبيب الشنقيطى : إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام ص ١٦ .

بليغة ، وإن قصر عنها رأينا . ألا ترى أنه لو كتب : « عَلَىٰ صَلَوٰتِهِمْ » و « إِنَّ صَلَوٰتَكَ » ، بالألف بعد الواو ، أو بالألف من غير واو ، لما دلّ ذلك إلا على وجه واحد ، وقراءة واحدة ؟ وكذلك : « وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ »(١) تُكتب « وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّرُ » بغير ألف قبل الفاء ، ولا بعدها ، ليدل على القراءتين »(٢) .

* * *

١١ – وأن فى الرسم العثمانى فوائد :

(ا) منها : الدلالة على الأصل والشكل والحروف ، لكتابة الحركات حروفاً ، باعتبار أصلها ، فى نحو : « وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ »(٣) – « سَأُوْرِيكُمْ »(٤) – « الصَّلَوة »(٥) (بالواو بدل الألف) – « الزَّكَوة »(٦) (بالواو بدل الألف أيضاً) .

(ب) ومنها : النص على بعض اللغات الفصيحة :

ككتابة هاءالتأنيث تاءً مجرورة على لغة طيّئ .

وكحذف ياء المضارع لغير جازم ، فى : « يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ »(٧) على لغة هذيل .

(حـ) ومنها إفادة المعانى المختلفة ، بالقطع ، والوصل ، فى بعض الكلمات نحو : « أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً »(٨) – « أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا »(٩) فإن قطع (أم) عن (من) يفيد معنى (بل) دون وصلها بها .

(د) ومنها : أخذ القراءات المختلفة من اللفظ المرسوم برسم واحد ، نحو :

١ – « وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ »(١٠).

فالقراء يختلفون فيها – فى حالة وصلها بما بعدها - فى مقادير المدّ : فمنهم من مدّها ثلاث حركات ، ومنهم من مدّها أربعاً ، ومنهم من مدّها خمساً ، ومنهم من مدّها ستًّا .

---

(١) سورة الرعد / ٤٢ .

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان جـ ١ ص ٤٠ .

(٣) سورة النحل / ٩٠ .

(٤) سورة الأعراف / من الآية ١٤٥ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٣٧ .

(٥) فى ٦٧ موضعاً من القرآن ، عدا مواضع أخرى جاءت فيها كلمة « صلوة » متصلة بضمائر مختلفة .

(٦) فى ٣٢ موضعاً من القرآن .

(٧) سورة هود / ١٠٥ .

(٨) سورة النساء / ١٠٩ .

(٩) سورة الملك / ٢٢ .

(١٠) سورة النحل / ٩٠ .

وحمزة ، وهشام – بخلفه – يقفون على « وإيتاى » ونحوه مما رسم بياء بعد الألف ، بإبدال الهمزة الثانية ألفا على التفصيل الذى أوضحه علماء القراءات[١] .

٢ – « الْعُلَمَـٰٓؤُا » :

فهى – كالكلمة السّابقة – يختلف فيها القراء ، فى حالة وصلها بما بعدها فى مقادير المدّ .

وحمزة ، وهشام – بخلفه – يغيّرون الهمزة واواً ، على وجوه ذكرها العلماء[٢] .

٣ – « مَا كُنَّا نَبْغِ »[٣] :

فمع أن كتاب المصاحف أجمعوا على كتابتها بغير ياء بعد الغيْن ، فقد اختلف القراء فى إثبات الياء وحذفها :

فأثبتها – وصْلًا – نافع ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر ، والكسائى .

وأثبتها – وصْلًا ، ووقْفا – ابن كثير ، ويعقوب .

وحذَفها – وصْلًا ووقفا – ابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، وخلف العاشر .

وهذه الياء حُذفت – رسماً – للتخفيف ، فمن قرأ بحذفها وافق الرّسم تحقيقاً ، ومن قرأ بإثباتها وافق الرسم تقديراً . والأصل : إثباتها ، لأنها لام الكلمة[٥] .

٤ – « وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ »[٦] :

فقد اختلفت القراءات فيها :

فقرأها : «يَخْدَعُونَ » – بفتح الياء ، وإسكان الخاء ، وفتح الدال – ابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائى ، وخلف ، وأبو جعفر ، ويعقوب .

وقرأها نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو : « يُخَادِعُونَ » بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها ، وكسر الدال .

٥ – « وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً »[٨] :

---

(١) انظر مثلاً : الدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٢٨٠ .

(٢) سورة الشعراء / ١٩٧ ، وسورة فاطر / ٢٨ .

(٣) انظر : الدمياطى البنا : المرجع السابق ص ٣٣٤ .

(٤) سورة الكهف / ٦٤ .

(٥) انظر : أبو عمرو الدانى : التيسير فى القراءات السبع ص ١٤٧ .
والدمياطى البنا : المرجع السابق ص ١٩٢ .

(٦) سورة البقرة / ٩ .

(٧) انظر : ابن الجزرى : النشر جـ ٢ ص ٢٠٧ .

(٨) سورة الأنعام / ١١٥ .

فقد اتفق كُتّاب المصاحف على كتابتها ، بحذف الألف بعد الميم ، وبالتاء بعدها ، ولكن القراء اختلفوا فيها :

فقرأها بالإفراد : عاصم ، وحمزة ، والكسائى ، وخلف ، ويعقوب .

وقرأها بالجمع : نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وأبو جعفر[١] .

٦ – « هَـٰذَٰن[٢] » .

قال أبو حيان فى « البحر المحيط » : قال أبو عبيد : رأيتها فى الإمام : مصحف عثمان : « هَـٰذَٰنِ » ليس فيها ألف .

ويستفاد من كلام الدمياطى البنا أن « هَـٰذَٰن » رُسمت فى المصحف بغير ألف ولا ياء ، وإنما رُسمت كذلك ليحتمل رسمُ المصحف قراءتى الألف والياء معاً ، ولو رسمت بالياء لفات ذلك ، ولم يحتمل رسم المصحف قراءة الألف[٣] .

(هـ) ومن فوائد الرسم العثمانى – فيما رأى بعض العلماء – أنه حجاب مَنَعَ أهل الكتاب أن يقرءوه على وجهه دون موقف[٤] . وأصحاب هذا الرأى يقصدون أنّ القرآن سلم من تحريف أهل الكتاب وهو ما لم تسلم منه الكتب الدينية قبله .

* * *

١٢ – وأنه ليس لازماً – فى الكتابة العربية – أن توافق صورةُ الرّسم صورة النطق بالنفظ ، فإن (داود) يكتب بواو واحدة ، والنطق بواوين ، و (عمرو) يُكتب – بعد زائه – واو ، ولا يُنطق بها ، ومن ثَمّ ، لا يصح الذهاب إلى أن الصحابة أخطأوا حين زادوا – مثلاً – ياء فى كلمة « بِأَيْيد » من قوله تعالى :

« وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيدٍ »[٦] ، على أن أبا عبد الله الخراز يقول :

وآخر الياءين من « بِأَيْيدٍ » للفرق بينه وبين الأيد[٧]

ولمثل هذا نظائر باقية فى اللغات الأجنبية : فى بعض الكلمات الإنجليزية والفرنسية – مثلاً – حروف لا يُنطق بها ، وأخرى تخالف أصواتها الأصيلة أصوات النطق الفعلى . وقد أبى

(١) انظر : ابن الجزرى : النشر ج ٢ ص ٢٦٢ . والدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٢١٦ .

(٢) سورة طه / من الآية ٦٣ .

(٣) إتحاف فضلاء البشر ص ٣٠٤ .

(٤) انظر : الدمياطى البنا : الإتحاف ص ١٠ .

(٥) انظر : محمد بخيت المطيعى : الكلمات الحسان ص ٤٣ .

(٦) سورة الذاريات / ٤٧ .

(٧) انظر : محمد بخيت المطيعى : المرجع السابق ص ٣٥ .

الإنجليز والفرنسيون استبعاد هذه الحروف ، يبتغون بذلك أن تبقى الكلمات بشكلها المألوف منذ قديم ، وأن تظلّ لها أصولها الضاربة فى اللاتينية أو غيرها من اللغات القديمة .

وقد ذُكرت – فى تبرير الاختلافات بين رسم المصحف والرسم الإملائى – أسباب تستحق الاعتبار ، فمثلاً ، قال أبو داود – فى تبرير ما اصطلح عليه من حذف حروف المدّ فى المصحف – : « والحذف من المصحف إنما وقع فى : الألف ، والياء ، والواو ، لبقاء ما يدّل عليهن ، وكأنهن لم يحذفن لذلك ، إذ الفتحة – قبل الألف – تدل عليها ، والضمة – قبل الواو – كذلك ، والكسرة – قبل الياء – مثلهما . وأيضاً ، فإن الأحرف الثلاثة المذكورة لما كثر ورودها ، وجب اختصارها ، اصطلاحاً من الكاتبين على ذلك ، لما رأوا حروف المدّ واللين الثلاثة المذكورة وازت سائر الحروف الخمسة والعشرين . . إلخ »[1] .

* * *

١٣ – أن الاهتداء إلى تلاوة القرآن – على حقه – لا يكون إلا بموقّف ، شأن كل علم نفيس يُتحفَّظُ عليه .

وقيل : إن تغيير كتابة المصحف يُجَهِّلُ الناس بأوليتهم وكيفية ابتداء كتابتهم . وهذا – القرآن من أفواه الرجال الآخذين عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالسند العالى »[2]

وقيل:إن تغيير كتابة المصحف يُجَهِّلُ الناس بأوليتهم وكيفية ابتداء كتابتهم . وهذا – فى ميزان العلم – خسران .

وقد عرفنا فيما سبق أن عز الدين بن عبد السلام كان لا يجيز كتابة المصحف على المرسوم الأول « لئلا يوقع فى تغيير من الجهّال » . ويرفض بعض العلماء هذا الرأى ويقولون إنه « لا ينبغى إجراؤه على إطلاقه ، لئلاّ يؤدّى إلى درس العلم ؛ ولا يُترك شىء قد أحكمه السلف مراعاة لجهل الجاهلين ، لا سيما وهو أحد الأركان التى عليها مدار القراءات »[3]

٦

ولكننا – مع تقدير هذه الحجج وذلك الإجماع – نرى ، من الناحية الواقعية ،

---

(١) حاشية كتبها مجهول على هامش « المقنع » لأبى عمرو الدانى ص ١٢ ، المخطوطة رقم ٢٦٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) غوث الأركانى : نثر المرجان فى رسم نظم القرآن جـ ١ ص ١٢ .

(٣) انظر : الدمياطى البنا : الإتحاف ص ٩ و ١٠ .

أن التلقى السليم من المصحف المكتوب وحده يَشُقّ على كثيرين من الناس ، حتى المثقفين منهم ، وحتى أبناء البلاد العربية ، فكيف بالكافة من أبناء البلاد غير الناطقة بالضاد ؟

وهذه – مثلاً – كلمات اختلف فيها الرسم الاصطلاحى عن الرسم القياسى ، ولو اكتفى ، فى تعليمها ، بالمصحف المكتوب ، لوقع – لا محالة ، خطأ فى قراءتها وفهمها :

ءانَاى (آناء) – ٱلْـَٔـنَ (الآن) – أَثَـرَة (أثارة) – إِنْسَـن (إنسان) – أَفَإِيْنْ (أفإن) – أُمِّيِّـنَ (أميين) – إِيتَآءِ (إيتاء) – بِأَيْيِدٍ (بأيد) – يَبْدَؤُا (يبدأ) – مُبَـرَكا (مباركا) جَزَٰؤُهُ (جزاؤه) – جاىء (جئ) – جَنَّـت (جنات) – حَرَم (حرام) – ٱلْمُحْصَنَـٰت (المحصنات) – وَلَا تَحَـٰضُّونَ (ولا تحاضون) – حَـٰفِظُونَ (حافظون) – ٱلْحَـٰكِمِينَ (الحاكمين) – أَحْلَـٰم (أحلام) – ٱلْحَوَارِيِّن (الحواريين) – يَحْىَ (يحيى) – ٱلْحَيَوٰة (الحياة) – فَأَحْيَـٰكُمْ (فأحياكم) – ٱلْخَبِيْث (الخبائث) – يُخَـٰدِعُونَ (يخادعون) – خَـٰشِعَة (خاشعة) – ٱلْخَلْـَٔق (الخلاق) – حَـٰمِدُونَ (حامدون) – دُعَـٰٓؤُا (دعاء) – لَأَاذْبَحَنَّهُ (لأذبحنه) – سَأُورِيكُمْ (سأريكم) – ٱلرِّبَـٰوْا (الربا) – ٱلرَّسِخُونَ (الراسخون) – وَٱلْمُرْسَلَـٰت (والمرسلات) – رَٰضِيَة (راضية) – ٱلزَّكَوٰة (الزكاة) – سَـٰبِحَـٰت (سائحات) – سُبْحَـٰن (سبحان) – ٱلسَّـٰجِدِين (الساجدين) – سِرَاجًا (سراجاً) – سُلْطَـٰن (سلطان) – ٱلسَّمَـٰوَت (السموات) – شُرَكَـٰٓؤُا (شركاء) – شُفَعَـٰٓؤُا (شفعاء) – تُشَـٰقُّونَ (تشاقون) – شَـٰكِرُونَ (شاكرون) – نَشَـٰٓؤُا (نشاء) – لِشَاىْء (لشيء) – شَيْطَـٰن (شيطان) – أَصَـٰبِعَهُمْ (أصابعهم) – صَـٰحِبُه (صاحبه) – صَـٰحِبَةٌ (صاحبة) – ٱلصَّلَوٰة (الصلاة) – ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا (الضعفاء) – أَضْغَـٰثُ (أضغاث) – لَا تَظْمَؤُا (لا تظمأ) – ٱلظَّهِر (الظاهر) – ٱلْعَـٰلَمِينَ (العالمين) – عِبَـٰدَنَا (عبادنا) – ٱلْعُدْوَٰنَ (العدوان) – فَٱلْعَـٰصِفَـٰتِ (فالعاصفات) – عَلَّـٰم (علام) – ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا (العلماء) – أَعْنَـٰب (أعناب) – ٱلْغَـٰبِرِين (الغابرين) – ٱلْغَدَوَة (الغداة) – ٱلْغَفْر (الغفار) – غُلَـٰم (غلام) – تَفْتَؤُا (تفتأ) – فَٱلْفَـٰرِقَـٰتِ (فالفارقات) – يَتَفَيَّؤُا (يتفيأ) – كَبَـٰٓئِر (كبائر) – ٱلْكَـٰفِرُون (الكافرون) – لَـٰبِثِينَ (لابثين) – لَـٰعِبِينَ (لاعبين) – لَـٰغِيَة (لاغية) – لَـٰقِيهِ (لاقيه) – تِلْقَـآى (تلقاء) – فَٱلْمُلْقِيَـٰتِ (فالملقيات) – مِشْكَوٰة (مشكاة) – ٱلْمَلَؤُا (الملأ) – مَنَوٰة (مناة) – نَبَؤُا (نبأ) – نَبَاىْ (نَبَأ) – أَنْبَـٰٓؤُا (أنباء) – ٱلنَّبِيِّنَ (النبيين) – ٱلنَّجَوٰة (النجاة) – يَتَنَـٰجَوْنَ (يتناجون) – نُجِى (ننجى) – يَتَنَـٰزَعُونَ (يتنازعون) – يُنَشَّؤُا (ينشأ) – وَٱلنَّـٰشِرَٰتِ (والناشرات) – ٱلْمُنَـٰفِقِينَ (المنافقين) – لَتَنُوٓا (لتنوء) – وَرَآى (وراء) – وَسِعَـة

(واسعة) – لَوَٰقِعٌ (لواقع) – أَتَوَكَّوْا (أتوكا) – وَلَا تَايْئَسُوا (ولا تيأسوا) – يَٰرَبِّ (يارب) – يَٰعِبَادِى (ياعبادى) – يَٰقَوْمِ (ياقوم) (١) .

* * *

ويزيد صعوبة التلقى من المصحف المكتوب ، ويزيد الحاجة إلى التلقى الصوتى أن بعض الكلمات المرسومة فيه بطريقة تغاير القواعد الإملائية مرسومة فى نفس الوقت ، فى مواضع أخرى منه ، حسب هذه القواعد .

وإليكم نماذج من هذه الكلمات :

(ا) « الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ » (٢) بدون ألف .

(ب) « وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ » (٣) ، بدون ألف فى : « أمواتاً » ، وفى : « فأحياكم » .

(حـ) « أَوْ أَنْ نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا » (٤) ، بدون ألف فى « ما نشاء » وبهمزة على الواو .

(د) « وَلَا تَايْئَسُوا مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ » (٥) ، بزيادة ألف ، بين التاء والياء .

(هـ) « قَالُوا جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ » (٦) ، بحذف الألف أيضاً .

(و) « حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ » (٧) . بحذف الألف .

(ز) « إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ » (٨) ، بدون ألف فى : « لصاحبه » .

(ح) « قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ » (٩) بدون ألف فى : « قال » .

(ط) « وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ » (١٠) ، بدون ألف فى : « بظلام » .

(ى) « ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ » (١١) بدون ألف فى : « شعائر » .

(ك) « وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ » (١٢) ، بدون ألف أيضاً .

---

(١) انظر : أبو عمرو الدانى : المقنع (المخطوطة رقم ٢٦٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة) .
الخراز : مورد الظمآن .
أحمد محمد أبوزيتحار : لطائف البيان فى رسم القرآن – شرح مورد الظمآن ، جزءان .
محمد حبيب الله الشنقيطى : إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام .

(٢) سورة البقرة / ١ ، ٢ .
(٣) سورة البقرة / ٢٨ .
(٤) سورة هود / ٨٧ .
(٥) سورة يوسف / ٨٧ .
(٦) سورة يوسف / ٧٥ .
(٧) سورة يوسف / ١١٠ .
(٨) سورة التوبة / ٤٠ .
(٩) سورة الأنبياء / ١١٢ .
(١٠) سورة الحج / ١٠ .
(١١) سورة الحج / ٣٢ .
(١٢) سورة الحج / ٣٦ .

(ل) « وَتُوبُوا إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ »(١) ، بدون ألف فى « أيها » .

(م) « وَقَالُوا يَـٰأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ »(٢) ، بدون ألف أيضاً .

(ن) « سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ »(٣) ، بدون ألف .

(س) « ٱنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلأَمْثَـٰلَ »(٤) ، بدون ألف فى « الأمثال » .

(ع) « كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لْئَيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ »(٥) ، بحذف الألف فى « الأيكة » .

(ف) « وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلاَّ فِى ضَلَـٰلٍ »(٦) ، بدون ألف ، فى كل من : « الكافرين » و « ضلال » .

(ص) « وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلاَّ فِى ضَلَـٰلٍ »(٧) ، بدون ألف فى « دعاء » ، وبهمزة على واو فيها ، وبدون ألف فى كل من : « الكافرين » و « ضلال » .

(ق) « وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٌ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا »(٨) ، بحذف الألف من « جزاء »

(ر) « هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ »(٩)، بدون ألف .

(ش) « لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ كِذَّٰباً »(١٠)، بدون ألف فى « كِذّابا » .

(ت) « وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا »(١١)، بالواو فى « الحياة » بدل الألف .

* * *

ومما يزيد أيضاً صعوبة التلقى من المصحف المكتوب وحده أن ثمة كلمات رسمت فى المصحف بشكل الجمع ، مع أن القراء اختلفوا فى إفرادها وجمعها ، وهذه هى :

١ – « كلمت » فى الآيات :

(ا) « وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً »(١٢)

قرأها بالإفراد عاصم ، وحمزة ، والكسائى ، ويعقوب ، وخلف(١٣).

(ب) « كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ »(١٤)

قرأها بالإفراد سوى نافع ، وابن عامر ، وأبى جعفر(١٥)

---

(١) سورة النور / ٣١ .
(٢) سورة الزخرف / ٤٩ .
(٣) سورة الرحمن / ٣١ .
(٤) سورة الفرقان / ٩ .
(٥) سورة الشعراء / ١٧٦ .
(٦) سورة غافر / ٢٥ .
(٧) سورة غافر / ٥٠ .
(٨) سورة الشورى / ٤٠ .
(٩) سورة الجاثية / ٢٠ .
(١٠) سورة النبأ / ٣٥ .
(١١) سورة النازعات / ٣٨ .
(١٢) سورة الأنعام / ١١٥ .
(١٣) انظر : حمن بن خلف الحسينى : الرحيق المختوم فى نثر اللؤلؤ المنظوم على أرجوزة الشيخ المتولى ص ١٩ .
(١٤) سورة يونس / ٣٣ .
(١٥) الرحيق المختوم ص ١٩ .

(ح) « وَكَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ »[١]
قرأها بالإفراد ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائى ، ويعقوب ، وخلف[٢]

* * *

٢ – « آيَت » فى الآيتين :
(ا) « لَقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَتٌ لِّلسَّآئِلِينَ »[٣]
قرأها بالإفراد ابن كثير[٤]
(ب) « وَقَالُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَتٌ مِن رَّبِهِ »[٥]
قرأها بالإفراد ابن كثير ، وشعبة ، وحمزة ، والكسائى ، وخلف[٦] .

* * *

٣ – « غيابت » فى الآيتين :
(ا) « وَأَلْقُوهُ فِى غَيَبَتِ ٱلْجُبِّ »[٧]
(ب) « وَأَجْمَعُوٓا أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَبَتِ ٱلْجُبِّ »[٨]
قرأهما بالإفراد من عدا نافعاً وأبا جعفر[٩]

* * *

٤ – « غرفت » فى الآية : « فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا ، وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ »[١٠]
قرأها بالإفراد حمزة[١١]

* * *

٥ – « بينت » فى الآية : « فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ »[١٢]
قرأها بالإفراد ابن كثير ، وأبو عمرو ، وحفص ، وحمزة ، وخلف[١٣]

* * *

---

(١) سورة غافر / ٦ .
(٢) الدمياطى البنا : الإتحاف ص ٣٧٧
(٣) سورة يوسف / ٧ .
(٤) الرحيق المختوم ص ١٨ و ١٩ .
(٥) سورة العنكبوت / ٥٠ .
(٦) الإتحاف ص ٣٤٦ ، والرحيق المختوم ص ١٩ .
(٧) سورة يوسف / ١٠ .
(٨) سورة يوسف / ١٥ .
(٩) الإتحاف ص ٢٦٢ ، والرحيق المختوم ص ١٩
(١٠) سورة سبأ / ٣٧ .
(١١) الإتحاف ص ٣٦٠ ، والرحيق المختوم ص ١٩ .
(١٢) سورة فاطر / ٤٠ .
(١٣) الإتحاف ص ٣٦٢ .

obeikandl.com

٦ – « ثمرت » فى الآية : « وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا »[١] .

قرأها بالإفراد من عدا نافعاً ، وابن عامر وحفصاً ، وأبا جعفر[٢] .

* * *

٧ – « جملت » فى آية : « كَأَنَّهُ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ »[٣]

قرأها بالإفراد حفص ، وحمزة ، والكسائى ، وخلف العاشر ؛ وقرأها غيرهم بالجمع[٤] .

٧

ما الحلّ ، إذن ، تلقاء صعوبات شديدة كهذه يقابلها إجماع وثيق أو كالوثيق على وجوب بقاء رسم المصحف الاصطلاحى كما هو ؟

وما الحلّ ، وهناك – فوق صعوبات الاختلاف بين الخطّ الاصطلاحى للمصحف والخطّ القياسى – صعوبة خطية أخرى يعانى منها المشارقة والمغاربة على سواء ، إذا قرأ أحد الفريقين فى مصحف الآخر ؟

إنّ قواعد الكتابة فى كلّ من المصحفين تختلف عما هى فى الآخر اختلافاً يمكن أن يوقع القارئ فى الخطأ ، ولا يوائم طبيعة القرآن الذى يعتبر أتباعه أمة واحدة . ومن أمثلة الاختلافات الخطّية بين الفريقين : أنّ المشارقة ينقّطون الفاء بواحدة من فوق ، والقاف بنقطتين من فوق أيضاً ، بينما ينقط المغاربة الفاء بنقطة واحدة من أسفل ، والقاف بنقطة واحدة من فوق[٥] .

وما الحل ؟ وبعض علامات الضبط نفسها مختلفة فى المصاحف :

فعلامة التشديد – مثلا – يجعلها بعض الناس دالاً .

وبعضهم يجعلها مَدّةً فوق الحرف المسكّن ، سواءٌ كان همزة أو غيرها من سائر حروف المعجم .

وبعضهم يجعلها دارة صغيرة فوق الحرف .

---

(١) سورة فصّلت / ٤٧ .
(٢) الرحيق المختوم ص ٢٠ .
(٣) سورة المرسلات / ٣٣ .
(٤) الإتحاف ص ٤٣١ ، والرحيق المختوم ص ١٨ .
(٥) انظر – مثلاً – المصحف المطبوع بخط مغربى ، بإذن مشيخة الجامع الأزهر – إدارة البحوث والثقافة الإسلامية (تحت رقم ١٠٨٥ بتاريخ ١٩٦١/٨/٣ – التزام عبد الحميد أحمد حنى) .

وسيبويه وعامّة أصحابه يجعلونها خاء .

وآخرون يجعلونها هاء[١]!

وما الحلّ ؟ وقد اختلفت مصاحف أهل الحجاز والعراق والشام المنتسخة من المصحف الإمام بعضها عن بعض ، وذلك من حيث الرسم زيادةً ونقصاناً ، على التفصيل الذى يحيط بعلمه الدارسون ، وعلماء الرسم القرآنى ، والذى ذكرته الكتب المتخصصة[٢] ؟ .

بل ما الحلُّ ؟ وأبو عبيد القاسم بن سلّام أول من ألف فى القراءات يقرّر – فيما ذكرت إحدى الروايات – أنه رأى اختلافات بالحذف والإثبات فيما رسم فى المصاحف عما رآه فى مصحف عثمان بن عفان الذى فيه أثر دمه[٣] ؟

ما الحلّ ؟ ومصاحف المصر الواحد قد يكون فيها اختلاف ، فهذه مصاحف العراق اختلفت فى قوله : « حَقَّ تُقَاتِهِ »[٤] . ففى بعضها : بألف ثابتة ، بين القاف والتاء ، كما ترى فى (تقاته) ، وفى بعضها : بغير ألف ولا ياء ، بين القاف والتاء ، كما ترى فى (تُقَتِه)[٥] ؟

ما الحل ؟ واختلاف الرسم عما يناسب بعض القراءات المتواترة هو – على نُدْرته ، وعلى كون السماع لا الكتابة هو العمدة فى التلقى القرآنى – مظهرُ اختلاف بين المصاحف ، فيما يزعم الشانئون وغير المتعمقين . وهذا – على سبيل المثال – أجنس سميث لويس (Agnes Smith Lewis) فى مقدمته لكتاب: Leaves from three Ancient Qurans Possibly pre Othmânic الذى أصدره ، بالاشتراك مع ألفونس منجانا Alphonse Mingana[٦] يَعُدُّ من مظاهر الاختلاف بين المصاحف[٧] كتابة « أولئكَ » بدلا من « أولائك » ، و « كلمته » بدلاً من « كلماته »[٨]!

ما الحل ؟ والشكل فى المصاحف لا يقى – وحده – من اللّحن والخطأ . وهذا (على

(١) انظر : أبو عمرو الدانى : المحكم فى نقط المصاحف ص ٥٠ : ٥٢ .

(٢) انظر مثلاً : أبو عمرو الدانى : المقنع – النسخة المطبوعة ص ٩٢ – ٩٩ و ص ١٠٢ – ١١٤ .

وانظر حاشية لم يذكر اسم صاحبها فى ص ١٢ من مخطوطة هذا الكتاب رقم ٢٦٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) نفس المرجع – النسخة المطبوعة ص ١٥ .

(٤) سورة آل عمران / ١٠٢ .

(٥) الحاشية السالفة الذكر على النسخة المخطوطة من المقنع .

(٦) ألفونس منجانا قسّيس عراقىّ ، ولد فى قرية شرانش من أعمال الموصل . وبعد أن أنهى دروسه فى الموصل ، وعاش فيه مدة ، نزح إلى إنجلترا ، فلبث هنالك حتى توفى سنة ١٩٣٧ م (أنظر : كوركيس عواد : نظرات فى دائرة المعارف الإسلامية – الترجمة العربية – مجلة الرسالة ع ٣ سبتمبر سنة ١٩٤٥ ص ٩٤٨) .

(٧) ولا نقول « قرآنات » كما يقول هو خطأ .

(٨) P. Vi A. Vii

الجارم) الذى بَلَا تعليمَ اللغة العربية طويلاً ، وأحاط بمشكلاته خُبْراً ، هذا هو يقول فى مشروع قدّمه لمجمع اللغة العربية فى ٢٤ من أبريل ١٩٤١ : « جرّبنا أنّ الطالب المثقف لا يستطيع قراءة القرآن الكريم ، وهو مشكول على أدقّ ما يكون الشكل ، وأحكم ما يكون الضبط » (١) ؟

إنّ التلقى الشفوى هو – فعلاً – وسيلة تعلم القراءة على وجهها ، وتعلّم رسوم المصحف ، وهو الوسيلة التى ترتفع معها اختلافات الرسم ، وينقطع – عندها – كلّ نزاع . ولإنسان لا يعلم حتى يكثر سماعه ، كما يقول الجاحظ (٢) . وقديماً وضع « نصر بن عاصم » النقط أفراداً وأزواجاً ، « وخالف بين أماكنها ، بتوقيع بعضها فوق الحروف ، وبعضها تحت الحروف فغيّر الناس بذلك – زمانا – لا يكتبون إلا منقوطاً ، فكان – مع استعمال النقط أيضاً يقع التصحيف ، فأحدثوا الإعجام ، فكانوا يُتْبِعون النقط الإعجام ، فإذا أُغفل الاستقصاء على الكلمة ، فلم تُعرف حقوقها ، اعترى هذا التصحيف ، فالتمسوا حيلة ، فلم يقدروا فيها – إلا على الأخذ من أفواه الرجال » (٣) .

ولكن التلقى الشفهى – فيما هو معلوم – غير متاح لكثيرين نتيجة قلّة المحفّظين فى كثير من المناطق ، ولتعذّر ملازمة الكبار لهم .

ألا يكون الجمع الصوتى وسيلة البشرية إلى هذا التلقّى ؟

ذلك رأى هذا الضعيف .

٩

وقد دخَلَتْ – أخيراً – على بعض طبعات الآيات القرآنية المكتوبة ، علامات الترقيم الحديثة ، كعلامات الاستفهام ، والتأثر ، والتضمين ، وغيرها . والظن أن هذا سيطّرد مستقبلا . ونحن ، للمصلحة الإسلامية ، ندعو – وبالله التوفيق – إلى مثل هذا التطوير فى نفس المصاحف المكتوبة ، وننشد – فوق هذا – بصفة خاصّة – كلّما تعدّدت موضوعات السورة الواحدة – الفصل أو التمييز بين هذه الموضوعات عند الكتابة ، وذلك بطريقة يرضاها علماء الإسلام جميعاً ، وننشد – فى ظل دراسة عميقة واسعة ، وموافقة إسلامية جامعة – أن تكون مواضع الابتداء المقررة عند جمهور العلماء هى بدايات أسطر .

---

(١) نقلاً عن : عبد العزيز فهمى : الحروف اللاتينية لكتابة العربية ص ٩ .

(٢) انظر : الحيوان جـ ١ ص ٥٥ .

(٣) نقلاً عن : العسكرى : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١٣ .

بيد أننا – بكل التحرز والغيرة – نشترط – فى هذا التطوير – شروطاً أساسية يستحيل الترخّص فيها ، ومنها : اتّباع كلّ آداب كتابة المصحف التى يعرفها أهل الشأن ، والتزام ضبط حروف المصحف كلّها بالشكل الكامل ، والاحتفاظ الدقيق بالعلامات الدالة على نهايات الآيات ، وتحميل أمانة هذا التطوير للجنة رسمية ترقى علماً وإخلاصاً إلى مستوى هذا العمل القرآنى التاريخى .

على أننا لا نتعرض الآن لتفاصيل فكرة ذلك التطوير ، والإبانة عن دواعيها ومخططاتها ، ولكننا نذكر أنّ المصاحف المرتّلة هى – بالضرورة ، وبالتزامها كلّ قواعد القراءة المعبّرة – كفيلة بكلّ أغراض هذه العلامات ، بل كفيلة بكلّ أغراض الرموز ، ومصطلحات الضبط التى تُذيّل بها المصاحف الآن ، بقصد تيسير القرآن على الناس .

« ربّنا تقبّلْ منا إنّكَ أنتَ السّميعُ العليم » .

obeikandl.com

obeikandl.com

الباب الثالث

الدفاع

- معاضدة المصحف العثمانى المجمع عليه
- درء التحريف
- التمكين للغة العربية والوحدة الإسلامية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

معاضدة المصحف العثمانى المجمع عليه

١

من الأمور التى قد تثير المعنيّين بالقرآن ، وقد تبلبل أفكارهم ، وقد تدخل عليهم اضطراباً وحيرة : ما قِيل من أن المصحف العثمانى الذى أجمع عليه المسلمون يخالف خطّا ، أو زيادةً ، أو نقصاً ، فى مواضع غير قليلة ، مصاحف عدد من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم وآل بيته ، وأنه تدسّست إليه تحريفات ذكرها ذاكرون .

والثابت أنّ علماء القرآن ناقشوا هذه الأقوال أوْفَى مناقشة ، ثم خلصوا إلى بطلانها ، ولكنها ما برحت تملأ صحائف كثيرة فى بعض الكتب ، وما زالت تُعرض أحياناً عرضاً يَلْمز التواتر ، ويثير السحائب السّود فى أفكار الذين لم يدرسوا ما قيل فى دحض هذه الأقوال ، والذين لا يملكون القدرة على اكتشاف ما فيها من وَهَنٍ وبُطْلان .

ويسم الأمر وسْماً خاصًّا أن تلك الاختلافات ليست معزوّة إلى أفراد عاديّين ، وإنما هى معزوّة إلى بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وآل بيته ، وهم ما هم منزلة عند المسلمين ، وأن روايات تلك الاختلافات صادفت بالفعل – عند بعض الناس – إصغاء مردّه غالباً حسن النية أو نقص الدراسة .

٢

وقد تعدّدت المصاحف التى قيل إنّ الصحابة كتبوها ، فهناك مصاحف منسوبة إلى : عبد الله بن مسعود ، وأُبَىّ بن كعب ، وعلىّ بن أبى طالب ، وعبد الله بن عباس ، وأبى موسى الأشعرى ، وأنس بن مالك ، وعمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ،

وعبد الله بن عمرو ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وعبيد بن عمير ، وأمهات المؤمنين : عائشة وحفصة ، وأم سلمة (١) .

ومع أنّ هذه المصاحف – على فرض وجودها » ومخالفتها للمصحف العثمانى – فرديّة وخاصة ؛

ومع أن من أصحابها من قيل إنه اشترك فى الجمع العثمانى ، مثل أبىّ بن كعب ؛

ومع أن من أصحابها أيضاً من هو أحد المجمعين على ما فعل عثمان ، مثل علىّ بن أبى طالب ؛

فقد رُوِىَ الكثير عن اختلاف هذه المصاحف عن مصحف عثمان (٢) ، ورُوِى أنّ من أصحاب هذه الاختلافات من مضَوْا فى تمسّكهم بقراءتهم ، كما حدث – فيما تقول بعض الروايات – من ابن مسعود ، ومن أبىّ بن كعب (٣) .

ولعل من طريف ما يروى عن استمساك بعض الناس بقراءة ابن مسعود أن الشيعىّ الإمامى كان إذا حَلَفَ قال : إننى إذا نقضت يمينى وقعت فى كذا وكذا من الآثام ، « وأدخَلْتُ فى القرآن ما لم يثبته ابن مسعود ! » (٤) .

* * *

وتعدّدت – كذلك – كتب السَّلف عن اختلاف المصاحف (٥) . ومن هذه الكتب :

١ – كتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق ، لابن عامر اليحصبىّ المتوفى سنة ١١٨ هـ .

٢ – كتاب اختلاف مصاحف أهل المدينة ، وأهل الكوفة ، وأهل البصرة ، للكسائى المتوفى سنة ١٨٩ هـ .

٣ – كتاب اختلاف أهل الكوفة ، والبصرة ، والشام فى المصاحف ، للفراء البغدادى المتوفى سنة ٢٠٧ هـ .

٤ – كتاب اختلاف المصاحف ، لخلف بن هشام المتوفى سنة ٢٢٩ هـ .

---

(١) انظر معلومات عن كل من هذه المصاحف فى :
Arthur Jeffery : Materials For The History of The Text of The Quran, P.P. 20 236.

(٢) Ibid, Passim

(٣) انظر مثلاً : محمد بخيت المطيعى : الكلمات الحسان ص ١٨ و١٩ و٤٩ .

(٤) انظر : ابن فضل الله العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ص ١٥٩ .
والقلقشندى : صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٢٣٤ .

(٥) انظر : ابن النديم : الفهرست ص ١٦ (ط . ليبزج سنة ١٨٧٢ م) .

٥ – كتاب اختلاف المصاحف ، لأبى حاتم المتوفى سنة ٢٤٨ هـ .

٦ – كتاب المصاحف والهجاء ، لمحمد بن عيسى الأصبهانى المتوفى سنة ٢٥٣ هـ .

٧ – كتاب المصاحف ، لابن أشته الأصبهانى المتوفى سنة ٣٦٠ هـ .

٨ – كتاب المصاحف ، لابن أبى داود السجستانى المتوفى سنة ٣١٦ هـ .

٩ – كتاب اختلاف المصاحف ، وجامع القراءات ، للمدائنى المتوفى سنة ٣٢١ هـ [١] .

١٠ – كتاب المصاحف ، لابن الأنبارى المتوفى سنة ٣٢٨ هـ .

١١ – كتاب غريب المصاحف ، للورّاق .

والملاحظ أن أغلب أسماء هذه الكتب يتضمّن صراحة عبارة « اختلاف المصاحف » .

وأبقى هذه الكتب أثراً : الثلاثة التى ألفها ابن الأنبارى ، وابن أشته ، وابن أبى داود . وأشهر هذه الثلاثة كتاب ابن الأنبارى . ولئن كان هو وكتاب ابن أشته ضائعين الآن ، إلا أن الكثير من محتوياتهما – فى شأن اختلاف المصاحف – واصَلَ الحياة فى الكتب الأحدث تاريخاً من مثل : « الإتقان » و « الدرّ المنثور » ، وكلاهما للسيوطى [٢] .

وقد قيل إن ابنَ مِقْسَم العطار الذى ألمعنا إليه فى موضع آخر جمع أيضا كتاباً فى المصاحف [٣] .

وقيل إن أبا موسى القزوينى أعدّ كتاباً أبرز فيه القراءات المتغايرة [٤] ، وإن بعض المصاحف التى كتبت فى القرنين الثالث والرابع الهجريين تضمنتْ مثل هذا [٥] .

وكذلك أورد بعض المفسرين – أمثال : الزمخشرى ، وأبى حيّان الأندلسى ، والشّوكانى – إشارات متفرقة ذات بال إلى اختلافات بين المصاحف .

ووردت إشارات – من هذا القبيل أيضاً – فى كتب اللغة ، من مثل : « إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن » للعكبرى ، و « إعراب القراءات الشّاذّة » له أيضاً ، و « المحتسب » لابن جنّى .

وابن الأثير يقول إنه لما ورد إلى الكوفة مصحف عثمان أخذ به بعض أهلها ، ولكن كثيرين منهم بقوا على الأخذ بمصحف ابن مسعود الذى أصبح فيما بعد محلّ تقدير الشيعة [٦] .

---

(١) انظر : آرثر جفرى : مقدمة كتاب المصاحف ، لابن أبى داود ص ١٠ .
وابن النديم : الفهرست ص ٣٦ ، وفيه : كتاب اختلاف المصاحف وجمع القراءات .

(٢) انظر : OP. cit. P.P. lo & ll. (٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٢ .

(٤) A. Jeffery : Ibid, footnote P. 2 (٥) Loc. cit.

(٦) الكامل فى التاريخ جـ ٣ ص ٨٦ و٨٧ (ط . نورنبرج) .

وكذلك يذكر العاملى أنه لا زال بأيدى الشيعة مصاحف يقولون إنّها بخطّ علىّ أو بعض أبنائه ، أو أحد أهل البيت [١] .

وقد نُشر لألفونس منجانا Alphonse Mingana (١٨٨١ – ١٩٣٧) ، وآجنس سميث لويس Agnes Smith Lewis ، فى سنة ١٩١٤ ، كتاب بعنوان « أوراق من ثلاثة مصاحف قديمة يمكن أن تكون سابقة للمصحف العثمانى ، مع قائمة بما فيها من اختلافات » [٢] ، كما نُشر لمنجانا كتاب باسم : « ترجمة سريانية قديمة للقرآن تعرض آيات جديدة واختلافات » [٣] (كذا)

وأورد جولد تسيهر فى كتابه : « مذاهب التفسير الإسلامى » الزيادات المقول بوجودها فى المصاحف الفردية غير مصحف عثمان [٤] .

وقد جمع جفرى (Jeffery) الاختلافات المنسوبة إلى المصحف الفردىّ لكل من : ابن مسعود [٥] ، وأُبَىّ بن كعب [٦] ، وعلىّ بن أبى طالب [٧] ، وابن عباس [٨] ، وأبى موسى الأشعرى [٩] ، وحفْصَة [١٠] ، وأنس بن مالك [١١] ، وعمر بن الخطاب [١٢] ، وزيد بن ثابت [١٣] ، وابن الزبير [١٤] ، وعائشة [١٥] ، وسالم مولى أبى حذيفة [١٦] ، وأمّ سلمة [١٧] ، وعبيد بن عمير [١٨] .

وكذلك جمع الاختلافات المنسوبة إلى مصاحف التّالين للصحابة ، فجميع ما قيل إنه ورد فى المصحف الفردىّ لكلّ من : الأسود بن يزيد [١٩] ، وعلقمة [٢٠] ، وحطّان [٢١] .

---

(١) أعيان الشيعة جـ ١ ص ١٥٠ .

(٢) Leaves From Three Ancient Qurâns Possibly pre - Othmanic with a list of their Variants.

ويلاحظ أنه استعمل لفظ Qurans – قرآن بالجمع – وهو خطأ كبير جداً ، وكان الصواب لو استعمل كلمة « المصاحف » .

(٣) An Ancient Syriac Translation of The Kuran, exhibiting new Verses and Variants.

(٤) انظر الترجمة العربية لعبد الحليم النجار من ص ٢١ إلى ص ٤٧ .

(٥) P. P. 25 113.

(٦) P. P. 117 - 181.

(٧) P. P. 185 - 192.

(٨) P. P. 195 - 208.

(٩) P. 211.

(١٠) P. 214.

(١١) P. P. 216 - 217.

(١٢) P. P. 220 – 222.

(١٣) P. 224.

(١٤) P. P. 227 - 229.

(١٥) P. P. 232 - 233.

(١٦) P. 234.

(١٧) P. 235.

(١٨) P. P. 237 238.

(١٩) P. 240.

(٢٠) P. P. 242 243.

(٢١) P. 244.

وسعيد بن جبير (١) ، وطلحة (٢) ، وعكرمة (٣) ، ومجاهد ، وعطاء بن رباح (٥) ، والربيع ابن الخيثم (٦) ، والأعمش (٧) ، وجعفر الصّادق (٨) ، وصالح بن كيسان (٩) ، والحارث ابن سويد (١٠).

كما جمع « جفري » الاختلافات المنسوبة إلى المصاحف المجهولة الأصحاب (١١).

* * *

وكأنما وجد بعض المستشرقين – فى موضوع اختلاف المصاحف – ميداناً يخبّون فيه ويضعون ، ليشفوا رغبة فى صدورهم : هى زلزلة العقائد ، وفتح أبواب الشكوك والزيغ ، وفصم العروة الوثقى ، والرابطة المحكمة بين المسلمين . فهؤلاء المستشرقون يعرفون أن الشكّ فى نصّ يوجب الشكّ فى آخر ، فهم يلحّون فى طلب روايات الاختلاف ، وينقلونها فى غير تحرز ، ويؤيدونها غالباً ، ولا يمتحنون أسانيدها ، ولا يلتفتون إلى آراء علماء المسلمين فيها .

ومن أشهر المستشرقين المحدثين الذين سلكوا هذا المنهج : تيودور نولدكه T. Noeledeke (١٢).

ومع أن بعضهم لا يجدون مناصاً من الاعتراف بأن بعض الاختلافات تبدو مستحيلة من الناحية اللغوية (١٣) ، وبعضها الآخر يشعر أنها مما اخترع بعض اللغويين (Philologers) الذين تَحَلُّوا اختراعاتهم هؤلاء الصّحابة (١٤)، والتابعين الأوّلين ، فإنهم يصفون مصحف عثمان بأنه أدنى المصاحف إلى الأصل (١٥)، ولا يقولون إنه الأصل نفسه .

* * *

ومهما يكن من شيء ، فإن المصاحف المقول بمخالفتها لمصحف عثمان – على فرض جدلىّ

(١) P. P. 246 252.
(٢) P. P. 254 - 267.
(٣) P. P. 269 - 275.
(٤) P. P. 277 289.
(٥) P. P. 295 296.
(٦) P. P. 298 313.
(٧) P. P. 315 329.
(٨) P. P. 332 – 337.
(٩) P. 338.
(١٠) P. 339.
(١١) P. P. 340 - 341.

(١٢) ولد فى سنة ١٨٣٦ ، وتوفى سنة ١٩٣٠ ، وله عدة مؤلفات ، من أشهرها : « قواعد اللغة العربية » (فينا سنة ١٨٩٦) ، و« القواعد السريانية » (ليبزج سنة ١٨٨٨) ، و« تقارب اللهجات » (هال سنة ١٨٧٥) و« تاريخ القرآن » (جوتنجن سنة ١٨٦٠) و « دراسة المعلقات الخمس وتاريخ الجاهلية » (ليدن سنة ١٨٧٩) – انظر : نجيب العقيقى : المستشرقون جـ ٢ ص ٧٣٨ .

(١٣) Jeffery : Loc. cit. P. X.
(١٤) Ibid P. IX.
(١٥) Ibid P. X.

بحت هو أنّها بقيت قليلا أو كثيراً بعد الجمع العثمانىّ – لم تظفر بما ظفر به هذا الأخير من إجماع الصحابة وثقتهم وأخذهم بما تضمنه من الأوجه والقراءات .

وقد تنبه المسلمون ، منذ قديم ، إلى أن هذه المصاحف – على نفس الفرض الجدلىّ البحت آنفاً – فردية كتبها أصحابها لأنفسهم ، وأنها – وقد أشرنا إلى هذا قبلا – ربما تضمنت ما كانت روايته آحاداً ، وما نسخت تلاوته ، وما لم يكن فى العرضة الأخيرة (١) ، وأنه اختلطت فيها أحياناً الألفاظ القرآنية بالشرح وبيان التأويل .

* * *

ونحن – كما يقول ابن حزم – « وإن بَلَغْنا الغاية فى تعظيم أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، ورضوان الله عليهم – وتقرّبنا إلى الله – عزّ وجلّ – بمحبتهم ، فلسنا نُبعد عنهم الوَهْم والخطأ ، ولا نقلّدهم فى شىء مما قالوه ، إنما نحن نأخذ عنهم ما أخبرونا به عن رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – بما هو عندهم ، بالمشاهدة والسّماع لما ثبت من عدالتهم ، وثقتهم وصدقهم . وأما عصمتهم من الخطأ فيما قالوه – برأى وبظنّ – فلا نقول بذلك » (٢) .

ونحن نرى أيضاً ، مثل رأى ابن حزم ، حين يقول : « والوهم لا يعرى منه أحد ، بعد الأنبياء ، عليهم السّلام » (٣) .

وربّما كان أهم من هذا أنّ المصاحف المنسوبة لبعض الصحابة قد أمر عثمان – فيما هو ثابت – بإحراقها ، على ملأ من الصحابة وبموافقتهم ، فهى إذن غير موجودة ، ففيم المناقشة ، وليس بين أيدينا ما نناقشه ؟

هذا ، وأغلب الكتب الآنفة والمؤلفة فى اختلاف المصاحف العثمانية هى فى بيان القراءات المتواترة التى لا يحتملها رسم واحد ، فكما ذكرنا قبلا فى فصل (جمع عثمان) ، عَمَدَت لَجنَة الجمع إلى كتابة بعض هذه القراءات فى مصحف وبعضها فى مصحف آخر ، على التفصيل الذى أوردنا له هناك بعض الأمثلة .

---

(١) فمثلاً ، قرأ ابن مسعود بمكة ، وعرض هناك ، وقرأ أبىّ ، وعرض بعد الهجرة ، بينما قرأ زيد بن ثابت بعدهما ، وعرض فى سنة وفاة النبى صلى الله عليه وسلّم .

(٢) الفصل فى الملل والنحل جـ ٢ ص ٧٦ .

(٣) نفس المرجع ص ٧٧ .

٣

وقد بدا لنا أنّ من حقّ العلم – فضلا عن الدّين – على من يصدّقون بالجمع العثمانى ، أن يعاضدوه ، فيسجّلوه تسجيلا صوتيًّا لا يلتزم إلا بما فيه .

ونحن نشير – فيما يلى – إلى أشهر التحريفات المدّعاة على مصحف عثمان ، وما قال علماء القرآن فى شأنها . وسنرى أن التسجيل الصوتى لهذا المصحف سيكون تأييداً عمليًّا من الأخلاف ، للعمل السليم الذى أجمع عليه الأسلاف ، وانعقد به تصديق المسلمين منذ عهد الصحابة ، وسيكون – بالحق – إهداراً لتلك الدعاوى التى يؤكد البحث الموضوعى أنها خاطئة ومختلقة ، والتى تفتح مع ذلك – أمام بعض الناس – أبواباً للشكّ والإلحاد .

* * *

١ – نسبوا إلى ابن مسعود أنه أسقط الفاتحة من مصحفه[١] .

ويقول ابن قتيبة فى « مشكل القرآن » : إن ذلك « ليس لظنّ ابن مسعود أن الفاتحة ليست من القرآن ، معاذ الله ! ولكنه ذهب إلى أنّ القرآن إنما كُتِب وجُمع بين اللوحين ، مخافة الشك ، والنسيان ، والزيادة والنقصان ، ورأى أن ذلك مأمون فى سورة « الحمد » لقصرها ، ووجوب تعلمها على كل أحد » [٢] .

وقول ابن قتيبة جدير جدًّا بأن نقبله ونطمئن إليه ، فإن عورض بأن ثمة سوراً فى القرآن قصيرة ، ويقرأ بها الكافة فى صلاتهم ، لسهولة حفظها ، ومع ذلك أثبتها ابن مسعود فى مصحفه... وإن قيل إن الروايات التى وَرَدَت عن رأى ابن مسعود فى قرآنية المعوّذتين [٣] ربما عضّدت أنه أسقط الفاتحة ، وكان إسقاطه إياها لسبب غير ما ساقه ابن قتيبة ، قلنا : إن الفاتحة – فى الصلاة – غير سور القرآن قصيرها وطويلها ، يقول النبىّ صلّى الله عليه وسلم : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »[٤] . وفى الحديث عن عبادة بن الصامت – فيما أخرج الحاكم النيسابورى – : « أمُّ القرآن عوض من غيرها ، وليس غيرها منها عوض »[٥] .

---

(١) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٦٥ و ٧٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٠ .

(٣) سيرد لهذه الروايات ذكر فيما بعد .

(٤) رواه البخارى ومسلم ، عن عبادة بن الصّامت وانظر : مسند أبى عوانة الأسفراييني جـ ٢ ص ١٢٥ .

(٥) المستدرك جـ ١ ص ٢٣٨

على أنّ هناك ما يشبه أن يكون إطباقاً على ردّ رواية الإنكار أصلا .

ويجمع بعض الأصوليين والفقهاء كثيراً من النصوص فى هذا الشأن(١).

١ – قال السيوطى فى « الإتقان » : الأغلب على الظن أنّ نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل باطل .

٢ – وفيه : نُقل عن القاضى أبى بكر : أنه لم يصحّ هذا النقل عنه ، ولا حُفظ عنه .

٣ – ونُقل عن النووى فى (شرح المهذب) : أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن ، وأن من جحد شيئاً منها كفر ، وما نُقل عن ابن مسعود باطل غير صحيح .

٤ – وفيه أيضاً : قال ابن حزم : هذا كذب على ابن مسعود موضوع . . . إلخ .

٥ – ويقول (فواتح الرحموت بشرح مسلّم الثبوت) فى الردّ على تلك الرواية : وهذا ليس بشىء ، فإنه قد تقدّم النقل عن الأئمة بعدم صحته ، والراوى عسى وهِم فى نسبة النفى . . .

٦ – وقد ورد عن ابن مسعود ما يمكن أن يكون فصل الخطاب فى هذا الموضوع :

قال أبو بكر الأنبارى : حدّثنا الحسنُ بنُ الحباب ، حدّثنا سليمان بن الأشعث ، حدّثنا ابنُ أبى قُدامة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، قال : أظنّه عن إبراهيم ، قال :

قيل لعبد الله بن مسعود : لِمَ لمْ تكتب فاتحة الكتاب فى مصحفك ؟

وفى هذه المسألة أحاديث كثيرة صحيحة :

يقول النووى الشافعى فى كتابه (المجموع شرح المهذّب) عن قراءة الفاتحة فى الصلاة :

« وقراءة الفاتحة للقادر عليها فرض من فروض الصلاة ، وركن من أركانها ، ومتعيّنة لا يقوم مقامها ترجمتُها بغير العربية ، ولا قراءةُ غيرها من القرآن ، ويستوى فى تعيّنها جميع الصلوات : فرضُها ونفلها ، جهرها وسرّها ، والرجل ، والمرأة ، والصَبىّ ، والمسافر ، والقائم ، والقاعد ، والمضطجع ، وفى حال شدّة الخوف ، وغيرها .

وسواء فى تعيّنها : الإمام والمأموم والمنفرد . . . » (جـ ٣ ص ٢٨٥ ط . زكريا يوسف)

« . . . وبهذا قال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم .

وقد حكاه ابن المنذر عن عمر بن الخطاب ، وعثمان بن العاص ، وابن عباس ، وأبى هريرة ، وأبى سعيد الخدرىّ ، وخوّات بن جبير ، والزهرى ، وابن عوف ، والأوزاعى ، ومالك ، وابن المبارك ، وأحمد ، وإسحق ، وأبى ثور .

وحكاه أصحابنا عن الثورى وداود » (نفس المرجع) .

ويقول الحنابلة إنّ قراءة الفاتحة هى الركن الثالث فى حقّ الإمام والمنفرد لما رُوى عن عبادة عن النبى صلى الله عليه وسلّم (انظر : ابن قدامة المقدسى : الكافى فى فقه الإمام المبجل : أحمد بن حنبل جـ ١ ص ١٦٧) .

وهم يقرأون الفاتحة مرتّبة متوالية مشدّدة ومرتّلة ومعرّبة . (انظر : شرف الدين موسى الحجاوى المقدسى المتوفى سنة ٩٦٨هـ . الإقناع فى فقه الإمام أحمد بن حنبل ص ١١٦) .

(١) انظر مثلاً :

عبد العلى محمد بن نظام الدين الأنصارى : فواتح الرحموت بشرح مسلّم الثبوت لمحبّ الله بن عبد الشكور (لذيل المستصفى للغزالى جـ ٢ ص ٩) .

قالوا : لو كتبتها لكتبتها مع كلّ سورة .

قال أبو بكر : يعنى أنّ كل ركعة سبيلها أن تفتتح بأمّ القرآن قبل السّورة المتلوة بعدها .

فقال : اختصرت بإسقاطها ، ووثقت بحفظ المسلمين لها ، ولم أثبتها فى موضع فيلزمنى أن أكتبها مع كلّ سورة ، إذْ كانت تتقدّمها فى الصلاة (١) .

* * *

٢ – وذكر أبو حيان المفسر : « قرأ ابن مسعود ، وابن عباس ، وابن الزبير « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِن رَّبِّكُمْ » (٢) (فى مواسم الحج) بزيادة « فى مواسم الحج » على القراءة المشهورة .

والأوْلى – كما يقول أبو حيّان – : « جعل هذا تفسيراً لأنه مخالف لسواد المصحف الذى أجمعت عليه الأمة »(٣) .

ومما يذكر هنا فى شأن ما رُوى عن ابن مسعود ، مما لم يثبت عند أهل النقل ، قول النووى وهو قول يجد إلى العقل سبيلا قاصداً :

« . . . وأما ابن مسعود ، فرويت عنه روايات كثيرة :

منها ما ليس بثابت عند أهل النقل .

وما ثبت منها مخالفاً لما قلناه : فهو محمول على أنه كان يَكْتُب – فى مصحفه – بعض الأحكام والتفاسير ، مما يعتقد أنه ليس بقرآن ، وكان لا يعتقد تحريم ذلك ، وكان يراه كصحيفة يثبت فيها ما يشاء .

وكان رأى عثمان والجماعة منع ذلك ، لئلا يتطاول الزمان ويُظَنَّ ذلك قرآناً »(٤)

وللآمدى – فى إبطال صدق ما نقل عن ابن مسعود أو ما قيل إنه نُقل عنه – منطق مقبول . يقول الآمدى :

« فلو قلنا : إن ما نقله ابن مسعود قرآن لزم ارتكاب من عداه من الصحابة للحرام بالسكوت .

ولو قلنا : إنه ليس بقرآن لم يلزم منه ذلك ، لا بالنسبة إلى الراوى ، ولا بالنسبة إلى من عَدَاه من الساكتين .

---

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ١١٤ .

(٢) سورة البقرة / ١٩٨ .

(٣) البحر المحيط جـ ٢ ص ٩٤ .

(٤) انظر : صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٦ ص ١٠٨ – ١١٠ .

وبتقدير ارتكاب ابن مسعود للحرام ، مع كونه واحداً ، أولى من ارتكاب الجماعة له .

وعلى هذا ، فقد بطل قولهم بظهور صدقه ، فيما نقله ، من غير معارض[١] » .

أما ابن حزم ، فيصف ما قيل من خلاف بين مصحف ابن مسعود ومصحفنا . بأنه « باطل ، وكذب ، وإفك » . وحجّته أن قراءة ابن مسعود « هى قراءة عاصم المشهورة . عند جميع أهل الإسلام ، فى شرق الدنيا وغربها ، فَقَرَأَ بها – كما ذكرنا – وبغيرها ، مما قد صحّ أنه كلّه منزل من عند الله تعالى »[٢] .

° ° °

٣ – وقيل إن عائشة سئلت عن قوله تعالى : « وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ »[٣] ، وعن قوله : « إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ »[٤] ، وعن قوله : « إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ »[٥] فقالت : يا بن أختى ! هذا كان خطأ من الكاتب[٦] .

(ا) وراوى هذا هو أبو معاوية الضرير الذى شهد علماء الحديث أن فى حُفوظه أحاديث مضطربة ، وأنه « ربمّا دلّس »[٧] ، وأنه « كان مُرْجِئاً خَبيثا »[٨] .

وهذا – مع ما سنذكره الآن من وجوه توهين هذه الرواية – يدعونا – علميًّا – إلى رفضها أصلاً ، فضلا عن أن نعوّل عليها .

(ب) وتخطئة رسم المصحف فى قوله : « وَٱلْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ » نَقَضَها العلماء منذ قديم . وقد يكفى – فى هذا الشأن – نقل ما ذكره أبو حيان الأندلسىّ المفسّر ، قال :

« وذُكر عن عائشة – رضى الله عنها – ، وعن أبان بن عثمان ، أنّ كَتَبَها بالياء من خطأ كاتب المصحف .

ولا يصحّ ذلك عنهما ، لأنهما عربيّان فصيحان ، وقطع النعوت أشهر فى لسان العرب ، وهو باب واسع ذكر عليه شواهد سيبويه وغيرُه ، وعلى القطع خرّج سيبويه ذلك .

---

(١) الإحكام فى أصول الأحكام جـ ١ ص ٢٣٢ و٢٣٣ .

(٢) الفصل فى الملل والنحل جـ ٢ ص ٧٧ .

(٣) سورة النساء / ١٦٢ .

(٤) سورة المائدة / ٦٩ .

(٥) سورة طه / ٦٣ .

(٦) الفراء : معانى القرآن جـ ١ ص ١٠٦ .

(٧) انظر : كتاب العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل جـ ١ ص ٢٤١ .
وانظر : ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ١٣٨ و١٣٩ .

(٨) نفس المرجعين .

قال الزمخشرى : لا يُلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً فى خطّ المصحف . وربما التفت إليه من لم ينظر فى « الكتاب » – يريد كتاب سيبويه –[١] ، ولم يعرف مذاهب العرب ، وما لهم فى النَّصْب على الاختصاص من الافتنان ، وخفى عليه أنّ السابقين الأوّلين الذين مَثَلُهُمْ فى التوراة وَمَثَلُهُم فى الإنجيل ، كانوا أبعد همّة فى الغيرة على الإسلام ، من أن يتركوا فى كتاب الله ثُلْمَةً يسدّها مَن بعدَهم ، وخرقاً يرفوه من يلحق بهم »[٢] .

ثم إنه لا يصعب تخريج النصب الذى يقرأ به الجمهور ، على المدح والتقدير ، أى : أمدح ، وأقدّر المقيمين الصلاة[٣] .

يقول ابن جنّى فى « المحتسب » : القطع – لكونه بتقدير الجملة أبلغُ من الإتْباع لكونه مفرداً »[٤] .

وقالت الخورنق[٥] :

لا يَبْعَدَنْ قومى الذين هم سمُّ العُداة وآفة الجُـــزُر
النـازلون بكل معـــترك والطيبين معـاقد الأُزُر

فنصبت « الطيبين » على المدح ، فكأنها قالت : أعنى : الطيبين[٦]

(حـ) أما قراءة : « وَالصَّابِئُونَ » بالواو ، فكيف يُنسب إلى عائشة أنّها خطّأتها ، مع أنه لم يُنقل عنها أنها خطّأت من يقرأ بها ؟ ولم ينقل أنها كانت تقرأ بالياء دون الواو ؟[٧] .

على أن النحويين يرون أنّ « والصَّابِئُونَ » رُفع على الابتداء ، وخبرهُ محذوف ، والنيّة به التأخيرُ عما فى حيز « إنَّ » ، من اسمها وخبرها ، كأنه قيل : إنَّ الّذين آمنوا والّذِينَ

---

(١) طبع هذا الكتاب فى باريس سنة ١٨٨٥ ، بتصحيح هريونع وربرغ (بالمطبع العامىّ الأشرف) .
(٢) البحر المحيط جـ ٣ ص ٣٩٥ و٣٩٦ .
(٣) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٨٤ .
(٤) انظر : حمزة فتح الله : المواهب الفتحية جـ ٢ ص ٨٢ .
(٥) وهى بنت بدر بن هفان أخت طَرَفَة لأمّه ، وهى هنا ترثى زوجها بشر بن عمرو بن مرثد .
(٦) انظر : أبو البركات الأنبارى : الإنصاف فى مسائل الخلاف ص ٢٧٦
ولا يبعدَنْ : أى لا يهلكن (تدعو لقومها) .
والجُزُر : جمع جزور ، وهى الناقة التى تُنحر .
والمعترك : موضع القتال .
وتكنى بـ « الطيبين معاقد الأزر » عن عفّتهم وطهارتهم .
(٧) انظر : محمد عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان ص ١٨٨

هادوا والنصارى حكمهم كذا . . والصابئون كذلك [١] . وقد أورد سيبويه شاهداً له : قولَ بشر بن أبى حازم :

وإلاَّ فاعلموا أنَّا وأنتم بغاة ما بقينا فى شقاق[٢]

كأنه قال : بغاة ما بقينا وأنتم[٣] .

(د) وأما عبارة : « إنْ هَـٰذَانِ لَسَاحِرَانِ » : ففيه أوجه ذكرها صاحب « الإتقان » ، وغيره [٤] :

(أحدها) أنه جائز ، على لغة من يُجرى المثنَّى بالألف ، فى أحواله الثلاث ، وهى لغة مشهورة لكنانة ، وقيل : لغة بلحارث بن كعب ، يقولون : مررت برجلان ، وقبضت درهمان ، وجلست بين يداه . ومنه قول الشاعر :

واهاً لسلمى ثم واهـاً واهـاً يا ليت عيناها لنـا وفاها
وموضع الخلخال من رجـلاها بثمن يرضى بـه أباها
إن أباها وأبا أباها قد بلغا من المجـد غايتاها

ومنه أيضاً قول الشاعر الآخر :

تزوّد منا بين أذناه ضربةً دعته إلى هابى التراب عقيم

(الثانى) أن اسم « إن » ضمير الشأن محذوفاً ، والجملة – مبتدأ ، وخبرٌ – خَبَرُ « إن » .

(الثالث) أن اسم « إن » ضمير الشأن محذوفاً ، إلا أن « ساحران » خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : لهما ساحران .

(الرابع) أن « إن » – هنا – بمعنى : نعم

(الخامس) أن « ها » ضمير القصة اسم إن ، و « إن . . لساحِرَانِ » مبتدأ وخبر[٦] .

(السادس) أن الإتيان بالألف هو لمناسبة « ساحران يريدان » ، كما نَوَّن « سلاسلا »

---

(١) انظر : الزمخشرى : الكشاف جـ ١ ص ٣٥٤ .

(٢) الكتاب جـ ١ ص ٢٩٠ .

(٣) انظر : عبد الفتاح إسماعيل شلبى : رسم المصحف والاحتجاج به فى القراءات ص ١١٠ .

(٤) جـ ١ ص ١٨٤ .

(٥) انظر مثلاً : ابن مطرف الكنانى : القرطين جـ ٢ ص ١٠ و ١١

(٦) هذا الوجه مردود ، لأن « إن » منفصلة ، و« ها » متصلة فى الرسم .

لمناسبة « أغلالاً » [١] ، و« من سبأٍ » بمناسبة « بنبأٍ » [٢] .

(هـ) وأبو عمرو الدانى يستبعد على عائشة – فى عظيم محلها ، وجليل قدرها ، واتساع علمها ، ومعرفتها بلغة قومها – « أن تلحن الصحابة ، وتخطئ الكتبة ، وموضعهم من الفصاحة والعلم باللغة موضعُهم الذى لا يجهل ولا يُنكر » [٣] . ويقول : « هذا ما لا يسوغ ولا يجوز » [٤] .

ونحن نطمئن لهذا الرأى أيضاً .

* * *

٤ – وقالوا إنه قيل لزيد : يا أبا سعيد ! أوهمت ؟ إنما هى : ثمانية أزواج : من الضأن اثنين اثنين ، ومن المعز اثنين اثنين ، ومن الإبل اثنين اثنين ، ومن البقر اثنين اثنين [٥] .

فقال – مؤيداً نصّ المصحف العثمانى الذى أجمع عليه المسلمون – : « لأن الله – تعالى – يقول : « فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلأُنثَىٰ » [٦] ، فهما زوجان ، كل واحد منهما زوج : الذكر زوج ، والأنثى زوج » [٧] .

ويقول القرطبى : فقوله : « ثمانية أزواج » يعنى : ثمانية أفراد ، وكلّ فرد عند العرب يحتاج إلى آخر يسمى زَوْجاً ، فيقال للذَّكَرِ زَوْجٌ ، وللأنثى زوج . ويقع لفظ الزّوج للواحد وللاثنين ، يقال : هما زوجان ، وهما زوج ، كما يقال : هما سيّان ، وهما سواء ، وتقول : اشتريت زوجَىْ حمام ، وأنتْ تعنى : ذكرا وأنثى [٨] .

وكذلك يقول أبو حيان الأندلسى ، فى تفسيره : « والزوج ما كان مع آخر من جنسه ، وهما زوجان . قال : « وَأَنَّهُ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلأُنثَىٰ » [٩] ، فإن كان وحده فهو فرد ،

---

(١) اللفظان من الآية ٤ فى سورة الإنسان .

(٢) اللفظان من الآية ٢٢ فى سورة النمل .

(٣) المقنع ص ١١٩ (النسخة المطبوعة) .

(٤) نفس المرجع .

(٥) النصّ فى المصحف : « ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ ، وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ، قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلأُنثَيَيْنِ ، نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ، وَمِنَ ٱلإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ، قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلأُنثَيَيْنِ ، أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا . . . » (سورة الأنعام / ١٤٣ و ١٤٤) .

(٦) سورة القيامة / ٣٩ .

(٧) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٨٥ .

(٨) الجامع لأحكام القرآن جـ ٧ ص ١١٢ .

(٩) سورة النجم / ٤٥ .

ويعنى باثنين : ذكراً وأنثى ، أى : كبشا ، ونعجةً ، وتيساً ، وعنزاً [١]. »

وفى تفسير إسماعيل حقّى :

« والزوج : هو ما معه آخر من جنسه يزاوجه ، ويحصل منهما النَسل : فالاثنان المصطحبان يقال لهما : زوجان لا زوج .

فعلى هذا ، يقال : مقراضان ، ومقصّان ، لا مقراض ومقصّ ، لأنهما اثنان »[٢]

وإذن ، فكلام زيد – آنفاً – صحيح ، وهو أيضاً : « بيان لوجه ما كتبه وقرأه سماعاً وأخذاً عن النبي – صلى الله عليه وسلّم – لا تصرّفاً وتشهّياً من تلقاء نفسه »[٣] .

* * *

والمعترض على زيد – إنْ صحّتْ أصلاً رواية الاعتراض – أشكلت عليه – بيقين – كلمة (أزواج) ، فهو فهمها على أن مفردها ، وهو زوج ، يعنى – فى الآية – فردَيْن لا فرداً واحداً .

أى أنّ الآية – بحسب فهم المعترض – تعنى ثمانية أشفاع (جمع شَفْع) : من الضأن اثنين اثنين ، أى أربعة ، ومن المعْز اثنين اثنين ، أى أربعة أيضاً ، وهكذا من الإبل ، وهكذا من البقر ، فتصير منها جميعاً ثمانية أشفاع ، بستّة عشر فرداً .

ولا هكذا – فيما هو واضح جداً – مراد الآية :

يقول تعالى :

« مِنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ » ، أى أنشأ من الضأن زوجين : الكبش والنعجة .

« وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ » ، أى التيس والعنز .

« قُل » يا محمد :

« ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ » ؟ من ذينك النوعين : الكبش والتّيس ؟

« أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ » ، أى ما حملت إناث النوعين ذكراً كان أو أنثى ؟

« وَمِنَ الإِبِلِ اثنين » : عطف على « من الضأن اثنين » ، أى ، وأنشأ من الإبل اثنين هما الجمل والناقة .

---

(١) البحر المحيط جـ ٤ ص ٢٣٩ .

(٢) تفسير القرآن المسمّى بروح البيان جـ ١ ص ٦٨٧ .

(٣) محمد عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان ص ٣٨٩ .

« وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ » : الثور والبقرة .

فهذه هى الثمانية الأزواج المفهومة – بحق – على أنها ثمانية أفراد ، فأين الثمانية الأخرى التى زعمها المعترض ؟

والآن ، ألا يحقّ لنا علمياً – تلقاء هذا الاعتراض المجهول النَّسب ، والذى يُغْضى عن معرفة لغوية سهلة وجهيرة ، ليُفضى إلى إساءة دينية وتاريخية خطيرة ، وهى التغيير من المعانى الصريحة فى التنزيل ، ورمْى جامعيه بالنسيان أو التضليل – ألا يحق لنا أن ننكر نسبة هذا الاعتراض إلى مسلم عربى عاصر جامعى القرآن ، وأن نعزوه – فى غير قلق علمى – إلى بعض خصوم الإسلام ، ممن واجهوا كتابه بالعداوة ، وأيضاً بالغباوة ؟

* * *

٥ – وزعموا أن ابن عباس قرأ : « أفلم يتبيّن الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً » . فقيل : إنها فى المصحف : « أَفَلَمْ يَايْئَسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَنْ لَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعاً »(١) ، فأجاب – فيما ادّعت الرواية – : أظنّ الكاتب كتبها وهو ناعس(٢) .

وأورد الرازى أيضاً فى (التفسير الكبير)(٣) ما نُسب إلى علىّ وابن عباس من أنهما كانا يقرآن : « أفلم يأس الذين آمنوا . . . » وما عُزى إلى ابن عباس من أنه قيل له : « أفلم ييأس » ، فقال : أظن أن الكاتب كتبها وهو ناعس : إنه كان فى الخطّ « يأس » ، فزاد الكاتب سِنّة واحدة ، فصار « ييأس » ، فقرئ : « ييأس » .

والتزييف فى هذه الرواية واضح :

فالعبرة فى تلقّى القرآن ، عند المسلمين ، منذ عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، هى بالتلقين الشفوى أولا ، ولا عبرة بالكتابة وحدها ، حتى مع ما وُصِفَ به أصحابها من يقظة لم يعتورها نعاس ، وحَذَرٍ لم تَشُبْه غفلة ، وتشدّد لم يكتنفه ترخّص .

والرازى نفسه – إذ ينقل هذه الرواية – يستبعدها ، ويقول : « وهذا القول بعيد جدّا ، لأنه يقتضى كون القرآن محلاً للتحريف والتصحيف ، وذلك يخرجه عن كونه حجّة » .

أما الزمخشرى ، فيقول – فى أخْذٍ بالمنطق ، ومسايرة راشدة للعقيدة – :

« هذا ، ونحن مما لا يصدّق فى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،

---

(١) سورة الرعد / ٣١ .

(٢) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٨٥ .

(٣) جـ ١٩ ص ٥٣ .

وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتاً بين دَفَّتَى الإمام ، وكان متقلّباً بين أيدى أولئك الأعلام المحتاطين فى دين الله المهتمّين به لا يغفلون عن جلائله ودقائقه ، خصوصاً عن القانون الذى إليه المرجع ، والقاعدة التى عليها البناء ؟ هذا – والله – فرية ما فيها مرية »[١] .

وقال الفرّاء : لا يتلى إلا كما أنزل : « أَفَلَمْ يَأْيْئَس »[٢] .

ويقول أبو حيّان الأندلسىّ – والشواهد فى صفّه – :

وأما قول من قال : « إنما كتبه الكاتب وهو ناعس ، فسوّى أسنان السين » ، فقول زنديق ملحد[٣] .

على أنه فى ثنايا قصّة موثقة عن احتجاج ابن عبّاس بالشعر على غريب القرآن ومشكله ، ما يكذّب الرواية المنسوبة إليه :

تقول القصة : بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن ، فقال نافع بن الأزرق[٤] لنجدة بن عويمر[٥] : قم بنا إلى هذا الذى يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به .

فقاما إليه ، فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله ، فتفسّرها لنا ، وتأتينا بمصادقة من كلام العرب ، فإنّ الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربىّ مبين .

فقال ابنُ عباس : سلانى عما بدا لكما .

فساق نافع مسائل كثيرة منها :

قال نافع : أخبرْنى عن قوله تعالى : « أَفَلَم يَأْيْئَسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا »

قال : : أفلم يعلم (بلغة بنى مالك)

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعتَ مالك بن عوفٍ يقول :

لقد يئس الأقوام أنى أنا ابنُــه وإن كنتُ عن أرض العشيرة نائيا[٦]

* * *

---

(١) الكشاف جـ ١ ص ٤٠٩ .

(٢) نقلاً عن : أبى حيان الأندلسى : البحر المحيط جـ ٥ ص ٣٩٣ .

(٣) نفس المرجع .

(٤) كان رأس الأزارقة الخوارج وأميرهم ونقيبهم (وانظر : الذهبى : لسان الميزان جـ ٦ ص ١٤٤) .

(٥) كان رأس الفرقة النجدية من الخوارج (وانظر : اليافعى : مرآة الجنان جـ ١ ص ١٤٤ .

(٦) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٢٠ و ١٢١ .

٦ – ونُسِب إلى ابن عباس أيضاً أنه كان يقول ، فى قوله تعالى : « وَقَضَى رَبُّكَ »[١] : « إنما هى : ووصّى ربّك ، التزقت الواو بالصّاد[٢] » .

وأخرجه ابن أشته بلفظ : « استمد الكاتب مداداً كثيراً ، فالتزقت الواو بالصّاد . إلخ »[٣]

وقيل إنها فى مصحف ابن مسعود : « ووصّى » ، وإنها هكذا عند علىّ ، وعند أبى ابن كعب[٤] .

وعزوا أيضاً إلى الضّحاك أنه قال : تصحّفتْ على قوم « وصّى » بـ « قضى » ، حين اختلطت الواو بالصّاد ، وقت كَتْب المصحف[٥] .

وذكروا أن أبا حاتم كان يقول : إن عَلَىٰ قول ابن عباس لنوراً ، ولكنه عاد فقال : « لو قلنا هذا لطعن الزنادقة فى مصحفنا[٦] . »

فأما الفخر الرازى ، فيقول محقّا : « واعلم أنّ هذا القول بعيد جدًّا ، لأنه يفتح باب أن التحريف والتغيير قد تطرّق إلى القرآن . ولو جوّزنا ذلك لارتفع الأمان عن القرآن ، وذلك يخرجه عن كونه حجّة ، ولا شكّ أنه طعن عظيم فى الدين[٧] » .

ويناقش « على القارى » هذه الدعوى وأمثالها مناقشة لا تنقصها الموضوعية – على حماستها – ، فيقول :

« كيف يصحّ تفريط الصّحابة الكرام فى ضبط القرآن العظيم ، وإهمالهم فى حفظ الفرقان الكريم ، حتى ينسوه ، فلا يعرفه إلا الواحد والاثنان من الأطراف ، وحتى لا يوجد إلا فى الأكتاف واللّخاف ؟ هذا ، مع شدّتهم فى طلب أمر الدين ، وبذلهم الأموال ، والأشباح ، والأرواح ، من مقام اليقين ؟ » .

ويورد « على القارى » نصوصاً ثابتة عن الصحابة تؤيد الاهتمام التام بتحقيق القرآن ، فى الصّدر الأول من الإسلام ، ويستنبط – فى شأن هذه الدعوى بالذات – أنها ظاهرة الفساد ، إذ يلزم منها أن تلك الآية لم يحفظها أحد حتى صُحِّفت وقرئت « وَقَضَى »[٨] .

* * *

(١) سورة الإسراء ، من الآية ٢٣ .
(٢) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٨٤ .
(٣) انظر نفس المرجع .
(٤) انظر : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١٠ ص ٢٣٧ .
(٥) المرجع السّابق . (٦) نفس المرجع .
(٧) التفسير الكبير جـ ٢٠ ص ١٨٤ .
(٨) شرح العقيلة – المخطوطة رقم ٢٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية – الورقة ١٦ .

٧ – وروى عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأ « ضياء » بغير واو في قوله تعالى : « وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً »(٢) ويقول : خذوا هذه الواو ، واجعلوها ها هنا : (و) « ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ »(٣) .

وفي رواية : كان ابن عباس يقول : انزعوا هذه الواو ، فاجعلوها في : « ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ »(٤) .

وعندنا أنه يُسْقِط الروايتين الاختلافُ في أيّ الآيتين أراد ابن عباس نقل الواو إليها .

ثم إنه واضح أنّ « ضياء » – بغير واو – حال من الفرقان ، وأما الوارد في المصحف : فمعناه أن الفرقان – وهو هنا التوراة – أقرّ بها الله ضياءً وذكرى للمتقين ، أي أنه – في نفسه – ضياء وذكرى(٥) .

* * *

٨ – وثمة رواية لا يسع من يُلقى إليها نظرة فاحصة إلا أن يرفضها . هذه الرواية هي أن أبا خلف مولى بني جُمَح دخل ، مع عُبَيْد بن عُمَيْر ، على عائشة ، فقال : جئتُ أسألُكِ عن آية في كتاب اللهِ تعالى ، كيف كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقرؤها ؟

قالت : أيّة آية ؟

قال : « والذين يأتون ما أتوا » أو « ٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآءَاتَوا »(٦)

قالت : أيتهما أحبّ إليك ؟

قال : والذي نفسي بيده ، لاحداهما أحبّ من الدنيا جميعاً .

قالت : أيُّهما ؟

قال : الذين يأتون ما أَتَوْا .

فقالت : أشهد أنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كذلك كان يقرؤها ، وكذلك أُنزلت ، ولكن الهجاء حُرّف(٧) .

---

(١) انظر : الفخر الرازي : التفسير الكبير جـ ٢٢ ص ١٧٨ .

(٢) سورة الأنبياء / ٤٨ .

(٣) وهي في المصحف العثماني من غير واو (سورة آل عمران / ١٧٣) ، وانظر : السيوطي : الإتقان جـ ١ ص ١٨٥ .

(٤) سورة غافر / ٧ ، وانظر : السيوطي : نفس المرجع .

(٥) انظر : الفخر الرازي : التفسير الكبير جـ ٢٢ ص ١٧٨ .
والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ١١ ص ٢٩٥ .

(٦) في المصحف العثماني : « وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآءَاتَوا » (سورة المؤمنون / ٦٠) .

(٧) السيوطي : الإتقان جـ ١ ص ١٨٤ .

والاستخفاف بالتواتر فى هذه الرواية واضح . وكأنما كانت عائشة – فيما يوحى به أسلوب هذه الرواية المنكرة – تبتغى فحسب مرضاة سائلها ، فأىّ القراءتين أحبُّ إليه هى قراءة النبى (ص) ، وغيرُها تحريف فى الهجاء .

ثم إن أم المؤمنين المنسوب إليها هذا الطعن فى هجاء المصحف ، بغير دليل ، ورد أنها سألت رسول الله (ص) ، فقالت : « وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ » : أَهُو الذى يزنى ، ويشرب الخمر ، ويسرق ، وهو – على ذلك – يخاف الله تعالى ؟ ، فقال – عليه الصلاة والسلام – : لا ، يا ابنة الصديق ! ولكن هو الرجل : يصلّى ، ويصوم ، ويتصدق ، وهو – على ذلك – يخاف الله تعالى [1] .

فهى – على خلاف ما فى الرواية الأولى – تقرأ الآية على النحو الذى قرأ به المسلمون ، منذ عهد النّبوّة ، والذى أجمع عليه الصحابة ، فيما بعد ، عند كتابة المصحف العثمانى .

وقيل إن ابن عباس ، والنخعى قرآ : « والذين يأتون ما أتوا » مقصوراً من الإتيان ، وبرّر الفراء هذه القراءة ، فقال : « لو صحّت هذه القراءة – من عائشة – لم تخالف قراءة الجماعة ، لأن الهمز – من العرب – يلزم فيه الألف فى كل الحالات إذا كُتب ، فتكتب « سئل الرجل » بألف بعد السين ، و « يستهزئون » بألف بين الزاى والواو ، و « شىء » بألف بعد الياء ، فيحتمل هذا اللفظ – بالبناء على هذا الخط – قراءتين : « يؤتون ما آتوا » و « يأتون ما أتوا » [2] .

وأظن أن الفرّاء تكلّف فى دفاعه ، وكان حسبه أن يرى ما فى الرواية من دلائل الوَهَن ، وأن يعلم أن عائشة – فى حديثها مع الرسول – قرأت : « يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا » كما يقرؤها سائر المسلمين ، ومن ثمّ فالخلاف غير ذى موضوع .

* * *

٩ – وعن أُبىّ ، وابن عباس ، وسعيد بن جبير – فيما ادّعت بعض الروايات – أن قوله تعالى : « لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَهْلِهَا » [3] أصلها : « حتى تستأذنوا » ، ولكن وقع خطأ أو وَهْم من الكاتب [4] .

---

(١) الرازى : التفسير الكبير جـ ٢٣ ص ١٠٧ ، والقرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١٢ ص ١٣٢ .

(٢) القرطبى : المرجع السابق جـ ١٢ ص ١٣٢ .

(٣) سورة النور / ٢٧ .

(٤) الطبرى : جامع البيان جـ ٢ ص ٢١٣ و ٢١٤ .

والطبرى موفق إذ يعقّب على هذا بقوله : « وهذا غير صحيح عن ابن عباس وغيره ، فإنّ مصاحف الإسلام كلّها قد ثبت فيها : « حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا » ، وصحّ الإجماع منها ، من لدن مدة عثمان ، فهى التى لا يجوز خلافها . وإطلاق الخطأ والوَهْم على الكاتب فى لفظ أجمع الصحابة عليه قول لا يصح عن ابن عباس ، وقد قال عزّ وجل : « لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِن حَكِيمٍ حَمِيدٍ »[1] ، وقال تعالى : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »[2] .

وأورد الطبرى – بعد كلام – النص الآتى لابن عطية : « ومما ينفى هذا القول عن ابن عباس وغيره : أنّ « تستأنسوا » متمكنة فى المعنى ، بينة الوجه فى كلام العرب . وقد قال عمر للنبى – صلى الله عليه وسلم – : أَستأنس يا رسولَ الله ؟ وعُمر واقف على باب الغرفة . . (الحديث المشهور) ، وذلك يقتضى أنه طلب الأنس به – صلى الله عليه وسلم – فكيف يخطّئ ابنُ عباس رسولَ الله فى مثل هذا ؟ »[3] .

ويكذّب القرطبى أيضاً ذلك الادّعاء ، فيقول : « وهذا غير صحيح عن ابن عباس وعن غيره ، فإنّ مصاحف الإسلام كلّها قد ثبت فيها : « حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا » ، وصحّ الإجماع منها ، من لدن عثمان ، فهى التى لا يجوز خلافها »[4] .

ولم يسع أبا حيان الأندلسىّ إلا أن يقول : « من رَوَى عن ابن عباس أنه قال ذلك فهو طاعن فى الإسلام ، ملحدٌ فى الدّين ؛ وابن عباس برىء عن هذا القول

وعندى أنّ أقوى ما يُدحض هذه الرواية وأمثالَها هو ما أشرتُ إليه قبلاً من أن رواية القرآن لم تكن من الكتابة فحسب ، ولم تكن من الكتابة فى المقام الأوّل ، وإنما مصدرها الأول والأوثق هو التلقّى الشفوى المتواتر ، وهو خالٍ – هنا – من ذلك الاختلاف المزعوم .

* * *

١٠ – ونُسب إلى ابن عباس فى قوله تعالى : « مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوٰةٍ »[6] أنه قال : هى خطأ من الكاتب ، هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة ، إنما هى : « مثل نور المؤمن كمشكاة »[7] .

---

(١) سورة فصّلت / ٤٢ .
(٢) سورة الحِجْر / ٩ .
(٣) الطبرى : المرجع السّابق .
(٤) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٢ ص ٢١٤ .
(٥) البحر المحيط جـ ٦ ص ٤٤٥ .
(٦) سورة النور / ٣٥ .
(٧) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٨٥ .

وقد أجاب ابن أشته عن هذا وأمثاله بأن المراد : هو أن الكتّاب « أخطأوا فى الاختيار وما هو الأولى لجمع الناس عليه من الأحرف السبعة ، لا أنّ الذى كُتب خطأٌ خارجٌ عن القرآن »[١] .

وعندنا : أن هذه إجابة متهافتة لا تكشف تماماً عن وجه الحق ، فالكتّاب لم يكتبوا إلاّ ما تواتر ، وما استوفى شرائط ثبوت القرآنية ، وكانوا خاضعين لمناهج بالغة الدقة ، وكان عملهم على ملأ من المسلمين ، فكان الخطأ مأموناً على وجه اليقين .

ثم إنّ نَسَق الآية لا يفيد أن المقصود بالتشبيه هو نور المؤمن ، ولا يسمح – حتى بحمل هذه الرواية على أنها فى التفسير لا فى القراءة – إلا بتكلّف شاقّ .

وإذن ، فالذى أذهب إليه هو أن تلك الرواية غير صحيحة أصلاً .

* * *

١١ – وادَّعَوْا أنّ ابنَ مسعود وأبا الدرداء قرآ : « والذَّكَر والأنثى »[٢] .

وقد قيل – فى هذا – إنه يجب الاعتقاد بأن مثل هذا كان قرآنا ثم نسخ ، ولم يعلم من خالف النسخ ، فبقى على المنسوخ . يقول المازرى ، ونحن نؤيد قوله : « ولعلّ هذا وَقَع من بعضهم ، قبل أن يبلغهم مصحف عثمان المجمع عليه المحذوف منه كلّ منسوخ ، وأما بعد ظهور مصحف عثمان ، فلا يُظَنّ بأحدٍ منهم أنّه خالف فيه »[٣] .

* * *

١٢ – ويُنسب إلى ابن مسعود أنه كان يحكّ المعوّذتين من مصاحفه ، وكان لا يقرأ بهما ، وكان يقول : إنهما ليستا من كتاب الله ، ويقول – فيما تنسب إليه رواية أخرى – : إنما أمر النبى – صلى الله عليه وسلم – أن يتعوَّذ بهما[٤] .

ويكذّب النووى فى « شرح المهذب » هذه الرواية ، فيقول :

« أجمع المسلمون على أن المعوّذتين والفاتحة ، وسائر السّور المكتوبة فى المصحف قرآن ، وأنّ من جَحَد شيئاً منها كفر . وما نُقل عن ابن مسعود – فى الفاتحة والمعوّذتين – باطلٌ ،

---

(١) المرجع السابق .

(٢) فى المصاحف العثمانية : « وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ والأنثى » (سورة الليل / ٣) .

(٣) انظر : صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٢ ص ١٠٨ : ١١٠ .

(٤) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ٨ ص ٧٤٢ والسيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٨٥ .

وليس بصحيح عنه »[١].

وينقل النووى عن المازرى قوله فى تعليل هذه الرواية ، فيما لو كانت صحيحة : « ويحتمل ما روى من إسقاط المعوّذتين من مصحف ابن مسعود أنه اعتقد أنه لا يلزمه كتْب كلّ القرآن ، وكتَب ما سواهما ، وتَرَكَهُما لشهرتهما عنده ، وعند الناس »[٢] .

أما ابن حزم ، فيقول : « هذا كذب على ابن مسعود ، وموضوع . وإنما صحّ عنه قراءة عاصم ، عن زرّ ، عنه ، وفيها المعوِّذتان والفاتحة »[٣] .

ويقول الباقلانى ، وحجته قاهرة : « إن ابن مسعود ، لو كان قد أنكر المعوِّذتَين – على ما ادّعوا – :

(ا) لكانت الصحابة ، تناظره على ذلك ، وكان يظهر وينتشر ، فقد تناظروا فى أقلّ من هذا .

(ب) وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل ، فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه ؟

(حـ) وقد علمنا إجماعهم على ما جمعوه فى المصحف ، فكيف يقدح بمثل هذه الحكايات الشاذّة المولّدة بالإجماع المتقرر والاتفاق المعروف ؟

(د) ويجوز أن يكون الناقل أشبه عليه ، لأنه خالف فى النظم والترتيب ، فلم يشبهما فى آخر القرآن ، والاختلاف – بينهم – فى موضع الإثبات غير الكلام فى الأصل[٤] .

وتقول (فواتح الرحموت بشرح مسلّم الثبوت) مفنّدةً تلك الرواية :

« . . . ثم إنه (يعنى ابن مسعود) كان يقتدى فى كل شهر رمضان ، فى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فى صلاة التراويح ، والإمام يقرؤها « يعنى المعوّذتين » ، ولم يُنكر عليه قط ، فنسبة الإنكار غلط ، وهذا شاهد قويٌ على عدم الصحة »[٥].

---

(١) السيوطى : المرجع السابق ، وانظر : على القارى ، شرح الشفاء لعياض جـ ٢ ص ٥٥٢ (ط . تركيا سنة ١٣١٠ هـ) .

(٢) انظر : صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٢ ص ١٠٨ – ١١٠ .

(٣) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٧٩ .

(٤) إعجاز القرآن – على هامش الإتقان للسيوطى جـ ٢ ص ١٩٤ (بتعديل فى الشكل) .

(٥) نفس المرجع جـ ٢ ص ١٠ (بذيل المستصفى للغزالى) .

وتقول :

« وقد ثبت بالأسانيد الصحاح أن قراءة عاصم [١] ، وقراءة حمزة [٢] ، وقراءة الكسائيّ [٣] ، وقراءة خَلَف [٤] كلّها تنتهى إلى ابن مسعود ؛ وفى هذه القراءات : المعوّذتان والفاتحة جزء من القرآن ، وداخلٌ فيه ، فنسبة إنكار كونها من القرآن إليه غلط فاحش .

ومَنْ أسند الإنكارَ إلى ابن مسعود ، فلا يعبأ بسنده عند معارضة هذه الأسانيد الصحيحة بالإجماع ، والمتلقاة بالقبول عند العلماء الكرام ، بل والأمة كلّها كافّة .

فظهر أنّ نسبة الإنكار إلى ابن مسعود باطل » .

وتقول (الفواتح) عن خلوّ مصحف ابن مسعود من الفاتحة والمعوّذتين : « وجهه : أنّ هذه السّور كانت من أوراده رضى الله عنه ، فاكتفى بالحفظ من الكتابة ، أو كان مكتوباً عنده فى قرطاس مفرد ، فاستغنى عن الكتابة فى المصحف » [٥] .

* * *

١٣ — ومن الروايات المرفوضة ما قيل من أنّ مصحف ابن مسعود تضمّن سورتين ، بنصّ دعاء القنوت ، هما : « الحَفْدُ » و « الْخَلْع » ، وأنه قرئ بهما ، حتى فى الصلاة :

فقد أخرج الطبرانى عن أبى إسحاق ، قال : أمّنا أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بخراسان ، فقرأ بهاتين السورتين : إنا نستعينك ونستغفرك [٦] .

---

(١) قرأ عاصم على أبى عبد الرحمن عبد الله بن حبيب ، وقرأ على أبى مريم زرّ بن حبيش الأسدى ، وعلى سعيد ابن عباس الشيبانى ، وقرأ هؤلاء على عبد الله بن مسعود ، وقرأ هو على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

ولعاصم سند آخر ، هو أنه : قرأ سعيد وزرّ على أمير المؤمنين عثمان ، وعلى أمير المؤمنين على ، وعلى أبىّ بن كعب ، وهم قرأوا على رسول الله صلى الله عليه وسلّم (انظر المرجع السابق ص ٩ و ١٠) .

(٢) قرأ حمزة على الأعمش أبى محمد سليمان بن مهران ، وأخذ الأعمش عن يحيى بن وثاب ، وأخذ يحيى عن علقمة ، والأسود ، وعبيد بن نضلة الخزاعى ، وزر بن حبيش ، وأبى عبد الرحمن السّلمىّ . وهم أخذوا عن ابن مسعود عن النبى صلّى الله عليه وسلّم .

ولحمزة سند آخر هو أنه : قرأ على أبى إسحق السبيعى ، وعلى محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، وعلى الإمام جعفر الصّادق . وهؤلاء قرأوا على علقمة بن قيس ، وعلى زرّ بن حبيش ، وعلى زيد بن وهب ، وعلى مسروق ، وهم قرأوا على المنهال وغيرهم ، وهم على ابن مسعود ، وأمير المؤمنين على كرم الله وجهه . (انظر نفس المرجع ص ١٠) .

(٣) سند الكسائى ينتهى إلى ابن مسعود ، لأنه قرأ على حمزة (انظر نفس المرجع) .

(٤) قرأ خلف على سليم ، وهو على حمزة (انظر نفس المرجع) .

(٥) أنظر نفس المرجع .

(٦) السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٦٥ .

وأخرج البيهقي ، وأبو داود – في المراسيل – عن خالد بن أبي عمران ، أنَّ جبريل نزل بذلك (يقصد : إنا نستعينك ونستغفرك) على النبي – صلى الله عليه وسلّم – وهو في الصّلاة ، مع قوله : « لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيءٌ »[1] . . . الآية ، لمّا قَنَت يدعو على مضر[2] .

وربَّما كان الرّدّ على هذا كلّه هو ما ردّ به الباقلاني أيضاً ، عند كلامه عن أمور تتصل بالإعجاز ، حيث قال ما نصّه – بعد تعديل بسيط – :

١ – أنه لا يجوز أن يخفى على العرب القرآن من غيره ، وهم الذين نزل القرآن فيهم ، وبلغتهم .

٢ – ثم إن عدد السّور – عندهم – محفوظ مضبوط ، فالزيادة أو النقصان فيه مكشوفٌ لافت .

٣ – وربما كان ابن مسعود قد كتب القنوت في مصحفه ، لا لأنّه قرآن ، وإنما ليكون الكلُّ محفوظاً في مجموعة واحدة .

٤ – والرواية المردود عليها مرويّة بخبر الواحد ، فلا يمكن التعويل عليها ، أو السكون إلى مثلها .

٥ – ويجوز أن يكون ابن مسعود كتب على ظهر مصحفه دعاء القنوت لئلا ينساه ، كما يكتب الواحد منا بعض الأدعية على ظهر مصحفه .

٦ – ولو كان الأمر أمر حروف معدودة يقع فيها الغلط أو النّسيان لجاز أن يكون شيئاً عادياً يقع مثله للحفّاظ ، أمّا أن يكون الغلط في سورتين فهو ما لا يمكن تجويزه لأنه غير طبيعي[3] .

* * *

فكّرتُ في هذه الاختلافات المزعومة ، فبدا لي أن جمع المصحف العثماني الذي أجمع عليه المسلمون تسجيلاً صوتيًّا هو خير ما يعاضد هذا المصحف ، فضلا عن أنه سيكون ردًّا عمليًّا على دعاة تلك الاختلافات المثيرة الضّارة : يبدّد أوهامهم ، ويصحّح أغلاطهم ، ويوهن رواياتهم ، ويجعلها عديمة الجدوى ، ويحمي من أذاها العقول والقلوب .

---

(١) سورة آل عمران / ١٢٨ .

(٢) السيوطي : المرجع السابق .

(٣) إعجاز القرآن – على هامش الإتقان للسيوطي جـ ٢ ص ١٩٣ و ١٩٤ .

٤

ودعا إلى تفكيرى فى هذا الجمع الذى يقتضى التسجيل الصوتى أمرٌ منكر آخر ، فقد نُسب إلى عكرمة أنه قال : لما كُتبت المصاحف عُرضت على عثمان ، فوجد فيها حروفاً من اللحن ، فقال : لا تغيّروها ، فإن العرب ستغيّرها ، أو قال : ستعربها بألسنتها ؛ لو كان الكاتب من ثقيف ، والملى من هُذَيْل لم توجد هذه الحروف (١) .

وكان طَبَعِيًّا أن يتمسّك الملحدون الطاعنون فى القرآن ودين الإسلام برواية كهذه ، ومن الأمثلة لهذا – فى عصرنا هذا – أنّ طاعِناً على القرآن (٢) جعل هذه الرواية ضمن حججه المنقوضة فى الادّعاء بأن القرآن بُدّل ، وفى السخرية من معجزة حفظ القرآن .

وأدْعى للأسف أن تفلت هذه الرواية إلى معتقد رجل مسلم ، فيبنى عليها رأيا (٣) ، كأنها صحيحة ، وكان الخيرُ لو محّصها .

* * *

ويقول السيوطى ، فى مثل هذه الرواية : « وهذه الآثارات مشكلة جدًّا » ، وكان الأوْلى عندنا – بالسيوطى – أن يقول إنها – من وجهة النظر الإسلامية – منكرة جدًّا . على أنه ، كما يقول هو (٤) :

١ – كيف يُظَنّ بالصحابة أنهم يَلْحنون فى الكلام ، فضلاً عن القرآن ، وهم الفصحاء اللّدّ ؟

٢ – ثم كيف يُظنّ بهم فى القرآن الذى تلقّوه عن النبى – صلى الله عليه وسلم – كما أُنزل ، وحفظوه ، وضبطوه ، وأتقنوه ؟

٣ – ثم كيف يُظنّ بهم اجتماعُهم كلُّهم على الخطأ وكتابته ؟

٤ – ثم كيف يظنّ بهم عدم تنبّههم ورجوعهم عنه ؟

٥ – ثم كيف يظنّ بعثمان أنه ينهى عن تغييره ؟

---

(١) السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٨٣ .

(٢) يسمّى نفسه الأستاذ الحداد ، وقد ملأ بالطعن على القرآن كتاباً – من جزءين – اسمه : « القرآن والكتاب » ، وهو مطبوع فى بيروت .

(٣) ابن الخطيب : الفرقان ص ٩٠ .

(٤) السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٨٣ (بتصرف بسيط) .

٦ – ثم كيف يظنّ أن القراءة استمرّت ، على مقتضى ذلك الخطأ ، وهو مروىّ بالتواتر خلفا عن سلف ؟ .

ويمضى السيوطى ، فيقول محقًّا : هذا مما يستحيل عقلاً وشرعاً وعادةً [١]

ويسوق – بعد هذا – أجوبةً ثلاثةً للعلماء ، فى هذا الشأن :

(أحدها) أن ذلك لا يصح عن عثمان :

(ا) فإن إسناده ضعيف مضطرب منقطع [٢] .

(ب) ولأنَّ عثمان جعل للناس إماما يقتدون به ، فكيف يرى فيه لحناً ويتركه لتقيمه العرب بألسنتها ؟

فإذا كان الذين تولّوا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك ، وهم الخيار ، فكيف يقيمه غيرهم ؟ .

(حـ) وأيضاً ، فإنه لم يكتب مصحفاً واحداً ، بل كتب عدة مصاحف .

فإن قيل إن اللحن وقع فى (جميعها) ، فبعيدٌ اتفاقهم على ذلك ؛

أو (بعضِها) فهو اعتراف بصحة البعض .

ولم يذكر أحد من النامس أن اللحن كان فى مصحف دون مصحف . ولم تأت المصاحف قط مختلفةً إلا فيما هو من وجوه القراءة ، وليس ذلك بلحن .

(الثانى) أن ذلك – على تقدير صحة الرّواية – محمول على الرمز والإشارة ، ومواضع الحذف ، نحو : « الكتَب » و « الصَّبرين » وما أشبه ذلك [٣] .

(الثالث) أنه مؤول على أشياء خالف لفظها رسمها ، كما كتبوا : لا أوضعوا – لاأذبحنّه (بألف بعد لا) – جزؤا الظالمين (بواو وألف) – بأيّيد (بياءين) . فلو قرئ ذلك بظاهر الخطّ لكان لحنا [٤] .

وَوَجْه هذا ، عند أبى عمرو الدانى ، أنه لو تلا تال مثل هذه الكلمات – على غير معرفة بحقيقة الرسم – « لصيّر الإيجاب نفياً ، ولزاد فى اللفظ ما ليس منه ولا من أصله » .

ويبنى الدانى ، على هذا ، أن عثمان قصد « أن من فاته تمييز ذلك ، وعَزَبَتْ معرفته عنه ، ممن يأتى بعده ، سيأخذ ذلك عن العرب ، إذ هم الذين نزل القرآن بلغتهم ، فيعرّفونه

---

(١) السيوطى : المرجع السابق .

(٢) يقول أبو عمرو الدانى إن هذا الحديث مرسل ، لأن ابن يعمر وعكرمة – المنسوبة إليهما الرواية – لم يسمعا من عثمان شيئاً ، ولا رأياه (المقنع ص ١١٥ النسخة المطبوعة) .

(٣) السيوطى : المرجع السابق .

(٤) نفس المرجع .

بحقيقة تلاوته ، ويدلّونه على صواب رسمه »[١] .

* * *

ويفنّد ابن الأنبارى أيضاً الأقوال التى عُزيت إلى عثمان ، فيحسن التفنيد ، يقول :

(ا) إنه لا تقوم بها حجّة ، لأنها منقطعة غير متصلة .

(ب) وما يشهد عقل بأن عثمان – وهو إمام الأمة الذى هو إمام الناس فى زمنه وقدوتهم – يجمعهم على المصحف الذى هو الإمام ، فيتبيّن فيه خللاً ، ويشاهد فى خطه زللا ، فلا يصلحه . كلا ، والله ! ما يتوهم عليه هذا ذو إنصاف وتمييز .

(حـ) ولا يُعتقد أنه أخّر الخطأ فى الكتاب ليصلحه مَنْ بعده ، وسبيل الجائين بعده : البناء على رسمه ، والوقوف عند حكمه .

(د) ومن زعم أن عثمان أراد بقوله : « أرى فيه لحناً » : أرى فى خطّه لحناً إذا أقمناه بألسنتنا . . . كان لحن الخط غير مفسد ولا محرف – من جهة تحريف الألفاظ ، وإفساد الإعراب – فقد أبطل ولم يصب ، لأن الخطّ ينبئ عن النطق ، فمن لَحَن فى كَتْبه فهو لاحنٌ فى نُطْقه .

ولم يكن عثمان ليؤخر فساداً فى هجاء ألفاظ القرآن من جهة كتْب ولا نُطْق . ومعلوم أنه كان مواصلا لدرس القرآن ، متقناً لألفاظه ، واقفاً على ما رُسم فى المصاحف المُنْفَذَةِ إلى الأمصار والنواحى[٢] .

* * *

ويقول عبد الله بن هانئ مولى عثمان – وهو ما يتأيد به قول المدافعين عن عثمان :

كنتُ – عند عثمان – وهم يعرضون المصاحف ، فأرسلنى بكتف شاة إلى ابن كعب ، فيها : « لم يتسنّ » ، وفيها : « لا تبديل للخلق » ، وفيها ، « فأمهل الكافرين » .

قال : فدعا بالدواة ، فمحا أحد اللاّمين ، فكتب : « لِخَلْقِ اللهِ »[٣] وكتب : « فَمَهِّل »[٤] وكتب : « لَمْ يَتَسَنَّهْ »[٥] ، ألحق فيها الهاء .

قال ابن الأنبارى : « فكيف يُدّعى عليه أنه رأى فساداً فأمضاه ، وهو يُوقَف على

---

(١) المقنع ص ١١٦ (النسخة المطبوعة) .

(٢) السيوطى : نفس المرجع .

(٣) سورة الروم / من الآية ٣٠ .

(٤) سورة الطارق / من الآية ١٧ .

(٥) سورة البقرة / من الآية ٢٥٩ .

ما كُتب ، ويُرفع إليه الخلافُ الواقعُ عن الناسخين ، ليحكم بالحقّ ، ويُلزمهم إثبات الصواب وتخليده ؟[١] » .

* * *

ويروى القلقشندى أن تلك الرواية لا تجوز ، فقد أجمع الصّحابة على أنّ ما بين دفّتى المصحف قرآن ، ومحالٌ أن يجتمعوا على لحن .

وهو يذكر أن هذه الرواية حُمِلت على أن المصاحف التى كُتِبت – فى زمن عثمان – كُتِبت « بقلم جليل مبسوط ، فربمّا وقع – فى بعض الأماكن – اللّفظة ، فيقطعها فى آخر السطر ، ويجعل باقيها فى السطر الثانى » .

ثم يقول القلقشندى : على أن هذه الرواية غير مشهورة عن عثمان كما أشار إلى ذلك الشاطبى بقوله فى الرائية :

ومن روى : سقيم العرب ألسنها لحنا به قـولَ عثمان فما شُهرا[٢]

* * *

والألوسى يقول :

« وأما قول عثمان إن فى القرآن لحناً . . إلخ فهو مشكل جدًّا :

إذ كيف يُظن بالصحابة – أولا – اللحنُ فى الكلام فضلا عن القرآن ، وهُمْ هُمْ ؟

ثم كيف يُظن بهم – ثانياً – اجتماعهم على الخطأ وكتابته ؟

ثم كيف يُظنّ بهم – ثالثاً – عدم التنبه والرجوع ؟

ثم كيف يُظنّ بعثمان عدم تغييره ؟

و كيف يتركه لتقيمه العرب ؟

وإذا كان الذين تولّوا جمعه لم يقيموه ، وهم الخيار ، فكيف يقيمه غيرهم ؟

---

(١) السيوطى : المرجع السابق .

هذا ، ونحن لا نصدّق رواية عبد الله بن هانئ ، ولو أنّها تدافع عن عثمان المتهم بأنه رأى لحناً فى القرآن فلم يصحّحه : فهذه الرواية تطعن جمْع أبى بكر فى الصميم ، ذلك أنّ الكلمات المقول بأنّ عثمان بعث بها إلى أبىّ بن كعب ليرى فيها رأيه إما أن تكون فى الجمع البكرى وإما أن لا تكون :

فإن كانت فيه ، وعلى صواب ، فلماذا يلتمس لها عثمان رأى ابن كعب ؟

وإن كانت غير موجودة فيه ، أو كانت موجودة ولكن على خطأ ، فالمعنى أنّ الجمع البكرىّ ناقص أو خاطئ ، وهذا ما يناقض إجماع المسلمين على سلامة هذا الجمع من كلّ الوجوه سلامة مطلقة . وعلى أنه الأصل الوثيق لجمع عثمان .

(٢) صبح الأعشى جـ ٣ ص ١٤٧ و ١٤٨ .

فلعمرى إن هذا يستحيل عقلاً وشرعاً وعادة ؛ فالحقّ أن ذلك لا يصحّ عن عثمان ، والخبر ضعيف مضطرب منقطع . وقد أجابوا عنه بأجوبة لا أراها تقابل مؤنة نقلها » .

* * *

وثمة تأويل للعبارة المنسوبة إلى عكرمة وسعيد بن جبير – على فرض صحتها – هو أنّ هذين كانا يريدان – بكلمة « لحن » – القراءةَ واللغةَ « والمعنى : أن فى القرآن ورسم المصحف وجْهاً فى القراءة لا تلين به ألسنة العرب جميعاً ، ولكنها لا تلبث أن تلين به ألسنتهم جميعاً بالمران ، وكثرة تلاوة القرآن بهذا الوجه »(٢) .

وواضح أنّ هذا قريب مما فنّده – آنفاً – ابن الأنبارى .

* * *

وعندنا أنه أقرب من كل هذا وأصوب : أن ننفى الرواية عن عثمان أصلاً ، محتجّين بما أسلفنا .

والمهم أن جمع المصحف العثمانى – كما هو – جمعاً صوتيًّا يعاضده : هو دحض عملى لهذه الرواية الضعيفة المضطربة بل المستحيلة – كما قال السيوطى والألوسى – « عقلا وشرعاً وعادة » ، والتى تحمل مع ذلك شرًّا كثيراً .

٥

وكان أيضاً من دواعى تفكيرى فى الجمع الصوتى لمصحف عثمان الذى عليه المسلمون ما قيل من أن مصحفاً من مصاحف عثمان أدقّ من مصحف . نسبوا إلى إبراهيم النخعى أنه قال :

قال لى رجل من أهل الشام : مصحفنا ومصحف أهل البصرة أضبط من مصحف أهل الكوفة .

قلت : لِمَ ؟

قال : لأن عثمان بعث إلى الكوفة – لما بلغه من اختلافهم – بمصحف قبل أن يُعرض ، وبقى مصحفنا ومصحف أهل البصرة حتى عُرضا(٣) .

---

(١) روح المعانى جـ ١ ص ٢٩

(٢) محمد عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان ص ٣٨١ .

(٣) انظر : ابن أبى داود : المصاحف جـ ٢ ص ٣٥ ، وابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ٩ ص ١٧

وهذه الرواية متهافتة . ويُعْوِزُها ما يثبتها ، فضلا عن مناقضتها لما أجمع عليه المسلمون من أن مصاحف عثمان يطابق بعضها بعضاً تمام المطابقة إلا فى كلمات معدودة نصّ عليه علماء القرآن ، وهى الكلمات التى تتضمن قراءتين أو أكثر ، والتى لم تُنسخ فى العرضة الأخيرة ، والتى لا يجعلها تجريدها من علامات الضبط محتملة لما ورد فيها من القراءات ، فقد رسمت هذه الكلمات ، فى بعض المصاحف ، برسم يدل على قراءة ، وفى بعضها ، برسم آخر يدُلّ على القراءة الأخرى . وقد أسلفنا بيان هذا فى حديثنا عن الجمع العثمانى .

على أن ذلك الردّ – مع قوّته – لا يصحّ أن يصرف عن فكرة الجمع الصّوتى لمصحف عثمان . فقد وَجَدت تلك الرواية نوعاً من الحياة فى بعض الكُتُب ، ولا يبعد أن تجد لها – يوماً – ساذَجاً يُصدّقها ، أو ماكراً يتكلف تصديقها .

٦

وكذلك من دواعى معاضدة الجمع العثمانى بجمع صوتى : ما نُسب إلى علىّ بن أبى طالب ، من أنه قال : رأيت كتاب الله يُزاد فيه .

عن عكرمة – فيما ذَكَرَتْ إحدى الروايات – قال :

لما كان ، بعد بيعة أبى بكر ، قَعَد علىُّ بن أبى طالب فى بيته .

فقيل لأبى بكر : قد كره بيعتك !

فأرسَل إليه ، فقال : أكَرِهْتَ بيعتى ؟

قال : لا ، والله !

قال : ما أقعدك عنى ؟

قال : رأيتُ كتاب الله يُزاد فيه ، فحدَّثتُ نفسى أن لا ألبس ردائى إلا لصلاةٍ ، حتى أجمعه .

قال له أبو بكر : فإنك نعم ما رأيت ! (١)

وقد أسلفنا القول فى مناقشة هذه الرواية عند حديثنا عن جمع أبى بكر .

ونضيف أنّ الجمعين : البكرى والعثمانى تاليان – فى تاريخهما – لبيعة أبى بكر . فالزيادة المزعوم أن علياً رآها لقيت – لو كانت وَقَعَتْ – ما منعها منعاً .

---

(١) انظر السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٥٧ و ٥٨ .

٧

وأفدح فى محاولة إيقاع الشك فى صحة الجمع العثمانى الذى أجمعت عليه الأمة ، وأبعث على التفكير فى جمع صوتىّ يعاضده : ما زعمه بعضهم من أن عثمان ، بل أبا بكر وعمر أيضاً ، حرَّفوا القرآن ، وأسقطوا كثيراً من آياته وسوره :

(ا) زعموا أن القرآن الذى جاء به جبريل سبعة عشر ألف آية ، مع أن المشهور أنه ستة آلاف وستمائة وست عشرة آية (١) .

(ب) وأنه كان فى « لم يكن » (٢) اسم سبعين رجلا من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم (٣)

(حـ) وأن « أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ » (٤) ليس كلام الله ، بل محرَّف عن موضعه ، والمنزَّل – بزعمهم – : أئمة هى أزكى من أئمتكم (٥) .

(د) وأن سورة اسمها سورة « الولاية » أُسقطت بتمامها (٦) .

(هـ) وأن سورة « الأحزاب » كانت مثل سورة « الأنعام » ، فأسقطوا منها فضائل أهل البيت (٧) .

(و) وأنهم (٨) أسقطوا لفظ « ويلك » من قبل « لاَ تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا » (٩)

(ز) وأنهم أسقطوا (١٠) عبارة : « عن ولاية على » من بعد « وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُون » (١١)

(ح) وأنهم أسقطوا (١٢) عبارة : « وبعلىّ بن أبى طالب » من بعد : « وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ » (١٣).

(ط) وعبارة « وآل محمد » من بعد « وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُون » (١٤) .

(ى) وأنه كانت فى مصحف عائشة بعد « إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) انظر : الألوسى : روح المعانى جـ ١ ص ٣٣
(٢) يعنى سورة البيّنة
(٣) الألوسى : المرجع نفسه
(٤) سورة النحل/ ٩٢
(٥) انظر : الألوسى : المرجع نفسه
(٦) نفس المرجع
(٧) نفس المرجع
(٨) نفس المرجع
(٩) سورة التوبة / ٤٠
(١٠) الألوسى : نفس المرجع .
(١١) سورة الصافات / ٢٤
(١٢) الألوسى : نفس المرجع
(١٣) سورة الأحزاب / ٢٥
(١٤) سورة الشعراء / ١٢٧

الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً » [١] « وعلى الذين يصلون الصفوف الأول »[٢] .

(ك) وأن النبي قال لأبيّ : إن الله أمرني أن أقرأ عليك : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة ، رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة . وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلاّ من بعد ما جاءتهم البينة . إن الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية . ومن يفعل ذلك فلن يكفره » . وفي رواية : « ومن يفعل صالحاً فلن يكفره . وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة . إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وفارقوا الكتاب لما جاءهم أولئك عند الله شر البرية . ما كان الناس إلا أمة واحدة ، ثم أرسل الله النبيين مبشرين ومنذرين يأمرون الناس يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويعبدون الله وحده . أولئك عند الله خير البريّة . جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربّه » . وفي رواية الحاكم : فقرأ فيها : « ولو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأُعْطِيَه يسأل ثانياً فأعطيه يسأل ثالثاً . ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب[٣] » .

(ل) وأنه كان في سورة الواقعة – في مصحف الربيع بن خيثم من قراء الكوفة [٤] – القراءة المفتراة ، والمنسوبة إلى ابن مسعود ، وأبيّ : « والسابقون بالإيمان بالنبي عليه السلام فهم عليّ وذريته الذين اصطفاهم الله من أصحابه ، وجعلهم الموالي على غيرهم ، أولئك الفائزون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »[٥] .

ومنسوب إلى ابن مسعود أنه كان في مصحفه – في سورة المدّثر – ، بعد « نَذِيراً لِلْبَشَرِ »[٦] : « نبيّنا وعَلِيّنا هما خير البشر ، فمن شاء منهما أن يتقدم أو يتأخر »[٧] .

* * *

ولعلّه واضح جداً أن هذه ادعاءات باطلة ضعيفة التأليف اختلق أغلبها غلاة الشّيعة .

وما كان إسقاط شيء من القرآن ليقع من مسلم ، فضلا عن أن يقع من ثلاثة هم من أشدّ المسلمين إيماناً ، وأغيرهم على القرآن ، وأحفظهم له .

---

(١) سورة الأحزاب / ٥٦

(٢) الألوسي : روح المعاني ص ٢٤ .

(٣) نفس المرجع

(٤) أورده : ابن الجزري ضمن من اشتهر بالقراءة في الأمصار (انظر النشر ج ١ ص ٨)

(٥) Jeffery : Materials for the History of the Text of the Quran. P. 306

(٦) الآية ٣٦

(٧) OP. Cit. P. 353.

والتغيير فى القرآن هو – عند الإسلام – جريمة تُخْرج منه فاعلَها ، فكيف يُقْدم عليها هؤلاء الثلاثة ، وهم – من الإسلام – ما هم ؟

والثابت أن المسلمين – فى جميع أيامهم – أوْلَوا القرآن أصدق عناية ، وأشدّ ضبط ، فكيف سكتوا عن هذا الإسقاط ؟

ولقد حفلت أقوال العلماء والمفسرين – شيعةً وسنّيين ، قُدامى ومحدثين – بالرُّدود الحاسمة على كل هذه الدعاوى ، فضلا عن أنّ المسلمين – على مدى القرون – كتبوا ألوف الألوف من المصاحف ، وزوّدوا بها المساجد ، ودور العلم ، فى مختلف البقاع ، فلم يُذكر أنّ مصحفاً منها زاد أو نقص عن المصحف الذى أجمع عليه المسلمون[1] .

٨

ويلحق بهذا الباب من المطاعن الباطلة ، والموجة – فى رأينا – لجمع المصحف العثمانى جمعاً صوتيًّا يعاضده : ما يقوله الميمونية من الخوارج العجاردة من أنّ سورة يوسف ليست

---

(١) من الأمثلة التى يمكن أن نسوقها تأييداً لهذا :

(ا) فى سنة ٣٨١ هـ ، أسّس أبو النصر سابور بن أردشير وزير بنى بويه داراً للعلم ، فى الكرخ غربى بغداد ، كان بها مائة نسخة من القرآن ، بأيدى أحسن النساخ (متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع – ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده ص ٣١١ – الطبعة الثالثة) .

(ب) وفى سنة ٤٠٣ هـ أنزل فى مصر من القصر إلى الجامع العتيق بألف ومائتين وثمانية وتسعين مصحفاً من ختمات وربعات ، منها ما هو مكتوب كله بالذهب ، ومكّن الناس من القراءة فيها (تاريخ المسبّحى ، نقلا عن : على مبارك : الخطط التوفيقية جـ ٤ ص ٥ – ط ١٣٠٥ هـ)

(جـ) وأنزل الحاكم بأمر الله الفاطمى ، إلى جامع ابن طولون ، ثمانمائة مصحف وأربعة عشر مصحفاً ، للقراءة فيها (على مبارك : المرجع السابق ص ٤٧) ، وجعل الحاكم فى مسجده عدة متصدّرين لتلقين القرآن الكريم (نفس المرجع ص ٨١) .

(د) ولما تكامل بناء المدرسة المستنصرية نقل إليها كثير من الربعات الشريفة . (ابن الفوطى : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة ص ٥٤ ط . بغداد سنة ١٣٥١ هـ) .

(هـ) وكتب شخص واحد هو والد أسامة بن منقذ ثلاثة وأربعين مصحفاً (أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار جـ ١ ص ٥٣) .

(و) ولا تزال الآن فى مكتبات العالم العامة والخاصة مصاحف خطية تعد بالألوف ، وكلها مطابقة للمصحف الذى بين أيدى الناس .

من القرآن ، وإنما هى قصة من القصص ، ومن أدخلها – فى القرآن – فقد زاد فيه ما ليس منه[١] .

وهو قول يرده ما هو واضح – لكل ذى بصر بالقرآن ، وكلٍّ متذوّق له – من أنّ هذه السورة هى كباقى القرآن لغةً ، وأسلوباً ، ومقاصدَ ، وهى كباقى القرآن أيضاً تتحدى البلغاء أن يأتوا بمثلها فلا يستطيعون ، وهى – كباقى القرآن أيضاً – ثابتة التواتر .

* * *

وكذلك ، من المطاعن الموجبة – فى رأينا – للجمع الصوتى : ما ادعاه بعض الغلاة من المنتسبين إلى الشيعة من أنّ علياً جَمَعَ القرآن ، فكان فيه ما سمّوه : « فضائح المهاجرين والأنصار » ، وأن عمر طلب إلى زيد بن ثابت أن يُسقط من القرآن هذه الفضائح ، وأنّ عمر لما استُخْلِفَ « سأل علياً أن يدفع إليهم القرآن ، فيحرّفوه فيما بينهم »[٣] فأبى علىّ ، وقال : « إن القرآن الذى عندى لا يمسّه إلا المطهّرون والأوصياء من وُلْدى »[٤] . وقد سأله عمر : فهل وقت لإظهاره معلوم ؟ فأجاب علىّ : « إذا قام القائم من وُلْدى يظهره ، ويحمل الناس عليه ، فتجرى ألسنة به »[٥] .

والبطلان هنا صارخ على نحو يكاد يكفينا مؤنة الرّدّ :

(ا) فالقرآن عاتب النبىَّ نفسَه غير مرّة ، ولم يُخْفِ – فى كلامه عن بعض الأنبياء الآخرين أيضاً – ما لم يحمده لهم . وقد بقى هذا فيه يحفظه المسلمون أبد الدهر ، فهل المهاجرون والأنصار أعزّ على المسلمين من الأنبياء ، فضلا عن النبى محمد الذى أحبّوه أشدّ الحبّ ، وافتدوه أخلص الافتداء ؟

(ب) وأشياء نزل بها الوحى ، وبلّغها النبى (ص) ، كيف لم يحفظها من المسلمين جميعهم غير علىّ ؟ أيكون النبى قد اقتصر فى إبلاغ بعض الوحى على علىّ وحده ؟ ولكن ، كيف ؟

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٢٢٣ .

(٢) الميمونية أصحاب ذلك الرأى خرجوا – به – عن فِرَق الإسلام ، لأنّ منكر بعض القرآن كمنكر كلّه . وقد زادوا – على هذا وعلى كفرهم فى القَدَر – نوعاً من ضلالات المجوسيّة هو إباحة الزواج من بنات الأبناء والبنات ، ومن بنات الإخوة والأخوات (انظر : الأشعرى : مقالات الإسلاميين جـ ١ ص ١٦٤ ، والبغدادى الأسفرايينى : الفرق بين الفِرق ص ٢٤ و ٩٦ و ٢٨١ ، والمقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٣٥٤) .

(٣) الكاشانى : الصافى ص ١٠ .

(٤) نفس المرجع .

(٥) نفس المرجع .

والنبي مُرسَل للناس كافة ، وقد أدّى الأمانة ، وبلّغ الرسالة ، فيما يؤمن به كل المسلمين ، وليس من الأمانة أبداً أن يحبس عن الناس ما نزل به الوحي ، ويُؤثر به شخصاً واحداً ؟

في صحيح البخاري(١) :

عن عائشة قالت : مَنْ حدَّثك أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من الوحي فلا تُصدقْه ، إنّ الله تعالى يقول : « يَاأَيُّها الرَّسُول بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّم تفْعل فَمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَه »(٢)

وكيف غابت هذه الأشياء حتى عن أقرب الصحابة إلى الرسول مِن مثل أبي بكر صديقهِ الأول ، وأولِ من آمن به من الرجال ، وثاني اثنين إذ هما في الغار ، والذي ضحّى ما ضحّى في سبيل الرسول ، وفي سبيل دعوته ، والذي زوّجه ابنته ، والذي اختاره النبي ليؤم – مكانه – المسلمين في الصلاة ، فاعتبروا ذلك إشارة إلى أحقّيته بالخلافة بعده ؟

كيف غابت حتى عن أبي بكر ، وهو الذي كان النبي (ص) يقول فيه : إنّ من أَمَنِّ الناس عَلَيَّ في صحبته وماله أبا بكر ولو كنتُ متخذاً خليلاً من أمتي لا تخذت أبا بكر خليلا (٣) .

كيف غاب شيء من القرآن حتى عن أبي بكر ، فلم يعرفه إلا من المصحف المزعوم حين خرجت بالصُّدفة « فضائح القوم » ، في أول صفحة فتحها ؟

كيف ، وهؤلاء القوم هم أتباع النبي ، وجنوده ، وأحبابه ، يعايشهم ويعايشونه في مجتمع لم تكن امتدت أطرافه ؟

(ح) وهذه الرواية – إذْ تُنسب إلى عمر أنه رفض قرآناً ، وزوّر ما دُعي قرآنا – ترمي عمر بالكفر الصريح ، وهو ما تنقضه سيرة عمر الذي كان سماعه القرآن سبب دخوله المفاجئ في الإسلام .

---

(١) كتاب التوحيد – باب قول الله تعالى : يَاأَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إليك من ربك . . إلخ . ح ٧٥٣١ .

(٢) سورة المائدة / ٦٧ .

(٣) انظر في هذا الحديث :

صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب الخَوْخة والممرّ في المسجد . ح ٤٦٦ و ٤٦٧ وكتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة – ح ٣٩٠٤ .

وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ح ٢٣ ، وكتاب فضائل الصحابة ح ٢ – ٧ .

وابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ١ ص ٥٨ وج ٧ ص ٢٢٧ (ط . محبّ الدين الخطيب) .

والبغويّ الفراء : مصابيح السُّنّة ج ٢ ص ١٩٤ .

(د) وتوقيت ظهور القرآن بالشكل المزعوم « إذا قام القائم من وُلْد علىّ » قيل فيه الغلوّ فى التشيع على أوضح نحو .

ولماذا لم يظهر القرآن على يد علىّ نفسه حين تولى الخلافة ؟

وهل كان ضرورياً أن يدع التزوير قائماً ، ريثما يظهر فى المستقبل المجهول حاكم من ولده ؟

وإذا لم يبادر علىّ – فى خلافته – إلى تصحيح خطأ رآه هو نفسه فى كتاب الإسلام ، فأىّ شىء كان أحق عنده بالمبادرة (١) ؟

ثم لماذا لم يقرئ علىٌّ أهل بيته بالشكل المزعوم ، وهو على ذلك – لو شاء – قدير ؟

(هـ) و « الفضائح » المزعومة ليست عند غلاة الشيعة – فى ذلك الوقت – غير تقديم أبى بكر للخلافة من دون علىّ . وما ينبغى – من أجل اختلاف الموازين فى السياسة – التهور إلى ادعاءات هائلة كتلك .

(و) على أن هؤلاء – فيما يرى علماء المسلمين – قد خرجوا بما قالوا من الإسلام . ويصفهم ابن حزم بأنهم « طوائف » :

أشدّهم غلوًّا : يقولون بإلهية علىّ بن أبى طالب ، وإلهية جماعة معه .

وأقلّهم غلوًّا : يقولون إن الشمس ردّت على علىّ بن أبى طالب مرتين .

فقوم هذا أقل مراتبهم فى الكذب ، أيستبشَعُ منهم كذبٌ يأتون به ؟ . . . إلى أن يقول : « وكل دعوى بلا برهان فليس يَستدلُّ بها عاقل ، سواء كانت له ، أو عليه » (٢) .

(ز) وعندى أن نسبة هذه المزاعم إلى الشيعة – بعامة – هو قول تنقصه الدقة ، فضلا عن الصّحة . فهذه طائفة من علماء الشيعة يبرءون من هذه المزاعم ، ويشاركون إخوانهم أهل السُّنّة الاعتقاد بأن القرآن الذى بين أيدى المسلمين هو القرآن الذى أنزله الله على محمد ، لم يزد عن هذا شيئاً ، ولم ينقص شيئاً ، ولم يعتره أى تغيير .

١ – قال الشريف المرتضى فى : « جواب المسائل الطرابلسيات » ، فيما حكاه عنه صاحب « مجمع البيان » ، وهو شيعى هو الآخر :

« إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان ، والحوادث العظام ، والكتب المشهورة ، وأشعار العرب ، فإن العناية اشتدت ، والدواعى توفرت على نقله وحراسته ، وبلغت إلى

---

(١) انظر : على القارى : شرح العقيلة الورقة ٦ من المخطوطة ٢٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) الفصل فى الملل والنحل حـ ٢ ص ٧٨

حدٌّ لم تبلغه فيما ذكرناه ، لأن القرآن معجزة النبوة ، ومأخذ العلوم الشرعية ، والأحكام الدينية . وعلماءُ المسلمين قد بلغوا – فى حفظه وحمايته – الغاية ، حتى عرفوا كل شىء اختُلف فيه ، من إعرابه ، وقراءاته ، وحروفه ، وآياته . فكيف يجوز أن يكون مغيراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد » ؟ . .[١]

وقال الشريف المرتضى : « إن العلم بتفصيل القرآن وأبعاضه ، فى صحة نقله ، كالعلم بجملته ، وجرى ذلك مجرى ما عُلم ضرورةً من الكتب المصنّفة ككتاب سيبويه والمزنى ، فإن أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها ما يعلمون من جملتها ، حتى لو أن مُدْخِلاً أدخل فى كتاب سيبويه باباً فى النحو ليس من الكتاب لعُرف ومُيِّز ، وعُلم أنه ملحق ، وليس من أصل الكتاب ، وكذلك القول فى كتاب المزنى .

ومعلوم أن العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بكتاب سيبويه ودواوين الشعراء »[٢] .

* * *

٢ – وقال أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى (٣٨٥ – ٤٦٠ هـ)[٣] .

« وأما الكلام – فى زيادته ونقصانه – فمما لا يليق به أيضاً .

لأن الزيادة : فيه مجمع على بطلانها .

والنقصان فيه : فالظاهر أيضاً – من مذهب المسلمين – خلافُهُ ، وهو الأليق الصحيح من مذهبنا . . إلخ » .

* * *

٣ – وقال أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى فى مقدمة تفسيره : « مجمع البيان لعلوم القرآن »[٤] .

« أما الزيادة فى القرآن : فمجمع على بطلانها .

وأما النقصان : فروى جماعة من أصحابنا ، وقوم من حشوية العامة أن فى القرآن نقصاناً . والصحيح – من مذهب أصحابنا – خلافه ، وهو الذى نصره المرتضى » .

---

(١) انظر الطبرسى : مجمع البيان لعلوم القرآن جـ ١ ص ١٨ (ط . دار التقريب بين المذهب الإسلامية بالقاهرة) .

(٢) انظر : المرجع السابق ص ١٩ ، ومحسن الأمين : نقض الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة لموسى جار الدين فاطمة التركستانى ص ١٩٦ و١٩٧ .

(٣) التبيان فى تفسير القرآن جـ ١ ص ٣ .

(٤) جـ ١ ص ١٨ وانظر : محسن الأمين : الكتاب السابق ص ١٩٨ .

٤ – وقال بهاء الدين محمد بن الحسين العاملى :[١]

« الصحيح أن القرآن محفوظ عن ذلك (أى عن التحريف) زيادة كان أو نقصاناً ، ويدل على ذلك قوله تعالى : « وإنّا له لَحٰفِظُونَ »[٢] .

* * *

٥ – ويقول محسن حكيم الطباطبائى[٣] :

« إن سلف المسلمين كافة ، وعلماء الإسلام عامة – منذ بدء الإسلام إلى يومنا هذا – يرون أن القرآن – فى ترتيب سوره وآياته – هو كما بين أيدينا ، ولم يعتقد أحد من السلف فى التحريف » .

* * *

٦ – ويقول أبو القاسم موسوى خوجا[٤] :

« إن أىّ حديث – حول أىّ تحريف فى القرآن – لا يعدو أن يكون خرافة . فإنّ القرآن الكريم لم يعتره قط أى تغيير من أىّ نوع » .

* * *

٧ – ويقول هادى الحسينى الميلانى[٥] :

« لم يطرأ على القرآن – بأىّ شكل – أى اختلاف فى الترتيب ، أو أى حذف ، أو أية إضافة . وكلّ جدال – حول التحريف – هو زائف ، وصفر من الحقيقة .

إن القرآن هو المعجزة الأبدية للنبى الكريم ، وقد أخذ الله – سبحانه – على نفسه « جَمْعَه وقرآنه » ، وقال : « وَإِنَّا لَهُ لَحٰفِظُون[٦] » ، وقال عنه : (لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ[٧] » .

---

(١) الكتاب السابق .

(٢) سورة الحجر من الآية ٩ .

(٣) S.V. Mir Ahmed Ali : A preface to The Translation of The Holy Quran. P. 95 A.

(٤) Ibid. P. 61 A.

(٥) Ibid. P. 63 A.

(٦) سورة الحجر : ٩ .

(٧) سورة فصلت : ٤٢ .

ويقول :

« القرآن الكريم مصون من التحريف ، لم تتطرق إليه يد الباطل بوجه من الوجوه ، وذلك معتقدنا » .

* * *

٨ – وقال محمد بن بابويه القمّى المعروف بالصّدوق :

« إن عقيدتنا – يقيناً -- هى أن القرآن الذى أنزله الله على النبى محمد – صلى الله عليه وسلم – هو ما بين دَفَّتى المصحف ، وهو ما بين أيدى الناس ، ولا شيء غير هذا » .

ويقول أيضاً :

« فإذا عزا امرؤ إلينا نحن الشيعةَ – غيرَ هذا فهو كاذب » .

٩

وقيل إنّ ترتيب السّور والآى اختلف ، فى مصاحف الصحابة ، عما هو فى مصحف عثمان ، على تفصيل أوضحته بعض الكتب[٣] .

وكذلك اختلف عدد السور[٤] .

والذى نراه – من أقوال الثقات ، ومن النقل المتواتر المجمع عليه ، ومن جلالة الأمر التى لا تسمح بتركه للاجتهاد الإنسانى – أن ترتيب القرآن ونظمه هو – كما قال القاضى أبو بكر فى « الانتصار » – : « ثابت على ما نظمه الله تعالى ، ورتّبه عليه رسوله ، من آى السّور ، لم يُقَدَّمْ من ذلك مُؤَخَّر ، ولا أُخِّر منه مُقَدَّم ، وأنّ الأمة ضبطت عن النبى – صلّى الله عليه وسلم – ترتيب آى كل سورة ، ومواضعها ، وعرفت مواقعها ، كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التّلاوة »[٥] .

---

(١) Op. Cit. P. 4 A.

(٢) Ibid. P. 63 A

(٣) انظر مثلا :

السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٦٢ و ٦٤ و ٦٥ .

وابن النديم : الفهرست ص ٢٦ و ٢٧ .

(٤) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٦٥ .

(٥) نفس المرجع ص ٦١ .

ونرى – مثل ما رأى ابن الحصار – أن ترتيب السّور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحى :

كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : ضعوا آية كذا فى موضع كذا .

وقد حصل اليقين ، من النقل المتواتر بهذا الترتيب ، من تلاوة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مما أجمع الصحابة على وضعه هكذا فى المصحف [١] .

والمسلمون – منذ الصدر الأول – يدركون أنّ ترتيب القرآن على وفق نزوله هو فوق الطاقة . قال محمد بن سيرين لعكرمة ، أيام الجمع الأول للقرآن : ألّفوه (يريد القرآن) كما أنزل : الأول فالأول ، فأجاب عكرمة : لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يؤلّفوه هذا التأليف ما استطاعوا [٢] !

نعم ، إنّ ثمة أقوالاً بأنّ بعض السّور لم يُعلم ترتيبها فى حياة النبى (ص) ، وأنه يمكن أن يكون قد فوّض الأمر – فيه – إلى الأمة بعده ، ولكن الترتيب العثمانى – حتى على فرض صحة هذا – هو أهم الترتيبات ، وأكثرها ذيوعاً ، ولذلك راعى الجمعُ الصوتىُّ الأول ، وسيظل – إن شاء الله – يراعى ما يجب من التزام الترتيب العثمانى للسّور والآيات .

ونحن نرى – مع أغلب القرآنيين – أن القرآن كما أنه معجز بسبب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه ، فهو معجز أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته .

وكذلك نلاحظ – مع الملاحظين – أنه « يقوم – بين جمل القرآن ، وآيه ، وسوره – تناسب بارع ، وارتباط محكم ، وائتلاف بديع ينتهى إلى حدّ الإعجاز ، خصوصاً إذا لاحظنا نزوله منجّماً على السنين والشهور والأيام »[٣] .

* * *

وكان من الحوافز المباشرة لتسجيل مصحف عثمان ، على وفق ترتيبه – سوراً وآيات – أنّ أفراداً – قدماء ومحدثين – رتّبوا سور القرآن ترتيباً خاصاً ، حسبما أشرنا قبلا .

ومن هؤلاء – فى العصر الحديث – « نولدكه » الذى أخذ ترتيبه عن كتاب أبى القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافى من رجال القرن الخامس [٤] .

---

(١) انظر : السيوطى – الإتقان جـ ١ ص ٦٢ .

(٢) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٥٨ .

(٣) انظر : محمد عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان فى علوم القرآن ص ٧٣ (الطبعة الثانية) .

(٤) انظر : الزنجانى : تاريخ القرآن ص ٧١ .

ومنهم بلاشير Blachere الفرنسى .

وقد طالب فعلاً أحد الناس – قبل مشروع المصحف المرتّل بسنوات قليلة – بترتيب سور القرآن ، على حسب نزولها ، من سورة العلق ، ثم المزمل ، ثم المدثر ، ثم الفاتحة ، وهكذا حتى يختم بسورة النّصر[1] .

وتضمنت هذه المطالبة قولاً جريئاً خطيراً هو أن « ترتيب القرآن – فى وضعه الحالى – يبلبل الأفكار ، ويضيع الفائدة المطلوبة من نزول القرآن ، لأنه يخالف منهج التدرج التشريعى الذى روعى فى النزول ، ويفسد نظام التسلسل الطبيعى للفكرة ، لأن القارئ إذا تنقل من سورة مكية إلى سورة مدنية : اصطدم صدمة عنيفة ، وانتقل – بدون تمهيد – إلى جوّ غريب عن الجوّ الذى كان فيه . . . إلخ » .

وقد رُدّ على هذه الدعوة بما فحواه :

(ا) أن ترتيب السّور توقيفىّ ، على ما يقرره جمهور العلماء . ولم يخالف سنّىّ ولا شيعىّ فى التزام هذا الوضع الذى كان عليه المصحف من أول يوم .

(ب) وأن احترام قدسية الوضع المأثور يقضى بالمحافظة على النَّسق القائم الآن ، فى الآيات والسّور جميعاً ، وأن فكرة ترتيب المصحف – على حسب النزول – كانت تقضى بتغيير الوضع ، فى السور والآيات جميعاً ، بل هى – فى الآيات – كانت أشد اقتضاء ، ومع ذلك فقد خولفت .

(حـ) وأن تغيير الترتيب يفتح مجال الشبهة ، أمام العصور المقبلة ، فيقول قائل منهم : إنه لم تبق لنا ثقة بأنّ هذا الكتاب بقى ، فى كلّ العصور ، بعيداً عن كل تبديل ، لأنه ، فى عصر ما ، غُيّرت أوضاع السّور فيه ، فلعلّه قد أصابته – قبل ذلك – تعديلات أخرى لم تصل إلينا أنباؤها .

(د) وأن هذه الدعوة خارقة لإجماع المسلمين : ويحرّف بها الكلم عن مواضعه التى وضعه الله فيها ، ولن يكون من ورائها إلا إفساد النَّسَق وتشويه جماله[2] .

* * *

---

(١) تقدم بهذا « يوسف راشد » بوزارة العدل ، فى رسالة عنوانها : « رتبوا القرآن كما أنزله الله » . وقد كتب المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز تقريراً عن هذه الرسالة رفعه إلى إدارة الأزهر .

وانظر نصّ هذا التقرير فى مجلة كنوز القرآن ع . أكتوبر ونوفمبر ١٩٥١ .

(٢) انظر التقرير المشار إليه آنفاً .

ولعلّ مما يؤيد هذا الردّ القويّ أن كاتباً فى الشام[١] وضع تفسيراً للقرآن[٢] ، فرأى أن يجعل ترتيب التفسير وفق ترتيب نزول السّورة[٣] ، واعتضد بفتويين :

قالت (إحداهما) : « إن التفسير ليس بقرآن يُتْلى حتى يُراعى فيه ترتيبُ الآيات والسّور »[٤] .

وقالت (الأخرى) : إن المنع من هذه الطريقة « يثبت فيما لو كان هذا الصنيع مسلوكاً من أجل أن يكون هذا الترتيب مصحفاً للتلاوة »[٥] .

ومع ذلك ، فقد اضطر الكاتب إلى مخالفة ترتيب النزول . يقول هو نفسه : « ولقد رأينا – مع ذلك – أن نخالف ترتيب هذا المصحف بعض الشىء ، فَسُور : العَلَق ، والقَلَم ، والمزّمل ، والمدّثّر التى وردت فيه كالسور الأولى ، والثانية ، والثالثة ، والرابعة – بالتوالى – ليست كذلك إلا بالنسبة لمطالعها فقط على أحسن تقدير . . إلخ[٦] » .

على أن هاتين الفتويين تستحقان – فى رأينا – أن يعاد النظر فيهما :

فتفاسير القرآن تتضمن – فى الأغلب الأعمّ – كلَّ نصوص القرآن مستقلةً عن الشروح ، وكلها تلتزم – فى الأغلب الأعمّ أيضاً – ترتيبَ المصحف العثمانى ، ومن هنا يقرأ كثير من الناس القرآن ، فى هذه المصاحف المفسّرة . وإذن ، فالأساس الذى قامت عليه الفتويان منهدم ، ويتعين المنع من مخالفة الترتيب المجمع عليه والمتواتر .

وهنا نذكر أنّ بعض القراء (الصّبيتة) لا يلتزمون أحياناً – فى المحافل – بترتيب السّور والآيات ، وذلك لأغراض ساذجة ، منها الاقتصار على آيات معيّنة يضبطون أنغامها على نحو يتملّقون به أذواق العامّة ، ومنها : تجنّب آيات الإنذار والتخويف ، كأنما يريدون تجنيب المستمعين شيئاً يقرع أسماعهم وقلوبهم .

* * *

هذا ، ومما قيل – فى توقيفية ترتيب السور فى المصحف – : إن لهذا الترتيب أسباباً :

(أحدها) : بحسب الحروف ، كما فى الحواميم .

---

(١) هو : محمد عزة دروزه .

(٢) اسمه : التفسير الحديث .

(٣) انظر : التفسير المذكور – المقدمة جـ ١ ص ٨ .

(٤) أبو اليسر عابدين – انظر المقدمة جـ ١ ص ٩ .

(٥) عبد الفتاح أبو غده – انظر المقدمة جـ ١ ص ٨ و ٩ .

(٦) نفس المقدمة جـ ١ ص ١٦ .

و (ثانيهما) : موافقة أول السورة لآخر ما قبلها ، كآخر « الحمد » فى المعنى ، وأوّل البقرة.

و (ثالثها) : للوزن فى اللفظ ، كآخر « تبّت » وأول « الإخلاص » .

و (رابعها) : مشابهة جملة السّورة لجملة الأخرى ، مثل : « والضّحى » و « ألم نشرح

وقد كان من الوسائل الخائبة التى أراد بها أصحابها إلقاء ظلال من الشكّ على إلهيّة النصّ القرآنىّ الزعْم بأنّ زيد بن ثابت وبعض الصحابة هم الذين رتّبوا التنزيل :

يقول بروكلمان ، فى حديثه عن جمع عثمان : « إنّ زيداً رتّب – فى هذا الجمع – السُّور حسب طولها ، وابتدأ بأطولها ، بعد الفاتحة التى وضعها على رأس السّور كلّها ، وعلى هذا المنوال ، جمع القرآن أيضاً أبىّ بن كعب ، والمقداد بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو موسى الأشعرى . . . » (٢) .

ونظنّ أنّ فيما تقدم عن ترتيب سور القرآن وآياته ما يُسقط ببساطة ادّعاء بروكلمان .

* * *

وبعد ، فقد رأيتُ أنّ أبلغَ ما يردّ به المسلمون على كلّ تلك الدعاوى وما يسجّلون به رفضهم لها ، وأخذهم بمصحف عثمان الذى أجمع عليه المسلمون ، وما يمنعون به أن يقع – فى وَهْمٍ وَاهٍ – أن هنالك ما يخالف النصّ الذى استقرّ عليه الأمر ، هو أن يكون الجمع الصوتى الأول للقرآن – وهو جمع سيوجّه الأجيالَ المسلمةَ إلى يوم الدين – مقصوداً به جمع المصحف العثمانى وحده ، دون ما عداه من المصاحف ، وأن يكون الجمع على الترتيب الذى راعاه هذا المصحف دون أى ترتيب آخر .

والله المستعان .

---

(١) انظر : الزركشى : البرهان جـ ١ ص ٢٦١ .

(٢) تاريخ الأدب العربى (ترجمة عبد الحليم النجار) جـ ١ ص ١٤٠ .

الفصل الثاني

درء التحريف

١

يقرر القرآن أنّ اليهود نقضوا ميثاقهم ، فطردهم الله من رحمته « فِبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ [١] »

ومن وجوه هذا النقض :

كتمانهم صفة النّبيّ محمد [٢] (صلى الله عليه وسلم) .

ونبذهم الكتاب ، وتضييعهم الحدود ، والفرائض [٣]

ويقرر القرآن أيضاً أنّ اليهود حرّفوا ما أوحى به الله :

« مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ » [٤]

« يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ » [٥]

ويحتمل هذا التحريف – فيما يقرر المفسرون – تحريف الألفاظ بالتقديم ، والتأخير ، والحذف ، والزيادة ، والنقصان . ومصداق ذلك قول القرآن حكايةً عنهم : « وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ، وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » [٦] .

كما يحتمل تحريف المعانى ، بسوء التأويل ، وحملِ الألفاظ على غير ما وُضعت له ، والتحيّلِ لتبديل المعانى ، من جهة اشتباه الألفاظ واشتراكها ، وتشعّب التأويلات فيها ،

---

(١) سورة المائدة / ١٣ .

(٢) انظر : الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ١١ ص ١٨٦ – ١٨٨ .

(٣) انظر : الطبرسى : مجمع البيان فى تفسير القرآن جـ ٢ ص ٥١ – ٥٤ .

(٤) سورة النساء / ٤٦ .

(٥) سورة المائدة / ١٣ .

(٦) سورة آل عمران / ٧٨ .

ومثال ذلك – كما يقول ابن عطية – قولهم : « وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا »(١) ، ونحو ذلك(٢).

ويروى المفسرون أن التحريف وقع بالكتاب ، أى بألفاظه ومعانيه معاً ، والمعانى هى تبع للألفاظ (٣)

وقد روى(٤) أنّ النبيّ (ص) – حين دخل المدينة – دعا اليهود إلى القرآن ، فكذّبوه ، فنزلت الآية : « أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ »(٥) .

فهكذا – فيما يقرر القرآن – كان تحريف اليهود لكتبهم تحريفاً مبكّراً عنيداً متعمّداً سيّئ القصد ، حتى صار سبباً لذلك الاستفهام الذى توجّهه الآية إلى المسلمين – على سبيل الإنكار والاستبعاد – عن كيف يرجون من اليهود الإيمانَ والرُّشْد .

والقرآن يقول : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ »(٦) . ويقول المفسّرون فى هذا إن اليهود كانت تعطى أحبارها بعض أموالها ، على ما كانوا يضعونه لهم ، مما ينصرون به اليهودية . ويقال إن هؤلاء الأحبار كانوا يُؤْثرون تكذيب النبى (ص) ، ليأخذوا الرِّشا على ذلك ، ولتحصل لهم الرياسة (٧) .

والمروىّ : أن بعض اليهود كتبوا كتاباً بدّلوا فيه صفة النبى محمد (ص) ، وأخذت قُرَيْظَة ما كتبوه ، فخلطوه بالكتاب الذى عندهم ، ولم يكتفوا بهذا الكذب ، حتى عضّدوه بقولهم إنه فى التوراة هكذا . وذلك – كما يقول أبو حيان المفسر – « لِفرط جرأتهم على الله ، ويأسهم من الآخرة (٨) ، فجعلوا يلوون ألسنتهم أى يفْتِلُونَهَا – أمام المسلمين – بقراءة هذا التحريف ليحسبه المسلمون من الكتاب الصحيح « وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ

---

(١) سورة النساء / ٤٦ .

(٢) أبو حيان الأندلسى : البحر المحيط جـ ٢ ص ٥٠٢ و ٥٠٣ ، وانظر : الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ١٠ ص ١١٨ .

(٣) انظر : الطبرسى : مجمع البيان فى تفسير القرآن جـ ٢ ص ٥١ – ٥٤ .
ورشيد رضا : تفسير المنار جـ ١ ص ٣٥٥ – ٣٦٦ .
وأبو حيان الأندلسى : المرجع السابق .

(٤) انظر : الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ٤ ص ١٤٨ .

(٥) سورة البقرة / ٧٥ .

(٦) سورة النساء / ٤٤ .

(٧) انظر : الطبرسى : مجمع البيان جـ ٥ ص ١١٦ .
والفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ١٠ ص ١١٥ .

(٨) البحر المحيط جـ ٢ ص ٥٠٣ .

لِتحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ، وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ ، وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ »(١) .

وعن ابن عمر قال :

« أتى النبي – صلى الله عليه وسلَّم – برجل وامرأة من اليهود قد زَنَيا .

فقال لليهود : ما تصنعون بهما ؟

قالوا : نسخِّم وجوههما ونُخزيهما .

قال : فأْتوا بالتوراة : فَاتلوها إن كنتم صادقين .

فجاءوا ، فقالوا لرجل مِمّن يرضون : يا أعور . . . اقرأ .

فقرأ ، حتى انتهى إلى موضع منها ، فوضع يده عليه .

قال : ارفع يدك .

فرفع يده ، فإذا فيه آية الرَّجْم تلوح .

فقال : يا محمد ، إنّ عليهما الرَّجْم ، ولكنّا نكاتمه بيننا .

فأمر بهما ، فرُجِما ، فرأيته يجانئ عليها الحجارة(٢) » .

فهكذا تقول الروايات الإسلامية إن اليهود خضعوا للهوى خضوعاً أمالهم عن الحقّ ، وزيّن لهم تحريف كتابهم .

* * *

وفى القرآن : أن اليهود أخفَوْا كثيراً من كتابهم :

« قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً »(٣) .

« يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ »(٤) .

يقول أبو حيان الأندلسي : « دلّت هاتان الآيتان على أنّ الذى أخفَوْه من الكتاب كثير ، ودلّ – بمفهوم الصّفة – أن الذى أبدَوْه من الكتاب قليل »(٥) .

---

(١) سورة آل عمران / ٧٨ .

(٢) انظر : صحيح البخارى – باب ما يجوز من تفسير التوراة وكتب الله

وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ١٣ ص ٤٤٣ و ٤٤٤ (ط . البيّة) .

(٣) سورة الأنعام / ٩١ .

(٤) سورة المائدة / ١٥ .

(٥) البحر المحيط جـ ٢ ص ٥٠٣

وقد عُرِفَتْ فعلاً كتب يهودية أحصاها المؤرخون ، وأخفاها اليهود ، مثل : سِفْر يهوذا ، أو يهوديت ، وكتب الميكابيين ، وسفر يسوع ابن سيراخ (١) .

* * *

وربما أيّد وقوع التحريف – بالإضافة إلى النصوص السّابقة – أنّ من اليهود فرقة الصّادوقيين Sadducees ، وهى لا تؤمن بأوّليّات ما جاءت به الأديان السماوية من أنّ الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، وهى تنكر الملائكة ، وتنكر الروح ، وتُنكر القضاء والقدر ، ولا تشهد أن الحساب حقّ ، والنعيم حق ، والعذاب حق ، وترى أن العقاب والثواب كليهما يقعان فى الحياة الدنيا(٢) .

* * *

ومما يلاحظ على التوراة الحاضرة أنها تعارض أشياء يراها المسلمون حقائق :

فهى تَعُدُّ النَّبيِّين : داود ، وسليمان مجرد ملِكَيْنِ ، وتَعُدُّ الأنبياء : إبراهيم ، وإسحق ، ويعقوب مجرد آباء قدامى Patriarchs (٣)، بينما يعدّهم المسلمون أنبياء من يكفر بهم أو لم يقرّهم خرج عن الإسلام .

ويبدو أن هذه التسمية أثّرت فى كتّاب اليهودية والمسيحية ، فهم الآخرون يردّدونها(٤) .

---

(١) انظر : على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ١٦ ، وانظر : ابن خلدون : المقدّمة جـ ٢ ص ٥٩٣ – ٥٩٥ ، وانظر تعقيبات المحقّق .

(٢) نشأت هذه الطائفة اليهودية فى القرن الثانى قبل ميلاد المسيح ، لتواجه طائفة الميكابيين ، وأخذت اسمها من صادق Zadok بوصفه سلف الطبقة الكهنوتية الرفيعة . وربّما كانوا ممثلين الآن فى طائفة القيراطيين Karaites وانظر :

The Encyclopedia Americana, Vol. 14. P. P. 99 & 100.

(٣) انظر :

الكتاب المقدس : أعمال الرسل : الفصل ٤ ، الفقرات ١ و٢ وما بعدهما ، والفصل ٢٣ ، الفقرة ٨ ، وإنجيل متى : الفصل ١٦ الفقرات ١ و٦ و١١ .

وانظر : A. P. Stanely : History of Jewish Church. Vol. III P. 335.

(٤) هذه مثلاً كتب وقعت لنا : وفيها ، حتى فى عنواناتها ، يسمّى هؤلاء الأنبياء آباء قدامى .. Patriarchs

a) Patriarchal Times or The Land of Canaan in seven books. Founded on the Holy Scriptures, by Miss O. kecffe (London. 1820).

b) History of The Patriarchs. by A. Alex under. (philadelphia. American Sunday School Union).

c) The Patriarchal Age, by Charles F. Pfeiffer. (Baker Book House. Grand Rapids. 6 Michigan 1961).

d) The Patriarchs of Israel. by Gohn Marshall Holt (Vanderbilt University Press. Nashville 1964).

والعبارات والألفاظ فى أسفار العهد القديم تحمل – طبعاً – ما ينمُّ عن زمن كتابتها ، وهو زمن متأخر كثيراً عن عهد موسى الذى أُنزلت عليه التوراة الحقيقية .

وقد أسلفنا – فى فصل سابق – أن التوراة – عند أهل الكتاب أنفسهم – ليست شيئاً واحداً ، فنسخة اليهود غير نسخة السّامرة ، غير نسخة النصارى .

يقول صاحب تفسير المنار[1] ، فى موضوعية واضحة :

« ومن المعلوم من التاريخ – بالقطع ، عندنا وعندهم : أنّ التوراة التى كتبها موسى عليه السّلام ، ووضعها فى التابوت (صندوق العهد) ، وأخذ الميثاق على بنى إسرائيل بحفظها ، كما هو منصوص فى آخر سفر (تثنية الاشتراع) قد فقدت من الوجود عندما أغار البابليّون على اليهود ، وأحرقوا هيكل بيت المقدس .

والتوراة الموجودة الآن يرجع أصلها إلى ما كتبه عزرا الكاهن[2] بأمر أرتحستا ملك فارس الذى أذن لبنى إسرائيل بالعودة إلى أورشليم ، وأذن له أن يكتب لهم كتاباً من شريعة الربّ وشريعة الملك ، ولذلك تكثر فيه الألفاظ البالية كثرة فاحشة » .

٢

وفوق هذا ، فالظن أنه ليس عسيراً على من يطالع التوراة الحاضرة من المسلمين أن يكتشف التبديل فى الألفاظ والمعانى ، فقد تضمنت أشياء لا يمكن التصديق بأنها من عند الله :

(١) فالله – فيها – ليس مخالفاً للحوادث ، وهو كالبشر : يأكل ، ويصارع ، ويبكى ، وينتحب ، ويندم ، ويأتى أموراً شِرِّيرة ، وهو – أحياناً – يكذب ، ويغشّ ، وفيه – أحياناً – ضعف ، وغَرَارة ، وجهل ، وصفات أخرى هى – عند المسلمين – مستحيلة فى حقّه ، منافية لجلاله ، مناقضة لكماله .

---

e1 The Story of Patriarchs and Prophets.

The Conflict of the Ages illustrated in Lives of Holy Men of Old. by Ellen G. White (Washington. 1959).

(١) انظر ج ١ ص ٢٠٩ (ط . ١٣٧٣ هـ) .

(٢) يصفه العهد القديم بأنه « كاتب ماهر فى شريعة موسى التى أعطاها الربّ إله إسرائيل » (سفر عزرا – الإصحاح السّابع) .

(ب) وثمة قبائح مستبشعة نَسَبَتْها هذه التوراة إلى الأنبياء والرسل ، ولا يستطيع المؤمنون بالله ورسله التصديق بها :

١ – نَسَبَتْ – مثلا – إلى أبى الأنبياء : إبراهيم – الكذبَ ، والمتاجرة بزوجته الجميلة : سارة ، مرّة فى مصر ، وفى أرض جرار مرة أخرى ، نظير « غنم ، وبقر ، وحمير ، وعبيد وإماء ، وأتُن ، وجِمال »[1] .

٢ – ونسبت – مثلا أيضاً – إلى لوط أنّ ابنتيه أسكرتاه ، فاتّد وعيه ، فزنى بهما ، فجاءتا ، منه ، بولدين هما أصل شعبىْ : المؤابيّين ، والعمونيّين[2] .

٣ – ونسبت – إلى النبى : داود – أنه زنى بامرأة متزوّجة أعجبته ، فحملت منه ، ولكى يخلو له وجهها ، هيّأ الأسباب لقتل زوجها الشّجاع الوفىّ الذى كان يحارب أعداء وطنه ، والذى أبت عليه همته ومروءته أن يأوى إلى بيته ، بعد اغترابه فى الجهاد ، ما دام له إخوان لا يزالون فى الصحراء يحاربون[3] .

٤ – بل إنها نسبت – إلى النبى : هرون – أنه استجاب لليهود الخارجين من مصر ، لمَّا طلبوا إليه أن يصنع لهم آلهة تسير أمامهم ، فطلب إليهم نَزْعَ ما لديهم من حُلىٍّ ذهبيّة ، فصوّرها بالأزميل ، وصنعها عجلاً مسبوكاً اتخذه اليهود معبوداً من دون الله ، وبنى له هرون مذبحاً[4] .

وواضح أنّ مخازى كهذه – فيما أقصى الخِسّة – لا تقع غالباً من إنسان سَوِىّ ، فضلا عن أن تقع من رجال اصطفاهم الله لرسالاته ، وبوّأهم منصب النبوّة ، وجعلهم أئمة يهدون بأمره .

* * *

(حـ) والتوراة الحاضرة خالية من ذكر الآخرة ، والبعث ، والحشر ، والنشر ، والعذاب والنعيم الأخرويين ، والتبشير بالرسول محمد (ص) . فأين هذا من التّوراة التى يؤمن بها المسلمون ، والتى فيها – بنصّ القرآن – (هُدًى وَنُورٌ) . وكما يقول أبو حيان المفسّر : وأين هذا من قوله تعالى : « الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ

---

(١) سفر التكوين : الإصحاحان ١٢ و ٢٠ .
(٢) نفس السفر : الإصحاح ١٩ .
(٣) سفر صمويل الثانى : الإصحاح ١١ .
(٤) سفر الخروج : الإصحاح ٣٢ .
(٥) سورة المائدة / ٤٤ .

وَٱلإِنجِيلِ ، يَأْمُرُهُمْ بِٱلْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَٰتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَٰٓئِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ »[1] ، وقوله تعالى ، وقد ذكر رسُوله وصحابته ، : « ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ »[2] ؟

٣

واعتور – فى رأى المسلمين – التحريفُ والتبديلُ أسفار الديانة المسيحية الحاضرة أيضاً :

(ا) فهى تقرّر شِرْكاً لا يمكن – عند المسلمين – أن تقوله السماء : تقرر أن عيسى ابن مريم إله وابن إله .

وتذكر أن الإله مركّبٌ من ثلاثة أقانيم هى : الأب ، والابن ، وروح القدس .

وتقول بالحلول والاتحاد بين اللاهوت والناسوت .

وقد جنحت المجامع المسكونية إلى تقرير الحرمان – وهو عقوبة بالغة الشّدة – لكلّ من يتمسّك بما ورد فى بعض الأسفار عن تنزّه الله عن أن تكون له صاحبة أو ولد أو شريك .

(ب) وهى تختلف فى نَسب المسيح ، وفى أخبار القبض عليه[3] . هذا فضلا عن الاختلاف فى مسائل العقيدة والعبادات[4] .

(حـ) ومن نفس المسيحيين الممتازى الثقافة والمتخصصين فى الدّراسات الدّينية المسيحية من يرون أن هذه الأسفار بشكلها الحاضر ، ليست مما نزل على عيسى ، وإنما هى من كتابة بعض حوارييه وأتباعه ، كتبوها بعد رفعه بسنين كثيرة :

تقول موسوعة الدين والأخلاق المطبوعة فى أمريكا[5] :

« كُتِبَ الإنجيل وأعمالُ الرّسل فى العشر السنوات التى بين ٩٥ و ١٥٠ من الميلاد تقريباً . ولسنا نبعد كثيراً عن الصّواب إذا قلنا – عامدين إلى رقم يبدأ يميناً بالصفر – إن هذا

---

(١) سورة الأعراف / ١٥٧ . (٢) سورة الفتح / ٢٩ . وانظر : البحر المحيط جـ ٢ ص ٥٠٢ و ٥٠٣ .

(٣) انظر مثلاً : إنجيل متى : الإصحاح ٢٦ .

(٤) انظر : الشهرستانى : الملل والنحل جـ ١ ص ٢٢٢ (ط . مصطفى محمد سنة ١٩٦١) .

(٥) Encyclopaedia of Religions A. Ethics.

التاريخ هو السّنة المائة من الميلاد [١] » .

ثم ذكرت الموسوعة تاريخ كتابة كلّ إنجيل ، فقالت :

« إن إنجيل مرقس كُتب بين سنتى ٦٥ و ٧٠ ميلادية

وإنجيل لوقا (والأعمال) كُتب فى سنة ١٠٠ ميلادية

وإنجيل متى كُتب فيما بين سنتى ٨٠ و ١٠٠ ميلادية ، وعلى أية حال قبل سنة ١١٠ .

وإنجيل يونس كتب بين سنتى ١٠٠ و ١١٠ بعد الميلاد .

والمدة التى تلقّى فيها الكاثوليك الأناجيل هى ما بين السنة المائة والسنة المائة والخمسين » [٢]

وتذكر دائرة المعارف الفرنسية [٣] أن التحقيقات العلمية والتاريخية تؤيد أن هذه الأناجيل كتبها أناس غير الحواريين والتلاميذ التابعين الذين تنسب إليهم

وهذه الأناجيل — بحكم تعدّد مصادرها — مختلفة اختلافاً كثيراً فى المضمون والحجم . وهو اختلاف يعلمه — بالضرورة — النصارى علم اليقين .

* * *

(د) وحتى الأسفار التى يعترف بها المسيحيون الآن ، ظلّت عندهم هم أنفسهم ، حوالى أربعة قرون ، موضع شكّ فى صحة حقائقها ، وصحة نسبتها إلى أصحابها [٥] .

* * *

(هـ) ومن علماء المسيحيين أنفسهم أيضاً من ينسبون إلى الكتاب المقدس الحاضر التحيّز والبعد عن الإنصاف . ومن الأمثلة لذلك ما كتبه أستاذ اللاهوت الإنجيلى بمدرسة هارفورد اللاهوتية [٦] — عند حديثه عن الصادوقيين Sadducees الذين أشرنا إليهم قبلا ، فهو يقول إن كتاب العهد الجديد New Testament ربما كانوا — فى كتابتهم عن هؤلاء — قد تأثروا بطائفة الفاريسيك Pharisaic ، وقال إن جوزيفوس Josephus كان يبغى — بكتابته —

---

(١) Vol. VI P. 337.

(٢) Ibid. P. 344.

(٣) Soc. des Savants et des Gens des Lettres :
Le Grand Encyclopedie – Inventaire Raisonné des Sciences, des Lettres, et des Arts.
6 ieme Vol. P. P. 586 591.

(٤) انظر : ابن كثير : فضائل القرآن ص ١٩

(٥) على عبد الواحد وافى : الأسفار الدينية ص ٩٤ ، ٩٦ .

(٦) Edward Nourse, Professor of Biblical Theology, Hartford Theological Seminary.

مرضاة القراء اليونان ، فقال إنهم كانوا أكثر استمساكاً بالعدل المستقيم القاطع من « الفاريسيك » ، وإنها غلطة أن يسوّى بين الفريقين ، فالفاريسيك كانوا يريدون أن يواثموا بين دينهم وبين الأفكار والأفعال اليونانية ، ولو أهدروا – فى سبيل ذلك – الشريعة نفسها[1] .

٤

وقد سَلِمَ القرآن – كما رأينا – من كلّ شىء من هذا القبيل ، ولم تنقطع أسانيده فى أى وقت .

ولا ريب أنّ من مؤكدات الجزم بسلامته المطلقة ، وعدم الغفلة عنه بحال : أنّ المسلمين درسوا عنه – فى كلّ أزمنتهم – كلّ شىء ؛ درسوا مثلا : ما نزل منه صيفا أو شتاء ، سفراً أو حَضَرا ، نهاراً أو ليلا ، فى الأرض أو فى السماء ، قبل الهجرة أو بعدها . . . إلخ ، ففرصة العبث به مفقودة ، وطريق التحريف فيه مسدودة .

وربما كانت أسباب التحريف فى الكتب الأخرى هى التى أوردها المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز[2] ، وهى :

١ – أن الله لم يتكفل بحفظها ، وإنما طلب إلى الرّبّانيين والأحبار حفظها « إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَٱلرَّبَّانِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ »[3] .

٢ – وأن هذه الكتب جىء بها على التوقيت ، لا على التأبيد .

٣ – وأن القرآن جىء به مصدّقاً لما بين يديه من الكتب ، ومهيمناً عليها ، فكان جامعاً

---

(١) The Encyclopaedia Americana, Vol. 14, P. P. 99 & 100.

(٢) النبأ العظيم ص ٨ و ٩ .

(٣) سورة المائدة / ٤٤ .

وفى (تاريخ قضاة الأندلس للنباهى) : أن أبا عمرو الدانى حكى عن قاض اسمه : أبو المثاب ، قال :

كنت عند إسماعيل (يريد : إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدى أحد أئمة المالكية وأعلام القضاة) يوماً ، فسئل : لم جاز التبديل على أهل التوراة ، ولم يجز على أهل القرآن ؟

فقال : قال الله تعالى فى أهل التوراة : « بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا من كِتَـٰبِ ٱللَّهِ » (المائدة / ٤٤) ، فوكل الحفظ إليهم ، وقال فى القرآن : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ » (الحجر / ٩) فلم يجز التبديل عليهم .

فذكر ذلك المهاملى ، فقال : ما سمعتُ كلاماً أحسن من هذا .

وقد رُوِى أنّ نصرانيًّا سأل محمد بن وضّاح عن هذه المسألة ، فأجاب بمثل هذا الجواب . (ص ٣٣) .

لما فيها من الحقائق الثابتة ، زائداً عليها بما شاء الله زيادته ، وكان سادًّا مسدّها ، ولم يكن شيء منها ليسدّ مسدّه [١] .

* * *

غير أنّ أعداء القرآن ظلُّوا على رغبتهم فى محاولة دسّ التحريف فيه ، فكان لزاماً على المسلمين الحذر من هذه المحاولات ، ودرؤها ، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً . وفى رأيى أنّ جمع القرآن صوتياً – فوق جمعه كتابةً – وسيلةٌ أكيدة إلى القضاء تماماً على كل محاولة تحريفية .

٥

وكأنما جاء مشروعى هذا فى أنسب مناسبة ، فبعد أن رجوت وزارة الأوقاف تمويله [٢] ، وبعد أن مضيت فى تسجيل رواية حفص عن عاصم ، بأموال هذه الوزارة ، وَقَع ما كانت خشيته ضمن بواعث المشروع ، ذلك أنّ إسرائيل – فيما ذكرت بعض المصادر العربية – جدَّتْ – فعلاً – فى محاولة تحريف القرآن ، وتوزيع النّسخ المحرَّفة فى : المغرب ، وغانا ، وغينيا ، ومالى ، ودولٍ أفريقية أخرى [٣] . وقد اكتشفَتْ سفارتنا بالمغرب هذه المحاولة ، فأخطرت بها القاهرة ، وبعثت إليها ببعض النسخ المحرّفة [٤] .

* * *

وكان من الوسائل والمظاهر التحريفيّة التى اكتُشفت :

١ – إحداث أكثر من ألف خطأ مطبعىّ ولفظى ، فى مائة ألف نسخة من القرآن ،

---

(١) هنا نذكر شيئاً يتصل بمشروع الجمع الصوتىّ الأوّل للقرآن الكريم ، فقد كان المرحوم الدكتور دراز يرى أن تسمية القرآن بهذين الاسمين : « قرآن » ، و « كتاب » إشارة إلى أنّ من حقّه على الناس أن يُعنوا بحفظه فى موضعين ، لا فى موضع واحد ، يعنى أنه يجب حفظه فى الصدور والسطور جميعاً ، أن تفضّل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى .

وقد عقّبتْ على هذا مجلّة الأزهر (ع . يناير ١٩٦٣) منوّهة بمشروعنا ، فقالت : « لعلّه لم يكن يدور بخلد فضيلته رحمه الله أنّ القرآن سيسجّل على أسطوانات وأشرطة ، فقد تيسّر بذلك ثالث من أسباب حفظه إنجازاً لوعد الله ، إذ يقول : (إنّا نحنُ نزّلنا الذّكر وإنّا لهُ لحافظون) (الحجْر / ٩) » .

(٢) على عهد وزيرها السيد أحمد عبد الله طعيمة .

(٣) مجلة آخر ساعة ع ١١ يناير ١٩٦١ .

(٤) نفس المرجع .

وزّعت فى البلاد الأفريقية والآسيوية [١] .

٢ – وحذف « لا » النافية ، من بعض المواضع ، ليكون المعنى عكس ما نزل به القرآن [٢] .

٣ – وحذف كلمتى : « ليست » فى الآية : « وَقَالَتْ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتْ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ ، وَقَالَتْ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ [٣] .

٤ – وحذف كلمة « غير » فى الآية : « وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ » [٤] .

٥ – وإبدال هذه العبارة : « والله غفور رحيم » بعبارة « وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » فى الآية : « وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »

٦ – وإسقاط الآيتين الآتيتين ، ومنع تدريسهما فى مدارس العرب والمسلمين فى فلسطين المحتلة :

« لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ، وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ »

والقصد من هذا الحذف – فيما قيل وقتها – هو صرفُ الأنظار عن جرائم إسرائيل التى ارتكبتْها فى حقّ العرب بإخراجهم من ديارهم [٧] .

---

(١) جريدة الأهرام ع ٢٨ ديسمبر ١٩٦٠ .

(٢) انظر تصريح أحد المسئولين فى وزارة الأوقاف ، فى جريدة الأخبار ع ٢ ديسمبر ١٩٦٠ .

(٣) سورة البقرة / ١١٣ .

وانظر : سليمان حسن عبد الوهاب : تحريف اليهود للقرآن قديماً وحديثاً – مجلة منبر الإسلام ع جمادى الآخرة ١٣٨٥ ص ٩٢ – ٩٥ .

(٤) سورة آل عمران / ٨٥ ، وانظر نفس المقال .

(٥) سورة المائدة / ٣٨ ، وانظر نفس المقال .

(٦) سورة الممتحنة / ٨ و ٩ .

(٧) جريدة الجمهورية ع ١١ يناير ١٩٦١ .

٦

واهتم المسلمون بهذا الحادث الخطير اهتماماً كبيراً :

(ا) فبحث وزير الأوقاف مع شيخ الأزهر الإجراءات الواجب اتخاذها ضدّ هذا العدوان ، ومنها تشكيل لجنة مشتركة لمراجعة المصحف المحرّف وإبراز أخطائه ، وتحذير المسلمين من تداوله (١)

(ب) وأرسل شيخ الأزهر إلى رئيس الجمهورية برقية قال فيها :

« . . . إن إسرائيل التى قامت على البغى والطغيان والاعتداء على المقدّرات والمقدّسات ما زالت تعيش فى هذا العبث ، وتحيا فى إطار هذا الطغيان ، وإنها – بتحريفها القرآن الكريم – تريد القضاء على معتقداتنا وديننا ، وهى – بذلك – تمارس ما كان عليه آباؤهم من تحريف الكلم عن مواضعه ابتغاء كَبْتِ الدعوة الإسلامية وإعاقتها .

وإن المسلمين فى أنحاء الأرض يُهرعون إليكم – وكلّهم أمل فى قوة إيمانكم ، وغيرتكم على دينكم – أن تعملوا على حفظ كتاب الله ، فتقفوا فى وجه هذا العدوان الأثيم .

إن الأمة الإسلامية كلّها من ورائكم . إلخ » (٢) .

(ج) وأمر مفتى الديار السُّودانية كلَّ موظفى المحاكم الشرعية وأصحاب المكتبات العامة بضرورة مراجعة المصاحف – قبل تداولها – للتأكد من سلامتها من التحريف .

وأصدر شيخ العلماء فى السودان بياناً أهاب فيه بالمسلمين أن يتنبّهوا لهذا الخطر . وأن لا يقبلوا أىّ مصحف إلا إذا كان مُوافَقاً عليه من الأزهر ، أو إحدى الهيئات الدينية الرسمية فى البلاد الإسلامية (٣) .

(د) وأصدرت الحكومة الأردنية بياناً استنكرت فيه التحريف ، وذكرت ما تأدّى إليها من أنَّ إسرائيل عرضت على الدول الأفريقية التى وُزّعت فيها المصاحف المحرَّفة أن ترسل إليها مدرسين لتدريس اللغة العربية ، والنسخة المشوّهة من القرآن ، وطلبت الأردن إلى

---

(١) جريدة الأهرام ع ٢٩ ديسمبر ١٩٦٠ .

(٢) عدد الأهرام نفسه ، وعدد الجمهورية بنفس التاريخ

(٣) جريدة المساء ع ١٠ فبراير ١٩٦١ .

المسؤولين فى البلاد العربية إحباط أعمال إسرائيل الشريرة (١).

* * *

وكان طبيعيًّا جدًّا أن يفيد المسلمون – فى ردّ هذا العدوان ومنعه – من مشروعنا الذى كأنما جاء فى ذلك الوقت على قَدَر :

١ – فانعقد ، فى ٣ يناير ١٩٦١ ، مؤتمر إسلامى ، برياسة وزير الأوقاف ، واستعرض جريمة التَّحريف ، ثم انتهى إلى « اعتبار المصحف المرتل وسيلة فعّالةً لمقاومة هذه الجريمة (٢)»

٢ – تقرر توزيع أسطوانات المصحف المرتل فى الدُّول التى وَزَّعَتْ إسرائيلُ فيها المصاحفَ المحرَّفة (٣).

٣ – وأيد حِلْفُ العرب فى الهند مشروعنا ، واعتبره « حَدَثاً عالميًّا لمكافحة تحريف إسرائيل للقرآن ، ونشر اللّغة العربية ، بين الشعوب الإسلامية غير النّاطقة بالعربية »(٤) .

٤ – وقيل عن دَوْر المصحف المرتل فى درء التحريف : « وقد قيَّض الله – لصدّ تلك الحملة الظالمة على كتاب الله – رجالَ الجمهورية العربية المتحدة ، إذْ وفقهم الله لصنع قنبلة ذرّية نسفت عمل اليهود من القواعد ، فأصبح هباءً تذروه الرياح . . . »(٥).

---

(١) جريدة الأخبار ع ٨ أبريل ١٩٦١ .

(٢) جريدة الجمهورية ع ٤ يناير ١٩٦١ .

(٣) جريدة الجمهورية ع ٢ يناير ١٩٦١ .

(٤) تلقى السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف وفتذ رسالة بهذا (انظر ، جريدة الأهرام ع ٣٠ أبريل ١٩٦٢)

(٥) سليمان حسن عبد الوهاب : المقال السابق

الفصل الثالث

التمكين للغة العربية والوحدة الإسلامية

١

يعرف المتابعون لأفكار الغربيين – من مروّجي المسيحية ودعاة الاستعمار – أنَّ بعضهم يحقدون على الإسلام دينِ القرآن حقداً شديداً ، لعلَّ مبعثه أنَّ الإسلام ، لما انتشر في القرون الوسطى ، كان سدًّا – أمام النصرانية – عاقَها ، وأنَّه سلبها مناطق نفوذ كانت لها [١].

ويرى هؤلاء – في تعصّبهم لدينهم ، وحقدهم على المسلمين ، وفي خوفهم من قوة يرونها كامنة في الإسلام – أن المسلمين إذا انتظمتهم وحدة أمكن أن يصبحوا « لعنة على العالم وخطراً » أو « أن يصبحوا نعمة له ، أما إذا بقوا متفرقين ، فإنهم سيبقون بلا وزن ولا تأثير »[٢] .

ويرى هؤلاء – ورأيهم هذه المرة صائب تماماً – أن وحدة المسلمين مفسدة للأطماع الاستعمارية الغربية ، فهم يحذّرون منها ، ويحاولون تعويقها [٣] .

٢

وكان من وسائل أعداء الوحدة الإسلامية إلى توهينها : إيقاد نار الحرب على كلّ أسبابها وموجباتها . وهم – لا ريب – يعرفون أنّ القرآن هو أصل الأصول عند المسلمين في كل أمورهم الدينية والدنيوية ، وأنه – في وقت واحد – كتاب دين ، وكتاب حضارة ، وكتاب ثقافة ، وأنه – بهذا ، وبما هو أقدس مقدّساتهم – هو موضع كلِّ التفاتهم ، وموضع كل

---

(١) انظر : Becker C. H : Islamstudien, P. 183.

ومصطفى الخالدي وعمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٣٦ .

(٢) نقلاً عن الخالدي وفروخ : المرجع السابق ص ٣٧ .

(٣) انظر – في هذا الشأن – تفاصيل الجهود التي بذلها الغرب ضد الإسلام في المرجع السابق .

التفاهم ، ومن ثم كان الظهور عليه – بطريقة ما – هو بيقين ، تقويضاً لأهمّ أسس هذه الوحدة .

وإذْ كان القرآن عربيَّ اللسان ، ويقتضى أتباعَه ، كى يدركوا جيّداً معانيه ، ويدركوا جيداً السُّنة الشّارحةَ له ، أن يعرفوا لغته .

وإذْ أكدت التجارب المتكررة والمخلصة أن لا سبيل إلى ترجمة القرآن ترجمة يكون لها ما يماثل بَلْهَ ما يدانى النصّ العربى ، فى الدّقّة والفصاحة ؛

فقد رأى أعداء الوحدة الإسلامية خطر لغته أيضاً على مطامعهم العدوانية ، مهما حفت هذه المطامع بالدأب ، واللجاجة ، والحيلة .

* * *

والحق أن القرآن ولغته يصنعان وحدة وثيقة ممتدّة : هى وحدة الفكر والعقل والمشاعر ، بين مئات الملايين من المسلمين ، لا فى نطاق محلىّ أو قومىّ فحسب ، ولكن فى مختلف أرجاء الأرض .

والحقّ أيضاً أن القرآن ولغته يمكّنان كلٌّ منهما للآخر دائماً :

فالقرآن يهذب العربية ألفاظاً ، وأغراضاً ، وعباراتٍ ، وأفكاراً ، ويقوّى سلطانَه منطوقةً ومكتوبةً : يقول بروكلمان : « بفضل القرآن ، بلغت العربية من الاتّساع مدًى لا تكاد تعرفه أية لغة أخرى من لغات الدنيا . والمسلمون – جميعاً – يؤمنون بأن العربية هى وحدها اللسان الذى أُحِلّ لهم أن يستعملوه فى صلواتهم ، وبهذا اكتسبت العربية – منذ زمان طويل – مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى التى تنطق بها شعوب إسلامية »(١) .

وأما اللغة العربية فهى – كما وصفها الثعالبى – : « أداة العلم ، ومفتاح التفقه فى الدين ، وسبب صلاح المعاش ، ثم هى – لإحراز الفضائل ، والاحتواء على المروءة ، وسائر أنواع المناقب – كالينبوع للماء ، والزّند للنار »(٢) . وهى – عند المسلمين – السبيل إلى « قوة اليقين فى معرفة إعجاز القرآن ، وزيادة البصيرة فى إثبات النّبوة الذى هو عمدة الإيمان »(٣) .

---

(١) بروكلمان : موجز فى علم اللغات السّامية (بالفرنسية) ص ٤١ و٤٢ ، نقلاً عن : عثمان أمين : فلسفة اللغة العربية ص ١٠٤ و١٠٥ .

(٢) فقه اللغة ص ٣

(٣) نفس المرجع .

وعلى ما فى عبارات الثعالبى هذه من استعارات ، وتشبيهات ، وعاطفة دينية ، فإنّ معانيها - فى ميزان الحق - لا تُخيِر الموضوعيّة شيئاً .

والمسلمون يعتقدون أنّ اللغه العربية لسان الله يوم القيامة[1] ، ولذلك كان تعلّمها وتعليمها - عندهم - من الدّيانة .

* * *

واللغة العربية - ككلّ اللُّغات - لها علاقتها الوشيجة بنفسية الأمة الناطقة بها ، ولها أثرها الواضح فى تكوين شخصيتها ، ولها شأنها الجليل فى اجتماعيات هذه الأمة ، فهى - على مدى الزمن - وعاء تاريخها ، وأمجادها ، وتقاليدها ، وشمائلها ، وفضائلها ، وتراثها الفكرى ، والشعورى ، والأخلاقى ، والاجتماعىّ . وهى المستودع الذى - عنده - يطلب أفراد الأمة الألفاظ والتّعابير التى هى أداة التفكير .

* * *

واللغة العربية بالذات لها - من خصائصها وظروفها - ما جعل لها الغلبة على بعض زميلاتها السّاميّة ، وعلى اللُّغات اليمنية القديمة ، فى منطقة بلاد اليمن ، واللّهجات الآراميّة ، فى معظم بلاد العراق والشام ، والألسنة القبطيّة والبربريّة والكوشيتيكية[2] .

بل إنه واضح أنّ للعربية من الخصائص والظروف ما جعل أثرها يزحف - بعد الإسلام - مقدّساً عميقاً إلى مجتمعات لم تكن تربطها بها وشيجة من قَبْلُ ، كالمجتمعات الآرية والطورانية التى منها مجتمعات الهنود والفرس والتّرك .

ومع أن بعض هذه المجتمعات الكبيرة احتفظ أحياناً بلغته الأمّ ، فقد اتخذ اللغة العربية لساناً أوّل له ، وذلك على مدى قرون طويلة ، وبرضًى تُذْكيه العاطفة الدينية .

واللغة العربية أيضاً - ككل اللغات - من أهمّ أركان الوحدة ، بالنسبة للناطقين بها .

---

(١) ابن آجروم ، مقدمة متن الأجرومية .

وفى صبح الأعشى للقلقشندى ، فى فضل اللغة العربية : أن عمر بن الخطاب قال : « تعلموا اللحن والفرائض ، فإنه من دينكم » . قال يزيد بن هرون : « اللحن هو اللغة » ، ولا خفاء أنها أمتن اللغات ، وأوضحها بياناً ، وأذلقها لساناً ، وأمدّها رُوَاقاً ، وأعذبها مذاقاً ، ومن ثم اختارها الله تعالى لأشرف رسله ، وخاتم أنبيائه ، وخيرته من خلقه ، وصفوته من بريّته ، وجعلها لغة أهل سمائه ، وسكان جنته ، وأنزل بها كتابه المبين » (جـ ١ ص ١٤٨) .

(٢) Couchitiques نسبة إلى Cuch أحد أولاد حام بن نوح .

(انظر : سفر التكوين - إصحاح ١٠ .

وانظر : على عبد الواحد وافى : علم اللغة ص ١٥٧) .

وكما كانت وحدة اللسان – فى الدويلات القديمة المتعددة الناطقة بالألمانية ، وفى البقاع الناطقة باللغة البولندية – أهمّ دوافع الانتظام فى وحدات سياسية ، فإن مثل هذا الانتظام مكفول تماماً للبلاد الناطقة بالعربية ، والتى يوحّد القرآن أيضاً طرق تفكيرها ، ويوحّد – دينياً ودنيوياً – وسائلها وغاياتها .

* * *

أدرك أعداء الوحدة الإسلامية الصحيحة أن سبيل تحقيق بُغْيتهم هو أن لا يجتمع العرب والمسلمون على ذلك الكتاب ، وذلك اللّسان ، وأن تنشأ النابتة العربية المسلمة على غير اللغة العربية الفصيحة التى هى لغة القراءة والكتابة ، فينسلخوا تلقائيًّا من وحدتهم ، وتاريخهم ، وتراثهم . فرأَوْا – كما يعبّر كتاب « التبشير والاستعمار » – أن « تقطيع أوصال العرب والمسلمين لا يمكن أن يتمّ ما دامت هنالك لغة واحدة يتكلمها العرب ، ويعبّر بها العرب والمسلمون عن آرائهم ، وما دام هناك حرف عربىّ يربط حاضر المسلمين إلى تراثهم الماضى ، فإذا حمل المستعمرون والمبشّرون العربَ على الكتابة باللغة العامية أصبح لكل عربى لغة خاصّة به ، أو لغات متعدّدة »[1] ، وواضح أن من شأن هذا أن تنفصم العرى بين العرب والمسلمين وتتمزق العلائق فيما بينهم ، ويصبح كلّ شعب عربى أو مسلم بمعزل عن باقى الشعوب الزميلة .

والذين يصرفون المسلمين عن لغة القرآن إلى اللهجات العامّيّة المتغايرة ، حَسْبُهُمْ أن ينجحوا فى هذا ، ولا عليهم أن يبقى القرآن بلغته الفصيحة تقرؤه – بفهم قليل أو كثير – قلة متخصّصة ، ويقرؤه – فى مشقّة وبغير فهم – باقى المسلمين ، كما هو الشأن فى القبطية ، فى كنائس الأرثوذكس ، أو اللاتينية ، فى الكنائس الكاثوليكية .

وقد يناسب هنا أن نشير إلى أن كارل فولرس Karl Vollers المستشرق النمسوى الوارد ذكره قبلا كان قد كتب دراسة عنوانها : (القرآن بلهجة مكة الشعبية)[2] . وكأنما يتوهّم أنّ المسلمين يُخضعون التنزيل للهجاتهم العامية الخاصّة ، حيث يكونون ، وحينما يريدون ، أو كأنما يريد – بطريق غير مباشرة – الترويج لفكرة هذا الإخضاع .

---

(١) ص ٢٢٥ .

(٢) انظر : نجيب العقيقى : المستشرقون حـ ٢ ص ٦٣٣ .

٣

ومضى الغرب – فعلا – فى تنفيذ خطته ، ضدّ ترابط المسلمين :

فمثلا حارب الفرنسيون اللغة العربية ، فى : بلاد أفريقية الغربية ، وفى موريتانيا ، وهى بلاد إسلامية عربية اللغة أصلا .

ولا تزال آثار هذه الحرب واضحة تعانى منها القومية العربية هناك .

ومثل هذه الحرب صَلِيَتْ حرَّها بلاد الشام حيناً .

ومثلها أيضاً ما فعلَتْه إنجلترا – فى مصر – طوال عهد الاحتلال ، حين كانت الإنجليزية لغة المدارس ، حتى فى المرحلة الابتدائية ، كما كانت لغةَ الدواوين . ولولا أن الأزهر كان يرعى جانباً تعليمياً آخر هو الجانب الإسلامى العربى ، ومن ثم لم تكن فيه لغةُ الاحتلال هى لغة التعليم ، لولا ذلك ، لعانت مصر مثلَ ما عانت زميلاتها من سياسة فرنسا (١) .

وقد فَصَلت إنجلترا ما بين شمال السّودان وجنوبه . ومنعت العرب والمسلمين – هناك – من الصلاة ، ومن التخاطب بالعربية أمام الجنوبيين .

* * *

وخطر هذه الحرب شديد غاية الشدة : فهى توهن الأمة ، وتضيع خطرها ، وتفكّك أواصرها . يقول عباس محمود العقاد – فى منطق صائب – : « الحملة على لغتنا – نحن – حملةٌ على كلّ شىء يعنينا ، وعلى كلّ تقليد من تقاليدنا الاجتماعية والدينية ، وعلى اللسان والفكر والضمير ، فى ضربة واحدة ، لأنّ زوال اللغة فى أكثر الأمم – يبقيها – بجميع مقوماتها – غير ألفاظها ، ولكن زوال اللغة العربية لا يُبقى للعربى أو المسلم قواماً يميزه عن سائر الأقوام ، ولا يعصمه أن يذوب فى غمار الأمم ، فلا تبقى له باقيَةٌ من بيان ، ولا عرف ولا معرفة ، ولا إيمان (٢) . »

ومن المؤسف أن بعض العرب المسلمين المقيمين فى غير بلاد الإسلام لا يفطنون إلى هذا الخطر المحدق بشخصيتهم وتاريخهم ، والممزّق لوحدتهم ، والذى سيساعد – وشيكا – بينهم وبين ماضيهم الزاخر المشرّف ، فيؤثرون الأسهل ، ويعلّمون أبناءهم لغتَهم العاميَّةَ الخاصةَ ،

---

(١) انظر بعض تفاصيل هذه الحرب فى : محمود محمد شاكر : أباطيل وأسمار ص ١٦٤ .

(٢) المئات مجتمعات فى اللغة والأدب ص ١٢٧ .

ويعلّمونها الأجانب الداخلين فى الإسلام . والخير لو كانت اللغة العربية الفصيحة التى نزل بها القرآن هى لغة هذا التعليم ، ومحلّ هذا الجهد .

٤

كانت هذه الأمور ومثلها ملء خاطرى حين كنت أستجمع الأغراض التى يمكن أن يحققها الجمع الصوتى الأول للقرآن .

وكنت محيطاً بحقيقة تستوجب الاهتمام هى : أن بعض المسلمين ، هنا وهناك ، — فى إيمانهم بالقرآن ، وحبّهم إياه ، وستهدائهم به — يعوزهم حسن الأداء فى قراءته ، وأنهم يتلهفون على وسيلة ميسورة يتعلمونه عن طريقها ، ويتلونه على نَسَقِها ، تلاوة صحيحة يقوى عليها الفرد العادىّ . وكنت محيطاً بأن الحاجة إلى هذه الوسيلة — هى بالنسبة للمسلمين من غير الناطقين بالضاد — أمسّ ، وكنت أذكر — فى تأثّر — ما هو مشهور من تطلّع مسلمى القارة الهندية إلى حذق العربية وإحياء تراثها ، وأذكر كيف تقدم المجلس النيابى ، فى باكستان ، باقتراح اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية هناك .

وقدّرت — منذ فجر المشروع — أن انتشار القرآن — بفضل الوسيلة الصوتية — سيكون أوسع وأيسر ، وطلابه سيكونون أكثر ، وأن هذه الوسيلة ستصرف الناس عَمَّا لا يتفق مع أساليب العربية الفصيحة ، وسيصرف عن هذه اللغة نفسها كثيراً مما يرتكبه أعداؤها من جنايات التعويق والتّوهين .

* * *

وكنت أرى هذا الجمع — بخصائصه الجديدة — أعظم وسيلة إلى مطمح غال يحتدم به صدرى دائماً ، هو أن تصبح اللغة العربية فى الصّف الأول من اللغات العالمية القليلة . ولعل هذا المطمح أن لا يكون مسرفاً أو مجافياً — بأى شكل — لطبيعة هذه اللغة ، فهى لغة هذا الكتاب الذى تدين به ملايين البشر[1]، وفيها تخلّى مسلمون كثير عن ألسنتهم الأصلية ، وإلى تعلّمها تمتدّ — عن طواعية لا يشوبها أىّ قهر — رغبات ملايين من المسلمين غير العرب .

وربما كان من معضّدات هذا الرأى ، أن معهد اللغات الشرقية ، فى موسكو ، طَلَب إلى الجمهورية العربية المتحدة موافاته بنسخة من المصحف المرتل ، وقالت أستاذة اللغة العربية

(١) فى تقديرنا أن عدد المسلمين الآن يربو على ٨٠٠ مليون نفس .

هناك : « إن المصحف المرتّل سيساعدها على تدريس النطق العربى الصحيح لطلبة المعهد ، على أساس أن القرآن أقوى مرجع فى اللغة العربية »[١] ومن قبل هذا ، حين كنت أخطو بالمشروع خطواته الأولى ، كتبت « الأهرام » تقول : « إن هذا المشروع يفيد بعض الدول الإسلامية التى لا تتكلم العربية مثل أندونيسيا وغيرها ، فيتعوّد أهلها النطق الصحيح للقرآن ، بعد سماع هذه الترتيلات »[٢] .

وكذلك قرر إبراهيم إينامس الزعيم والداعية الإسلامى بغرب أفريقية : أنه استمع هو ، وبعض أتباعه ، إلى تسجيلات المصحف المرتل ، عشرات المرات فأفادهم ذلك حفظاً جيداً للقرآن ، واستقامة فى لهجتهم العربية[٣] .

* * *

وأملت – منذ قديم – أن يكون مشروعى سبباً خطيراً فى زيادة توثّق العلاقات بين المسلمين ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، وتوكيد العروبة على النحو الذى ننشده جميعاً وتدعو إليه .

ونصصت على هذا – صراحةً – يوم تقدَّمْتُ بمشروعى ، إلى الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم ، ثم فى يوم تالٍ ، حين عقدت مؤتمراً صحفياً ، لتبشير الرأى العام الإسلامى بهذا المشروع ، ودعوة رجال الفكر والرأى إلى موافاتى بتوجيهاتهم وملاحظاتهم ، حتى تتحقق لفكرة الجمع الصوتى الأول للقرآن ما هى كفاؤه من تنفيذ دقيق سليم[٤] .

وبالله التوفيق .

---

(١) انظر : الأهرام ع ٦ أغسطس ١٩٦٢ بعنوان ، موسكو تطلب أسطوانات المصحف المقروء .

(٢) ع ١٦ مايو ١٩٥٩ .

(٣) نقل إلىّ هذا الأستاذ عبد الرحمن العدوى الأمين العام لجامعة الأزهر .

(٤) أهدى المصحف المرتل – برواية حفص – إلى جميع سفارات الجمهورية العربية المتحدة فى الخارج ، وأهدى إلى جميع الحكومات الإسلامية ، والهيئات العلمية الكبرى ، فى كل بلاد العالم ، وإلى بعض الإذاعات .

انظر مثلاً : جريدة الأهرام :

ع ٢٥ يوليو ١٩٦١ ، بعنوان : إهداء المصحف المرتل للحكومات الإسلامية والإذاعات .

وع ٥ أكتوبر ١٩٦١ ، بعنوان : أسطوانات القرآن فى مكتبة الكونجرس .

وع ٩ مارس ١٩٦٢ ، بعنوان : إهداء المصحف المرتل إلى جميع سفاراتنا بالخارج .

وع ٢٨ مارس ١٩٦٢ ، بعنوان : إهداء السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف المصحف المرتل إلى كل من إذاعتى نيجيريا وأنباكستان .

وع ٢٢ أبريل ١٩٦٢ ، مخصوص بإهداء السيد حسين الشافعى مجموعة المصحف المرتل إلى الحاج نوح بلما وزير الدولة بنيجيريا ، والسيد سالم عيسى والى مستشار الخارجية لنيجيرى .

= و ع ١٢ مايو ١٩٦٢ ، بخصوص إهداء السيد حسين الشافعي مجموعات المصحف المرتل إلى وفد الحجاج الروسي لوضعها في مساجد الاتحاد السوفييتي .

و ع ١٨ يونية ١٩٦٢ ، بعنوان : الرئيس يهدى المصحف المرتل إلى رؤساء دول الدار البيضاء ، وفي هذا الخبر ، أن الملك الحسن أبدى رغبته في الاستماع إلى المصحف المرتل .

و ع ٦ أغسطس ١٩٦٢ ، بعنوان : موسكو تطلب أسطوانات المصحف المقروء .

و ع ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، بعنوان : المصحف المرتل : إهداؤه إلى الجزائر . وتضمن الخبر أيضاً إهداء مجموعات من المصحف المرتل إلى السيد تنكو عبد الرحمن رئيس وزراء الملايو ، وإلى رئيس مجلس النواب ، وكبير الأمناء ، ووزير الداخلية هناك .

و ع ٣ أكتوبر ١٩٦٣ ، بخصوص برقية من أحد أعضاء المجلس البلدي بنابلس ، يرجو فيها تزويده بالمصحف المرتل .

وانظر في : مجلة آخر ساعة ع ١٣ نوفمبر ١٩٦٣ خبراً بعنوان : مصحف مرتل هدية للإذاعة الإيطالية .

والأهرام ع ١٣ يناير ١٩٦٤ ، بخصوص إرسال ٤٢ مجموعة من المصحف المرتل إلى اليمن ، والجزائر ، ونيجيريا الشمالية ، والسنغال ، وغرب أفريقية ، وإمارة عمان ، واتحاد ماليزيا ، والفلبين ، ولبنان .

وقد زارني رسمياً ، في فبراير ١٩٦٤ ، مندوبون من المؤسسة المصرية العامة للتجارة عدة مرات ، يرجون وزارة الأوقاف الموافقة على إدماج مجموعات المصحف المرتل في قوائم الصادرات المصرية إلى الهند ، وذكروا أن هذه أمنية غالية للشعب المسلم هناك . غير أن الدولة هنا لم تسترح إلى فكرة اعتبار المصحف سلعة تخضع لما تخضع له عروض التجارة ، وآثرت — وهي محقة في هذا — أن يظلّ المصحف المرتّل هديتها الدائمة إلى العالم .

وقال وزير الأوقاف (الأستاذ الدكتور محمد البهي) في هذا الشأن لمندوبي الصحف إنه حريص على أن يكون المصحف المرتل هدية تحمل رسالة القرآن إلى العالم الإسلامي من مركز القيادة التاريخية في القاهرة . وقال : « إن المصحف ليس سلعة تجارية ، ولكنه دعوة تجمع الناس على لسان عربي مبين » (انظر : الجمهورية ع ٥ مارس ١٩٦٤ بعنوان : المصحف المرتل رسالة وليس سلعة) .